

ISSN 2394 -6628

May - June 2017

The First Monthly Arabic Journal in J&K Since 2011

MAY - JUNE 2017, VOL. 2 ISSUE 03

AL - TILMEEZ

أفاضل لغة الضاد و علمائها

مجلة التلميز

مجلة عربية أدبية شهرية



رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي



PRINTED & PUBLISHED BY

Dr. Waqar ul Qasbi on behalf of Nadwiyah Cultural Centre
Jinnah Chowk, Srinagar, Kashmir 191101 at Rashid Printing Press, Srinagar.
waqarqasbi@gmail.com 9822169296, 9449715766

مجلة التلميز

محتويات العدد

03	رئيس التحرير	الإفتتاحية
05	الأستاذ محمد مظفر حسين الندوي	لماذا أحبُّ ثرابك يا وطن؟ (كلمة الإشادة)
06	الدكتور فاروق أحمد مير القاسمي	العلامة محمد انور شاه الكشميري محدثاً
10	بشارت أحمد شاهين	العلامة صديق حسن خان القنوجي مفسراً
17	الأستاذ جاويد أحمد بال	الائتلاف العالمي بين المسلمين من أجل لغة الضاد
24	إبراهيم المصباحي	المدارس الدينية ومساهمتها في تطوير.....
31	الدكتور معراج الدين الندوي	السير سيد أحمد خان.....
40	عبد الحكيم	رحلات الشيخ أبي الحسن علي الندوي إلى
53	محمد فريد	العلامة صديق حسن خان القنوجي مساهمته.....
61	د. أورنك زيب الأعظمي	القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري.....
81	الدكتور عبد الحميد لون	العلامة الشيخ يعقوب الصربي الكشميري.....
85	الدكتورة نور أفشاش	تطور اللغة العربية وآدابها في كشمير.....
90	محمد تنوير الندوي	علامة السيد أبو الحسن الندوي رائد الأدب.....
94	الدكتور بلال أحمد زرغر الندوي	العلامة محمد أنور شاه الكشميري مفسراً
97	ظفر حیات	علامة الهند المجدد المصلح.....
101	سجاد أحمد الندوي	جامو وكشمير بين الأيام والتاريخ
108	الدكتور منور حسين الندوي	مساهمة مشاهير الهند وأعلامها

ولقد قمنا بإصدار مجلة عربية بعنوان "مجلة التلميز: للدارسين والباحثين للغة العربية وآدابها في ربوع جامو وكشمير بالهند. كان هناك شعور متنامي منذ زمن بأن يقوم أحد علماء العربية في وطننا كشمير بإصدار مجلة عربية لمحيي اللغة العربية، فإن خطوتنا هذه تجاه إصدار المجلة تبشرنا بمستقبل أدبي صحفي زاهر. ان شاء الله _ وبالمناسبة نأمل لو نال هذا المشروع الميمون نجاحاً ملحوظاً ليكون ذلك فاتح عهد جديد في تاريخ الصحافة العربية في " جموں و كشمير".

فالحاجة الماسة الى بذل جهود مركزة لترقية اللغة العربية وتنميتها في جموں و كشمير، فنحن نرجو من حضرتكم المساعدة العلمية والأدبية والمالية وارسال مقالاتكم الشيقة والانجازات الأدبية و آرائكم الثمينة.

شكراً مع أطيب التحيات

د. معراج الدين الندوي، رئيس التحرير لمجلة التلميز (مجلة أدبية شهرية صادرة عن مركز الثقافة الندوية. جموں و كشمير)

هيئة التحرير

عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند	البروفيسور كفيل أحمد القاسمي
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند	البروفيسور مسعود أنور علوي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير	البروفيسور عبدالرحمن واني
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر	البروفيسور شاد حسين
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر	البروفيسور بيرزاده بشير أحمد
قسم اللغة العربية جامعة كشمير سرينجر	البروفيسور صلاح الدين تاك
قسم اللغة العربية بالكلية أمرسينغ الحكومية سرينجر	البروفيسور مظفر حسين الندوي
قسم اللغة العربية بكلية أمرسينغ الحكومية، كشمير سابقا	البروفيسور عبد الرحمن وار
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة	الدكتور محمد يوسف خان
الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية،	الدكتورة تسنيم كوثر
المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب والمنسق العلمي بالمغرب، للجامعة الإسلامية بأوروبا.	د. زكرياء السرتي المغربي
المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر	البروفيسور محمد يسين
الباحثة والمتخصصة بمجال العلوم التطبيقية و التكنولوجيا بتونس	الأخت هناء الجندوبي التونسية
الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر	د. قاضي عبدالرشيد الندوي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري كشمير	الدكتور شمس كمال أنجم
رئيسة قسم اللغة العربية سابقة بالجامعة	عرفاني رحيم

مجلة التلميذ
مجلة عربية أدبية شهرية
تصدر عن مركز الثقافة الندوية
بانتة جوك سرينجر كشمير

الرئيس العام

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري

نائب الرئيس العام

الدكتور ريجان اختر القاسمي

مديرة التحرير

الدكتورة نور أفشان الصالحاتي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعدوه

1- الدكتور محمد إرشاد الحق

2- الدكتور عنايت الله واني الندوي

3- الدكتور فاروق أحمد مير القاس

4- د. محمد ريجان الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الهمة رمز القمة

رئيس التحرير:

إن حيازة مناصب المجد والكرم وتبوء أعلى الدرجات والمنازل من العلم والفضل، أمر بعيد المنال ومتعذر الحصول لكل من خمدت نارهمته وفترت قوة عزمته، إلا من أوتى قدرا وافرا من الهمة والجرأة وحظا سعيدا من العزيمة والجرأة فهذا كله من متناول أيديه، هذه هي حقيقة كونية لا يجدها جاحد ولا ينكرها منكر، ولكن الثانی الذكر هذا، لا يتسلم هذه المكانة المرموقة بسهولة و هون كما يبدو بادئ ذي بدء، بل يذوق أولا مرارة الحياة وحلوها طوال سنين ويخوض أمواج فوق أمواج من بحر الجهد والكد، تستغرق من العمر غير قليل من الليل والنهار، ويتعرض كثيرا من الأخطار الهائلة والتهديدات العنيفة التي قد يشيب دونها الشباب و يفنى ورائها الشيوخ، ثم إذا يتمكن من الحصول على هذه القدرات من الرفعة والعظمة التي يغبطه بها كل من الأصدقاء والأعداء، ويتحير عليه من الناس، الجبناء والكسول الذين لا يملكون من الحياة إلا الأحلام الفارغة والأمانى التافهة، وبإمعان النظر في التاريخ الإسلامي و من نشأ فيه من العباقرة والنوابغ، نجد غير واحد من رجال العلم والفن الذين خلدوا أسماءهم في زاوية التاريخ إلى أن تقوم الساعة وخلفوا من الآثار ما أصبح مثالا رائعا ورمزا أساسيا لكل من تخلفهم في هذا المجال و هذا حذوهم في السعى والاجتهاد، وبنى بناء شامخا على أنقاض هذه الإنتاجات الباهرة التي تهر العيون وتبهج القلوب وتبرد غلة العطشان وترشد الحيران، ولم يحلوا مجالا، علميا كان أو أدبيا، دينيا كان أو دنيائيا إلا وفيه لهم صولات وجولات ومجهودات لأبأس بها، وهنا نذكر منها خاصة ما يلقي ضوء وجيزا على الأدب والفن والصحافة العربية الأدبية التي أثرت المكتبة العربية منذ أمد بعيد بغزارة عددها و وفور علمها وعلو شأنها وميزتها المنفردة، وهما أثرت في المجتمع العربي والإسلامي أثرا بليغا في سبيل الرقي والتقدم وزادته إزدهارا نحو الأدب والفن، والحق أن الأدباء هؤلاء تناولوا ما اجتهدوا له وما سعوا في سبيل حصوله وتمكنوا اليوم من القيام على قمة الفوز والنجاح لما فطروا عليه من الهمة العظيمة المدهشة، ويحصد خلفهم جيل بعد جيل ثمار كل ما زرعوا ويجنون قطوف ما غرسوا في حقول الأدب والفن من المعالم والطرق التي لا تزال تهدي الباحثين والناشئين والمبتدئين من الواردين في هذه الحقول الفنية الأدبية إلى الصلاح والنجاح، وتفتخر اللغة العربية نفسها بهم على أنها أصبحت اليوم من إحدى اللغات

العالمية العظيمة التي جعلتها جمعية الأمم المتحدة لغة رسمية لها، وهذا مما بذله هؤلاء الأدباء العظام من المجهودات المكثفة والخدمات الجليلة نحو هذه اللغة الكريمة، ومن شأنها الرفيع أنها تدرس في عصرنا الراهن على المستوى العالمى وطار صيته بين مشارق الأرض ومغاربها، ولا المسلمون فحسب يحبونها بصفتها لغة القرآن والسنة ولغة العلوم الإسلامية بل الذين ليس لهم أية صلة بالدين الحنيف وهم الأجانب والغرباء وحتى بعض منهم من يكونون في صدورهم العداوة والبغضاء ضد الإسلام والمسلمين ولكن رغم ذلك نجدهم منحنين أمام هذه اللغة المباركة إذلالاً وإنكساراً، ويقدمون تحياتهم بشكل خدمات جليلة إليها ويقومون بتدريسها وتعليمها وتوزيعها بطرق مختلفة في بلاد العالم المختلفة.

نظراً إلى كل ما بذله سلفنا من التضحيات والهمم وما يقدمونه معاصروننا من الأدباء والكتاب في عصرنا الراهن من المساعي المشكورة تجاه هذه اللغة الكريمة التي خلدها الله سبحانه وتعالى بإنزال رسالته الخالدة بها، طلعت محاولة متواضعة في هذا الخصوص، تهدف إلى المساهمة في سبيل خدمة لغة القرآن والسنة، من بقعة أرضية جميلة تجذب إليها قلوب الناس وتمتع عيونهم ببهاءها وروائها، يقرض لها الشعراء الشعر فخرأ لهم، ويقوم كتاب نثر بوصف جمالها البارع اعتزازاً لهم، ألا وهى بقعة "كشمير" الجميلة.

و بإصدار مجلة " مجلة التلميذ" التي تركز جهودها منذ سنوات لازدهار اللغة العربية وآدابها، وهى أولى مجلة من هذا القبيل تصدر باللغة العربية من منطقة كشمير التي أغلبتها المسلمون، لتحبيبها لديهم وتقريبهم إلي دينهم الحق " الإسلام " من خلالها، ومن أهدافها الأساسية أن تبذر بذور الحب الخالص والود العميق للغة العربية في قلوب المسلمين وكل من له صلة أو ارتباط بلغة الضاد، ومن فضل الله وعونه أن المجلة رغم قلة عمرها من النشأة قد دوى صيتها بين كل من القريب والبعيد والقاصي والداني حتى تجاوز الأعجم إلى العرب، وأشاد بخدماتها ومساعدتها كثير من الكتاب والأدباء البارعين من داخل الهند وخارجها، والمجلة دائماً تدعوكم جميعاً إلى المشاركة والمساهمة فيها بتقديم مقالاتكم الأصيلة واقتراحاتكم النافعة المثمرة.

كلمة التشجيع والإشادة:

لماذا أحبُّ تُرابك يا وطن؟

الأستاذ محمد مظفر حسين الندوي

لا أحب كشمير لأنها موطني و بلدي و لا أثرها على مكة المكرمة والمدينة المنورة مهبط الوحي السماوي و مسكننا رسولي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا أحبها لكونها جميلة فتانة خلابة محاطة بالجبال الراقصات الشامخات المخضرات بالأشجار النظيرة الطرية، لا أحبها قط لأنها الجارية الصافيات التي تتخلل بين مساكنها فتزيد إلى روعتها وجمالها ، و لا أحبها ببخيرات المعروفة الصيت في العالم ، و لا أحبها لإصدارها الفواكه المتنوعة منها التفاح واللوز والجوز، ولا أتحنّ إليها لحياكة أهلها السجاجيد والشيلا، لا أحبها لأنني استقي من مائها و استفرش أرضها و استظل بسماؤها و استنشق هواءها و استمتع بمشاهدها و مناظرها الخصبة الجذابة.

نعم! أحبها لأنها أمست سكني الفطاحل و الفحول و العباقرة من العلماء ومأوى السادات الأجانب من آسيا الوسطى الدعاة إلى الله بغير أن يملأوا الخافقين بما فعلوا ولم يصبحوا مثلاً قرانياً "يُحْبُونَ أَنْ يُخْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا" قدموا ما حقه التقديم وأخروا ما يجدر بأن يؤخروا غيرهم وجرى الثقافة والحضارة و تيار العقائد الوثنية الفاسدة ، فأسست مدارس و دور للعلوم و دور الترجمة و وضعت دور لإقامة الطلاب في وقت لم تكن الهند القديمة تعدها في ذلك عهد الشاه ميري في القرن الثالث عشر الميلادي ، فخرجت علماء أمثال أصبحوا أستاذة لأجلة علماء الهند ودعاتها المرموقين فالمجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي، و مولانا قاسم شاه النانوتوي منشئ دار العلوم بديوبند والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، و مولانا مملوك على النانوتوي و مولانا مظهر بن الشيخ لطف على، و السيد أحمد خان منشئ جامعة عليكرة الإسلامية ، و مولانا خير الدين و الدمولانا آزاد و غالب الشاعر قد تتلمذوا على علماء كشمير و أخذوا عنهم العلم والمعرفة .

لست وطنياً أنا وارث أولئك الأمثال ولدت حيث وُلدوا و انتمي إلى ما ينتمون أحب كشمير لحبي إياهم وأحبهم لإنقاذهم كشمير من ضلالة الوثنية إلى هدى التوحيد. لا أحب الدُراویش و الرهبان، أحب العلماء العاملين و الدعاة، أحب العمل والعامل، أحب الحركة لا الجمود و لا حبذا الكسلان و الكسلى و من بين الذين أحبهم النشيط الفعال العامل ولا أعني به إلا الدكتور معراج الدين الندوي الحامل مسؤولية الباحثين والناشئة من طلبة اللغة العربية منشئ مجلة "التلميذ" الذي لا يزال يصدرها باستمرار منذ سنين على نفقاته المحدودة مهما كلفته من عوائق و معاطب لا يسده ساد في سبيل إصدارها يواجه كل شيء بطلق الوجه و بشاشة النفس بشبابه الغض الموفور المتدفق نشاطاً و عقله المتوقد الوضاء الناضج و قلبه الفتي الطري لا يعرف كلالاً و لا ملالاً ، لا يتحرى من ذاك استمالة الأهواء و إثارة الغرائز -كشأن بعض الجرائد بلغة الضاد في العالم العربي - العائسة الساعية في الأرض فسادا إن عناوينها و مضامينها وما تحوى من مواد دسمة تتعلق باللغة والأدب و الدين لتنم عن أغراضها وأهدافها السامية الشريفة.

نتوقع أن هذه المجلة لجلالة هممتها لتزاحم المجلات العالمية في العالم العربي بالمناكب، هنياً لك يا دكتور على مواصلة عملك بغير فتور، وسلاماً لك منّا و من جميع الباحثين على تغلبك على العوائق والمعضلات كلها.

نسأل الله السداد والتوفيق ومواصلة العمل، والله ولى التوفيق

العلامة محمد انور شاه الكشميري محدثاً

(1292-1352هـ)

الدكتور فاروق أحمد مير القاسمي¹

إن كشمير بصفتها أجمل منطقة في العالم، يتردد فيها غير قليل من السياح من أرجاء العالم كل سنة لتقر أعينهم بما وهبت هذه البقعة الأرضية من الحسن والجمال ما لم يتوفر لغيرها من المناطق الشهيرة العالمية التي يطأها الناس، وهذا جانب من جوانب كشمير المتنوعة، يعترف به كل ممن له إلمام بكشمير ولكن الجانب العلمي الذي تذخر به كشمير وتموج، غاب عن الناس ولا يعلم به إلا قليل من المثقفين والدارسين، وأما الجمال العلمي هذا، فيتألاً على أفق كشمير منذ اعتناقها الإسلام و ورود رسالة التوحيد إليها، ومن هذه الناحية أنجبت ولایتنا هذه، كثيراً من رجال العلم والفن الذين لفتوا أنظار العالم إليها كما يلفتها الطبيعي، وعدد هؤلاء العباقرة الفذة غير قليل، ولا يسعه هذا المقال الوجيز، ولذا أتناول في هذا المقال شخصية من بينهم عظيمة القدر ورفيعة الشأن التي مازالت ولا تزال تفتخر بها كشمير وتغبط، وهي شخصية المحدث الكبير، العلامة محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى، شيخ الحديث بدارالعلوم ديوبند،

وللعلامة الكشميري نواحى عديدة لحياته في المساهمات العلمية والدينية والأدبية وترويج العلوم الإسلامية، من القرآن والحديث والفقه الإسلامي وأصولها والعلوم الآلية المتعلقة بها، واستعرض هنا من هذا الجوانب، جانباً واحداً يرتبط بالحديث النبوي الشريف، الذي بذر له بذرة لم يسبقه فيها أحد من العلماء و أهل العلم في شبه القارة الهندية، ثم التزمه العلماء الذين تولوا من بعده منصب تعليم الحديث الشريف، ونحو فيه نحوه، وقبل تقديم مساهمات العلامة الكشميري في علم الحديث ومنهجه المتجدد فيه، أشير إلى حياته الذاتية إشارة وجيزة ليتعرف القارئ على بذور هذا العلم الفهم المنقطع النظير.

ولد العلامة الكشميري يوم السابع والعشرين من شوال عام 1292 هـ في قرية "دودھوان" من قرى "وادی لولاب" التابعة لمديرية كفواره، بولاية كشمير، جنة الأرض وزهرة الربيع الدائم،¹ لأب عالم كبير، الشيخ معظم شاه بن الشيخ عبد الكبير، ولأم صالحة متدينة. بدأ العلامة يقرأ القرآن عند والده وهو في الخامسة من عمره، وانتهى منه في عامين ثم أخذ يشرع في قراءة الكتب الفارسية نظماً ونثراً مع عدة من الرسائل في الإنشاء وبعض الكتب في الأخلاق،²

ولما فرغ العلامة من الفارسية طفق يدرس العلوم الإسلامية لدى علماء كشمير، حتى أكمل الصرف والنحو والتفسير والحديث والفقه الإسلامي وشيئاً من علوم الفلسفة والمنطق والهيئة وغيرها، ثم توجه إلى علماء "هزاره" المنطقة الواقعة تحت حكم باكستان اليوم، وكانت ملجأ ومأوى لطلبة العلوم الإسلامية آنذاك، مكث

1 الأستاذ المساعد بجامعة كشمير سرينجر ، drfarooqqasmi@gmail.com

هناك ثلاث سنوات عند فحول علمائها ولكن ظمأه لم يرو ولم ينته بل تزايد وتساعد مع مرور الزمن فلذا شد الرحل إلى دارالعلوم ديوبند لتحصيل مزيد من العلوم والفنون الإسلامية والعربية، وكان العلامة الكشميري قد سمع عن شهرتها وصيتها و علمائها الجهابذة الراسخين في العلم والعمل، ولما ورد العلامة دارالعلوم ديوبند فوجد هناك حسبا توقع ضآلته المنشودة، وأدرك أن علمائها قد جمعوا الزهد والتقوى إلى الحذاقة والدقة والنبوغ في علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة، التي بلغت ذروتها وفاقوا أقرانهم، وكان يترأسهم الشيخ محمود الحسن الديوبندي رحمه الله، أحد أشهر المحاربين لحرية الهند ضد الإمبراطورية البريطانية، تلمذ العلامة على الشيخ محمود الحسن والشيخ محمد اسحاق الكشميري ثم المدني في الحديث الشريف، كما يقول العلامة بنفسه: "قرأت صحيح البخاري وسنن أبي داوود وجامع الترمذي والجزئين الأخيرين من الهداية للمرغيناني على شيخ العالم شيخنا محمود الحسن قدس سره، وصحيح المسلم وسنن النسائي وسنن ابن ماجة على الشيخ محمد اسحاق الكشميري رحمه الله تعالى"3

انكشف في دارالعلوم مواهب العلامة المخفية وقدراته المستورة في ذاته، عن درك وإدراك جميع العلوم الإسلامية والأدبية العربية وخاصة في علم الحديث النبوي الشريف حتى صار من كبار المحدثين في عصره، وشهد به فحول العلماء من الأمة الإسلامية ومنهم الشيخ العلامة حافظ الحديث على الحنبلي اليمنى ثم المصرى الذى زار دارالعلوم ديوبند وسمع العلامة يدرس ويشرح الحديث وعلومه فتعجب وتحير على دركه في علم الحديث ورجاله واستيعابه جميع علومه الإسلامية، فهفا هفواً واضطرب اضطراباً ولم يصبر حتى قال بعد انتهاء درس العلامة الكشميري: "لقد سافرت من الشام إلى الهند وزرت كثيرا من البلاد الإسلامية، ودرست بنفسى الصحيحين بمصر ولكن ما رأيت مثل هذا العالم التحرير قط، حاولت ولكن لم استطع أن أسكته لا مثيل لضبطه وإتقانه وتبحره الجامع"4.

وقال صاحب "مجلة المنار" العلامة رشيد رضا المصرى رحمه الله عن العلامة الكشميري بعد أن زاره في دار العلوم ديوبند "ما رأيت مثل هذا العالم الجليل قط" ورأى شاعر المشرق العلامة الدكتور محمد إقبال رحمه الله عنه في حفلة تأيين انعقدت بـلاهور بعد وفاة العلامة الكشميري "إنما يعجز تاريخ الإسلام الأخير لخمسمائة سنة أن يأتي بمثيل الشيخ أنور شاه"5. وكان العلامة مطبوعا ومشغوبا بمطالعة الكتب لاسيما كتب الحديث، فطالع بعد الصحاح الستة ما أمكن له من كتب الحديث الأخرى ومنها: مسند الدارمى ومسند أحمد ومنتقى ابن الجارود ومستدرک الحاكم و سنن دارقطنى و مصنف ابن ابى شيبه و مجمع الزوائد للشيخ نور الدين الهيئى وجامع الصغير للسيوطى وكتر العمال للمتنقى الهندى وما اطلع عليه من المخطوطات و المطبوعات فى أرجاء الهند و ديار الحرمين الشريفين وما فى علم الله سبحانه وتعالى6. وفى هذا الصدد يزيدنا علماً تلميذه الرشيد، الشيخ محمد يوسف البنورى رحمه الله "طالع الشيخ من شروح الحديث ما يربو عدده على مأتين، وقد طالع مما يتعلق بالصحيح للإمام البخارى فقط من نحو ثلاثين شرحا من مخطوط ومطبوع، وفيها مثل فتح البارى فى ثلاثة

عشر جزء، وجزء من مقدمته وعمدة القارى للشيخ العيني في أحد عشر جزء، وإرشاد السارى للقسطلانى في عشرة أجزاء، ثم كان يطالع مع درس الصحيح في عهد تعلمه فتح البارى درسا درسا، وكانت مطالعته الفتح تسبق درس الصحيح بكثير، وسمعت من الشيخ بنفسه يقول: إني مرضت في تلك الأيام سبعة عشر يوما ولكن لما حضرت الدرس رأيت أنه لم يصل الدرس إلى موضع بلغت إليه مطالعتي: وكان قد طالع متن الصحيح للإمام البخارى ثلاث عشرة مرة من غير أن يلاحظ ما بين السطور والهوامش"7.

ولما عين العلامة مدرسا في دار العلوم ديوبند فاشتغل بتدريس الصحيح للبخارى و سنن الترمذى وبقي مشغلا بهما بكل اتقان وتحقيق حتى انتهت إليه الرئاسة في الحديث، وأذكر فيما يلى بعض ميزات منهج العلامة الكشميرى في تدريس الحديث النبوى الشريف :

اولاً. أنه كان يستوعب أدلة المذاهب بما لها وما عليها في أحاديث الأحكام حسبما يرى العلامة. ثانياً. أنه كان يلخص ما يوجد في كلام الشارحين عن تلك الأحاديث. وإن كان في الكلام بسط فيأمر الطلاب بمراجعة الشروح، ويزيد عليه بما عنده من الأبحاث الدقيقة والآراء المهمة مما جمع الله في صدره المتلاطم بالعلوم والمعارف.

ثالثاً. أن العلامة كان يتعرض لكثير من مشكلات العلوم، وكان يذكر لحلها نفائس من عنده، فكان يتكلم فيها كمسلك المحققين من قدماء المتكلمين.

رابعاً. وكان الكشميرى ينتقى غرر النقول من شروح كتب الحديث، كأنها ورقة موضوعة بين يديه، يذكر منها ما يشاء ويترك ما يشاء.

خامساً. كان من خصائص درسه أنه كان يضع كثيراً من أمهات كتب الحديث متناً عنده، ولما يجد مشكلة أو ضرورة في متن الحديث أو سنده فيفتح كتابا يتعلق بالموضوع، فكان درسه كتابا واحدا من كتب الحديث، درس جميع الصحاح الستة بل ما عداها8.

مؤلفات العلامة الكشميرى في الحديث:

1. فيض البارى على صحيح البخارى: وهو من أماليه في درس الحديث، ومع ذلك هو يساوى شرحا وافيا لصحيح البخارى، في أربع مجلدات ضخمة، وقد قام بجمعه تلميذه الرشيد، الشيخ محمد بدر عالم ميرتهى رحمه الله، وعلق عليه تعليقات أنيقة نافعة جدا، وطبع بصر سنة 1357 هـ، على نفقة المجلس العلمى بالهند.
2. العرف الشذى من جامع الترمذى: هو أيضا من أماليه في درسه على جامع الترمذى، في صفحة 488، جمعه تلميذه الشيخ جراح لنفسه، في غاية السرعة والارتجال ثم طبعه تلبية لبعض الطالبين لعلوم العلامة الكشميرى.
3. أماليه على سنن أبى داؤود: طبع منها جزء واحد فقط.
4. أماليه على صحيح المسلم: ضبطه الشيخ مناظر أحسن الجيلانى- الأستاذ بالجامعة العثمانية بحيدرآباد دكن- من أصحابه ولم تطبع.

5. حاشيته على سنن ابن أبي ماجة: كانت موجودة، مدة طويلة لدى الشيخ السيد محمد إدريس، لكن اليوم لايدري أين هو؟.
 6. فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب: هذا الكتاب يحتوى على جزء متوسط في 104 صفحة، ويلقى ضوء على حديث الفاتة خلف الأمام.
 7. خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب: يشتمل على الموضوع السالف الذكر، وهو بالفارسية ألفه العلامة في يوم أو يومين في أيامه البدائية لتدريسه في دارالعلوم ديوبند، علق عليه أستاذه العلامة الشيخ محمود الحسن الديوبندي، فأثنى على دقة نظره وعمق تحقيقه وسعة علمه في هذا الباب.
 8. نيل الفرقدين في رفع اليدين: يحتوى هذا الكتاب على 145 صفحة، قال العلامة في مقدمة هذا الكتاب " هذا نبذة في مسألة رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وبين السجدين وبعد الركعتين، سميتها " نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين " وإنما أردت بها أن بيد كل واحد من الفريقين وجهها بوجهين، وهما على الحق من الجانبين وليس الاختلاف اختلاف النقيضين، بل اختلاف تنوع في العبادة من الوجهين، وإنما بقى الاختلاف في الأفضل من الأمرين.
 9. بسط اليدين لنيل الفرقدين: حاول العلامة في هذا الكتاب التطبيق في الروايات المختلفة في هذا الباب بين الأئمة الفقهاء والمحدثين أى في موضوع رفع اليدين.
 10. كشف الستور عن مسألة الوتر: ذكر فيه الاختلاف بين الأئمة في الوتر ثم بين تحقيقه فيه.
 11. التصريح بما تواتر في نزول المسيح: كتبه رداً على الفرقة القاديانية الضالة التي تعتقد أن المسيح عليه السلام توفي ولم يرفع إلى السماء ولا ينزل قرب الساعة، 9.
- ظل العلامة الكشميري عاكفا على التدريس والتعليم والإفادة الطلبة لعلوم النبوة، طوال حياته المباركة منعزلاً إلى مطالعة كتب الحديث والتفسير والفقه وما يتعلق بذلك، واستفاد منه خلق كثير من الطلبة والعلماء حتى وافته المنية سنة 1352، وغربت هذه الشمس لعلوم النقلية والعقلية، للأبد، قريبا من بيته في مصلى العيد بديوبند.

الهوامش

1. نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور: لمحمد يوسف البنوري.
2. نزهة الخواطر: لعبد الحى اللكنوى.
3. نقش دوام: لأنظر شاه المسعودى.
4. الأنور: لعبد الرحمن كوندو.
5. أنوار أنورى: لمولانا محمد أنورى لائلورى.
6. مقدمة على " التصريح بما تواتر عن نزول المسيح: لعلامة أبو الفتح أبو غدة.
7. سيرة أنور: لمسعود أحمد القاسمى.
8. مقدمة أنوار البارى: للشيخ رضا أحمد البجنورى.
9. معارف السنن: للشيخ محمد يوسف البنورى.

العلامة صديق حسن خان القنوجي مفسراً

(1832 – 1890م)

بشارت أحمد شاهين²

shaheenziye@gmail.com

المدخل: مما لا شك فيه أنّ العلماء الهنود من الشعراء والأدباء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمؤرخين لهم إنجازاتهم العلمية والأدبية والإسلامية والتاريخية في باللغة العربية، ومرجعها احتكاك أهل الهند بالعرب عن طريق التجارة وهي أولى علاقات وثيقة بين الدولتين منذ أقدم العصور تاريخياً، وأثرت ثقافة وحضارة العرب على ثقافة الهند وحضارتها ولا نزال نرى تأثير العربية على الهند وأهلها حتى يومنا هذا إذ لا نخوض تفاصيلها هنا. فمقالتي هذه تدور حول حياة العلامة صديق حسن خان العالم الجليل والمفسر الكبير والأديب الشهير. له إسهامات علمية لا يستهان بها في العديد من المجالات العلمية الإسلامية من علم التفسير وعلم الحديث وعلم التاريخ وعلم اللغة والتراجم. وما إلى ذلك من المجالات العلمية والأدبية الأخرى. تبرز المقالة إنجازات العلامة صديق حسن خان في علم التفسير، ونبذة من حياة الشيخ العلمية وأسرته، وتقوم بدراسة جهوده في علم التفسير الذي ألف فيه "فتح البيان في مقاصد القرآن".

إن الدراسات الإسلامية عُنيت بها في شبه القارة الهندية منذ أقدم الزمن، يعنى منذ علاقتهم التجارية بالعرب، ولعلماء الهند إسهامات في مجالات العلم والبحث والتأليف، وكانوا منصرفين إلى التدريس والتأليف مستقرين بها، وقاموا بقمع البدع والضلالة من المجتمع، ولهم نشاط عظيم في نشر الدين والإسلام بين أبناء الهند، وبجهودهم المشكورة دحض الباطل ورسخت مبادئ الإسلام العقيدية وبقيت روح الإسلام في الشعب المسلم الهندي، وبجانبها جهودهم إلى نهضة روحية وفكرية في تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند.

وهكذا اعتنى هؤلاء العلماء بنشر الدراسة القرآنية في شعب هذه المنطقة، وبدأت النشاطات القرآنية في شبه القارة الهندية دراسة وفهما وتفسيرا وتعليما منذ دخول الإسلام في هذه الأرض بواسطة التجارة، ومع هذه العلاقة نشطت العلاقة الثقافية والأدبية والاجتماعية، واهتموا بإنشاء المدارس والمساجد والمكتبات لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في فترة مبكرة، وكان عندهم حلقات التجويد لإصلاح قراءة القرآن، من أهم الكتب في الدراسة القرآنية مثل: (الدرر الفريد في القراءة والتجويد) للشيخ المحدث الدهلوي، و (الشاطبية) للشيخ محمد صديق الكاكوري، و (زينة القارئ) للشيخ كرامت علي الجونفوري، و (جمال القرآن) للشيخ أشرف علي التهانوي، وهذه الكتب تشير إلى ازدهار علوم القرآن في شبه القارة الهندية³.

² باحث بكلية دراسات العرب، قسم اللغة العربية، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد

³ . العماد الحسن : آزاد هندوستان مين إسلامي علوم و أدبيات، مكتبة جامع نئی دهلی سنة 1982 م ص 44

نشطت بها الدعوة الإسلامية في الهند و بهذا الطريق انتشر الإسلام يعنى بطريق الدعوة و الهداية و دخل كثير من الهندوسيين في الإسلام بفضل الدعاة المخلصين من الصوفية و المشائخ و التجار و الربانيين⁴. لعب هؤلاء العلماء دورا حيويا في نشر العلوم القرآنية و تفسيرها، وأصبحت هذه العلوم خير و أهم وسيلة لترويج الإسلام بين الشعب و الأمم، ولهم أثر بليغ في المحافظة على الدين و الشريعة و الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وبذلوا جهودهم المضنية لاصلاح الأمة المسلمة و سعادتها، وتركوا لنا ذخيرة ضخمة من التراث العربي الأصيل من كل فن و لون و من بين أولئك العلماء البارزين الأمير الشيخ صديق حسن خان القنوجي.

نبذة من حياة الأمير الشيخ صديق حسن خان القنوجي:-

هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري، و نسبه شرف كبير حيث تنتهى شجرته إلى سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول هو نفسه: "أنا صديق بن حسن بن علي بن لطف الله بن عزيز الله بن لطف علي بن علي أصغر بن سيد كبير بن تاج الدين بن جلال رابع بن سيد راجوا شهيد بن سيد جلال ثالث بن حامد كبير بن ناصر الدين محمود بن جلال الدين بخارى بن أحمد كبير بن جلال أعظم بن علي مؤيد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن علي أشقر بن جعفر ذكي بن علسقى بن محمد تقى بن علي رضا بن موسى كاظم بن جعفر الصادق بن محمد باقر بن علي زين العابدين بن حسين السبط بن فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم⁵.

ولد الشيخ القنوجي سنة 1248 للهجرة الموافق 1832 للميلاد في مدينة قنوج التي تقع بالقرب من مدينة كانفور، وكان أبوه الفاضل حسن بن علي عالما بارعا و شهيرا بالورع والتقوى، تلقى التعليم الإبتدائي من أبيه وكان أبوه بجانب الدعوة الإسلامية أكب على تأليف الكتب، فمن أهم كتبه "الإختصاص ببيان الحدود و القصاص" و "تقوية اليقين في الرد على عقائد المشركين" و "نور الوفاء من مرآة الصفا" و "رسالة في معنى الكلمة الطيبة" و "رسالة في رد التعزية و القريج" و "رسالة في آداب التذكير" و "رسالة في آداب البيعة"⁶. أساتذته: 1. الشيخ محمد نور 2. الشيخ مرزا حسن علي 3. الشيخ رفيع الدين 4. شاه عبدالعزيز ابنا الشيخ شاه ولي الله الدهلوى⁷.

قد تزوج الشيخ صديق حسن خان سنة 1277 للهجرة بذكية بيغم، وقد رزقه الله سبحانه وتعالى منها بابنين وهما السيد نور الحسن و السيد علي حسن، و بعد وفاتها تزوج الشيخ ثانيا بملكة بهوفال وهي شاهجهان

4. العلامة أبى الحسن على الندوى: المسلمون في الهند، دار إبن كثير، دمشق، بيروت سنة 1999م ص202.

5. القنوجي: صديق حسن خان: إبقاء المنن بإلقاء المحن (السيرة الذاتية) مطابع الشاه جهانى بهوفال سنة 1305 للهجرة ص70.

6. القنوجي، صديق حسن خان : أبجد العلوم ج3 ، مطبع دار الكتب العلمية بيروت سنة 1998 م ص268.

7. هو حكيم الأمة مجدد الدين علامة الهند الشاه ولى الله المحدث الدهلوى، ولد سنة 1114 الهجرى الموافق 1703 الميلادى، عاش الشيخ في أسرة علمية كان أبوه الشيخ عبد الرحيم هو كان مدير المدرسة الرحيمية و كان عالما نابغا. من أهم كتب الشيخ شاه ولى الله الدهلوى (حجة الله البالغة) و هو على فلسفة الدين و الإسلام، و من كتبه في التفسير (الفوز الكبير في أصول التفسير) و إزالة الخلافات عن خلافة الخلفاء و هذا الكتاب عديم النظير في بابيه في شرح المباحث و المسائل الخاصة بالخلافة الإسلامية و السياسية الشرعية بأصولها و فروعها . الأستاذ محمد بشير السيكالوتى: الإمام المجد المحدث الشاه ولى الله الدهلوى، حياته و دعوته، دار إبن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1420 الهجرى الموافق 1999 الميلادى ص8.

بيغم⁸ سنة 1285 للهجرة، وهي كانت متأثرة لخبرته في تدير شئون الدولة والصدقة والأمانة والذكاء الحازق بالإضافة إلى غزارة العلم والمعرفة⁹. يقول عنها العلامة الحسني: "وكانت صاحبة الفضل، والكرم، وربّة النعم، عمرت الديار، وأسست المدارس العلمية، وبنيت المساجد العظيمة، وقرّرت الوظائف الفخمة، وحفرت الآبار، وغرست الحدائق والأشجار، وأحدثت العمائر الكبار، وأسبلت ذيول المنح والعطايا على أهل الفضل من أهل الهند، وأهل الحرمين الشريفين، واليمن، والعراق، والشام وغيرها من البلاد، وأعطت الطلبة ألوفا من المصاحف والكتب الدينية، وأوقفت أرزاقا كثيرة على الفقراء والمحاويج....."¹⁰.

وهو يقول عن زوجته شاهجهان بيغم في سيرته الذاتية كما نشرت هذه القطعة المنقولة في جريدة "صوت الأمة"، يقول: "ولله الحمد على أنه لم يقع بيني وبينها أي الزوجة الملكة لا قبل النكاح ولا بعده أمر غير ملائم ولا مخالف للشرع مما يمكن أن يعده حاسد أو حاقد من الظن السوء، والله على ما نقول شهيد" وكذلك يقول عن زوجته الأولى السيدة ذكية بيغم يقول: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة، فقد رضيت عنها وبرأت ذمتها عن جميع الحقوق التي كانت لي عليها، وسامحتها عن كل ما صدر منها من التقصيرات والزلات، غفر لنا ولها وجمعنا في دار كرامة ورحمة"¹¹.

ولقب العلامة القنوجي بأمير الملك، إن الحكومة البريطانية المستعمرة لما رأت أن مملكة بهوفال الجديدة جعلت زوجة الشيخ صديق حسن خان شريكة حياته، والأمير صديق حسن خان شريكا في الحكم والحكومة اضطرت إلى تتويجه بلقب "عالى جاه" أي "أمير الملك"، وأصدرت مرسوما بتعظيم الشيخ القنوجي في سائر الهند رسميا، وفي آخر عمره أصيب الشيخ بمرض الإستسقاء حتى لى نداء ربه سنة 1307 للهجرة، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته¹² معاصره:

1. الشيخ محمد بن حسين اليماني من اليمن.
2. الشيخ السيد نعمان بن محمود الألوسي من العراق.
3. الشيخ ذوالفقار أحمد البهوفالي.
4. الشيخ محمد قاسم النانوتوى مؤسس جامعة دار العلوم بديوبند.
5. الشيخ نذير حسين الدهلوى.

⁸. و هي شاخ جهان بيغم ولدت سنة 1254 للهجرة كان أبوه الأمير جهانكير خان توفي حينما هي في التاسعة من عمرها، تولت الإمارة بعد أبيها أمها وأدارت شئون الحكومة ، وفي سنة 1285 للهجرة تولت شاهجهان بيغم غلى صولجان الحكم، و توفيت سنة 1319 للهجرة. الدكتور محمد اجتباء الندوى: الأمير سيد صديق حسن خان حياته و آثاره، دار ابن كثير، دمشق بيروت الطبعة الأولى سنة 1999 الميلادى ص113.

⁹. القنوجي: صديق حسن خان، إبقاء المنن بإلقاء المحن (السيرة الذاتية)، مطابع الشاهجهانى، بهوفال سنة 1305 للهجرة ص48.

¹⁰. الدكتور محمد اجتباء الندوى: الأمير سيد صديق حسن خان حياته و آثاره، دار ابن كثير، دمشق بيروت الطبعة الأولى سنة 1999 الميلادى ص114.

¹¹. صوت الأمة: مجلة شهرية إسلامية أدبية تصدر عن دار التأليف والترجمة بنارس، العدد الحادى عشر نوفمبر 2012 الميلادى، ص4. راجع الأصل السيرة الذاتية إبقاء المنن ص127 وص236.

¹². Pakistan Journal of Islamic Research vol -10 Page No 200.

6. الشيخ عبد الحق الخيرآبادي.
 7. الشيخ فضل الحق الخيرآبادي.
 8. الشيخ أحمد رضاخان البريلوي.
 9. الشيخ الغني عنایت أحمد الكاكوروي.
 10. الشيخ فيض الحسن الأديب السهارنفوري.¹³
- مؤلفاته: نقدم إلى حضرتكم أسماء بعض كتبه المشهورة إذ لا يسعني المقام بذكر سائر كتبه لكثرتها.
1. الإكتير في أصول التفسير.
 2. الإحتواء على مسألة الإستواء، حول موضوع الكلام.
 3. أبجد العلوم، في ثلاثة أجزاء حول العلوم المتنوعة و التراجم.
 4. أربعون حديثاً متواترة، في الحديث.
 5. التاج الكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول.
 6. الشمامة العنبرية في مولد خير البرية، حول السيرة النبي صلى الله عليه وسلم .
 7. رياض الجنة في تراجم أهل السنة، حول التاريخ.
 8. نفح الطيب من ذكر المنزل والحبیب، وهي مجموعة شعرية.
 9. إبقاء المنن بالقاء المحن، حول سيرته الذاتية.
 10. فتح البيان في مقاصد القرآن، وهو تفسير القرآن في عشرة أجزاء.
 11. نيل المرام في تفسير آيات الأحكام.¹⁴

العلامة نواب صديق حسن خان القنوجي كان مواظبا على التمسك بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومتبعا لطريقة السلف الصالحين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و ملتزما بالسنة و رافضا البدع و الخرافات، فكان صاحب المعرفة الواسعة بأسرار التنزيل. و أفضل منهج عنده هو التفسير بما ورد عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم وما رزى عن الصحابة الذي هو منهج السلف، ألف العديد من الكتب، و منها فتح البيان في مقاصد القرآن، هذا الكتاب يتناول علم التفسير الذي ذاع فيه نبوغ القنوجي، و طارت شهرته في الأوساط العلمية داخل الهند وخارجها.

فتح البيان في مقاصد القرآن:

إنه من أحسن مؤلفات الأمير صديق حسن خان في تفسير القرآن الحكيم، وهو من أروع التفاسير و أغزرها مادة ومعنا وفكرا وبياناً، وكان الأمير يعده من أحسن كتبه وأعماله العلمية، ويعتز ويفتخر به، قضى في تأليفه الكثير من الوقت وأنفق الكثير من المال واهتم به اهتماما كبيرا ليظهر كثير النفع وتعم الفائدة،

¹³. المرجع السابق ص 157.

¹⁴الدكتور محمد اجتباء الندوي: الأمير سيد صديق حسن خان حياته و آثاره، دار ابن كثير، دمشق سنة 1999 الميلادي

استفاد المؤلف من كتب المفسرين القدامى، والمحدثين مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام شاه ولي الله الدهلوى، والإمام محمد بن علي الشوكاني.

فألف المؤلف هذا الكتاب في عشر مجلدات ضخمة باللغة العربية، وطبع أول مرة في المطبع الصديقي بإمارة بهوفال سنة 1290 للهجرة، وطبع في مصر بمطبعة بولاق سنة 1300 للهجرة، وبعد ذلك تتابعت الطباعات، وتلقاه الناس بالقبول وأعجب به الناس كثيرا.

ومقدمة الكتاب تزخر بأروع المعلومات والفوائد والمنافع الجليلة، فقد أسهب فيها المؤلف الكلام في شرح علوم القرآن الكريم، وتحدث عن المشتغلين بالقرآن وتفسيره من العصر الإسلامي إلى يومه، وبين درجات المفسرين وطبقاتهم وقيمة كتبهم وميزاتها، ثم أنواع المفسرين ومناهجهم وطرقهم في التفسير، وأخذ كل ذلك بالنقد والتحليل، وألقى الأضواء على محاسن تلك الكتب ومساوئها وأرشد إلى الخير والاستفادة منه. ثم تحدث عن أقسام التفسير فيقول: "ثم إن تفسير القرآن ثلاثة أقسام، الأول: ما لم يطلع الله أحدا من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته، ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه. والثاني: ما أطلع الله سبحانه نبيه عليه من أسرار الكتاب واختصه به، فلا يجوز الكلام إلا له صلى الله عليه وسلم، أو لمن أذن له. قيل: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل: من الأول، وهو الرابع. والثالث: علوم علمها الله نبيه وأمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين: منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، كأسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ، واللغات، والقراءات، وقصص الأمم، وأخبار ما هو كائن، ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ، وهو قسمان: قسم اختلفوا في جوازه، وهو تأويل الآيات المتشابهات، وقسم: اتفقوا عليه، وهو استنباط الأحكام الأصلية، والفرعية، والإعرابية، وكذلك فنون البلاغة، وضروب المواعظ، والحكم، والإشارات، لا يمتنع الاستنباط منه، لمن له أهلية ذلك، وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي، الذي نهي عنه، وفيه خمسة أنواع:

- (1) التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.
- (2) تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.
- (3) التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلا، والتفسير تابعا له، فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفا.
- (4) التفسير بأن مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل.
- (5) التفسير بالإستحسان، والهوى، والتقليد.

أقول: إن التفسير الذي ينبغي الإعداد به، والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة، ومجازا، وإن لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية، فإن ثبت فهي مقدمة على غيرها، وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أقدم من كل شيء، بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشيء آخر. ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، فإنه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى جل جلاله ولم يسمع في ذلك شيئا عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دقها وجلها¹⁵. ثم تكلم عن التفسير بالدراية والرواية، خاليا من الإسرائيليات، والخرافات، والجدل المذهبي، والمناقشات الكلامية. كان الأمير قد أجهد نفسه في تأليف هذا الكتاب، وكان شغله الشاغل إلى أن انتهى من عمله العظيم هذا، وقد حظي الكتاب بقبول عام في الأوساط الفكرية، والعملية، والدينية في العالم الإسلامي. أقاويل العلماء عن تفسيره:

العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي¹⁶ يقول عنه: "قد قام صديق حسن خان شخصيا لما لا تقوم به مجامع علمية، في أكثر الأحيان لكثرة المؤلفات وضخامة الإنشاء وبالجملة إن الشيخ صديق حسن خان كان موسوعة علمية، لم يدون أحد في عصره من علماء الهند أحكام الكتاب العزيز وعلوم السنة المطهرة في العبادة والمعاملة وغيرهما خالصة من آراء الرجال نقية من أقوال العلماء على هذه الكيفية المشاهدة في هذا السفر المبارك (فتح البيان في مقاصد القرآن)¹⁷"

محمد بن عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة¹⁸: يقول عنه معلقا على تفسيره: "فتح البيان أبدع في هذا التفسير الجليل الذي لم يبعد ولا أظن يوجد له مثيل، وسماه بـ"فتح البيان في مقاصد القرآن"، وانتهى فيه لباب التأويل وكشف فيه عن أسرار التنزيل، واعتمد على الآثار الواردة، وترك ضعاف الأقاويل، فلقد أوجده الله سبحانه خادما لكتابه في هذا الجيل، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المخصوص بالتبجيل، فهو أحق بأن يسمى مجدد الألف الثاني لما حواه من حفظ الآثار النبوية بالألفاظ والمعاني، وما منحه الله من فهم الكتاب العزيز والسبع المثاني، فهذا التفسير أعدل مشاهد صادق، ومن لم يسلم فهو مكابر مشاqq، فإن هذا المؤلف من نعم الله سبحانه جل جلاله على هذه الأمة المحمدية صلى الله عليه وسلم ودرثت فيه الآثار المصطفوية¹⁹".

¹⁵ . القنوجي: صديق حسن خان، مقدمة فتح البيان ص 9-10.

¹⁶ . هو علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسيني، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ولد سنة 1333 هـ الموافق 1914م بقرية تكية كلان الواقعة قرب مديرية راني بريلي، من أهم مؤلفاته (سيرة أحمد شهيد) وهو أول الكتاب باللغة الأردية، و (مختارات من أدب العرب)، و (قصص النبيين)، والقراءة الراشدة، و (ماذا خسر العالم بإخطاط المسلمين)، و (التجديد والمجددون في تأيخ الفكر الإسلامي)، و (الصراح بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية)، و (المرتضى) في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. مقدمة: المسلمون في الهند، تأليف العلامة الأستاذ أبي الحسن علي الحسيني الندوي.

¹⁷ . مقدمة فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه و قدم له و راجعه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الجزء الأول المكتبة العصرية صيدا، بيروت، سنة 1416هـ الموافق 1994 م ص 6.

¹⁸ . هو محمد بن عبد الله بن علي بن عثمان بن حميد العامري نسبة والي عامر صعصعة النجدي، ولد في بلدت عنيزة، من أهم مؤلفاته (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) في تراجم الحنابلة، و (النعت الأكمل بتراجم أصحاب الأمام أحمد بن حنبل) و (حاشية على شرح المنتهى) في الفقه و (ملخص بغية الوعاة).

¹⁹ . أفندي: سليم فاري، قررة الأعيان و مسرة الأزهان في مآثر الملك الجليل النواب محمد صديق حسن خان، مطبع الجوانب، قسطنطينية سنة 1289 هـ ص 36.

أحمد بن عتيق²⁰: يقول عنه: " اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور ضوء صادق ذى فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فتفرح بذلك ونسر لغرابة الزمان وقلة الإخوان، وكثرة أهل البدع والأغلال، فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير لكماله، فرأينا أمراً عجيباً ما كنا نظن أن الزمان ما يسمع بمثله وما قرب منه، لما من التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الإستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله، فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشئه وسلامة عقيدته و تبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرم²¹."

المراجع والمصادر

- القنوجي: صديق حسن خان: ابقاء المنى بإلقاء المحن (السيرة الذاتية) مطابع الشاه جهانى بهوفال سنة 1305 للهجرة.
- القنوجي، صديق حسن خان: أبجد العلوم ج3 مطبع دار الكتب العلمية بيروت سنة 1998م.
- القنوجي: صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعاه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الجزء الأول المكتبة العصرية صيدا، بيروت، جمع الحقوق محفوظة سنة 1416هـ الموافق 1994 م.
- القنوجي: صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، مطبعة بولاق مصر 1300هـ.
- الدكتور محمد اجتباء الندوي: الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره، دار ابن كثير، دمشق بيروت الطبعة الأولى سنة 1999 الميلادي.
- العلامة أبو الحسن على الندوي: المسلمون في الهند، دار ابن كثير، دمشق، سنة 1999م.
- الأستاذ محمد بشير السيكالكوتي: الإمام المجد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، حياته ودعوته، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1420 الهجري الموافق 1999 الميلادي.
- العماد الحسن: آزاد هندوستان مين إسلامي علوم ، مكتبة جامع نئي دهلي سنة 1982 م.
- بروفييسور: محمد اجتباء الندوي: تاريخ فكر إسلامي، المركز العلمي، نئي دهلي، سنة 1998م.
- دكتور زبير أحمد: عربي أدبيات مين باك و هند كا حصه ترجمة شاهد حسين رزقي: ادارة ثقافت اسلامية كلب رود لاهور طبع الأول سنة 1973م.
- عبد الرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد، مطبع دار اليمانية، سنة 1394 هـ.
- . أفندي: سليم فاري، قرّة الأعيان و مسرة الأزهان في مآثر الملك الجليل النواب محمد صديق حسن خان، مطبع الجوائب، قسطنطينية سنة 1289هـ.
- صوت الأمة: مجلة شهرية إسلامية أدبية تصدر عن دار التأليف و الترجمة بنارس، العدد الحادي عشر نوفمبر 2012 الميلادي.
- المجلة الشهرية (الشريعة) كانون الثاني سنة 2014م.
- البحث الإسلامي، مجلة محكمة الباكستانية العدد 10 سنة 2012م

²⁰ هو الشيخ المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق ولد سنة 1227 هـ وتوفي سنة 1301 هـ، وهو كان معاصر العالم الجليل الأمير الشيخ صديق حسن خان القنوجي، من مؤلفاته (شرح التوحيد و إبطال التنديد) و (رسالة في بيان النجاة و العكاك) و (رسالة الدفاع عن أهل السنة و الاتباع و الفرق المبين بين السلف و ابن سبعين) و (حياة القلوب) و (التحذير عن السفر إلى بلاد المشركين).

²¹ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ: مشاهير علماء نجد، مطبع دار اليمانية، سنة 1394 هـ ص 245.

الائتلاف العالمي بين المسلمين من أجل لغة الضاد

الأستاذ جاوید أحمد بال²²paljavid@gmail.com

بدأت اللغة العربية تنتشر عالمياً بشكل ملحوظ منذ العقد الماضي ومن الطبيعي أن يرجع إلينا الأمل في استعادة دور لعبته في الماضي في بناء الحضارة الإسلامية وفي استعادة مركزيتها في أمتنا الإسلامية ثقافياً وحضارياً وفكرياً، وبالتالي لتكون وسيلة للترابط بين المجتمعات الإسلامية المعاصرة، فالعوامل التي تدعونا إلى التفاؤل كثيرة منها انتشارها الملحوظ في الآونة الأخيرة واعتماد الصحو الإسلامية عليها و عناية العرب بها في العصر الحاضر و وجود أسواق العمل في الدول الخليجية الثرية وتأثير العولمة و وجود وسائل الاتصال السريعة، وقد تكثفت بالفعل جهود الأفراد والجماعات لأجل إحياء هذه اللغة نطقاً وقراءة وكتابة وتعليماً للناطقين أو لغير الناطقين بها، وبذلك بدأت تحتل مكانة مركزية في التفاعل الثقافي والتعامل الفكري في المسلمين، ومن المعلوم لا تصلح لغة أخرى - أيا كانت- لأن تخل مكانها، لأن العربية تتميز عن غيرها من اللغات بمزايا كثيرة لا توجد فيها منها لغوية وثقافية وتاريخية، حتى لغات أجنبية متقدمة مثل الإنجليزية لا تسد الحاجة للإنجليزية لا تستخدم كلغة ثانية أو لغة العلم في كل بلاد المسلمين وحضرتكم تعرفون أن الإنجليزية ليست لغة العلم في المغرب العربي بل الفرنسية تسود فيها، إذاً هناك هاجس طبيعي في كل مجتمع مسلم أن يتعامل مع مجتمعات أخرى بلغة مشتركة ليس شاطر معها الهموم والأفكار عن قضايا الأمة الراهنة، كما أن المؤسسات الإسلامية العالمية التي تجتهد للتضامن الإسلامي تشعر بحاجة ملحة إلى استخدام العربية كوسيط لخلق بيئة متناسقة في الأمة الإسلامية فكرياً وثقافياً وحضارياً ولا سيما في ظل العولمة التي تستدعي اتخاذ اللغة ذات أفق أرحب وفضاء أوسع كلغة مشتركة، فاللغة المشتركة قبل كل شيء ضرورة اجتماعية وحضارية وثقافية لأبناء أمة يدعون بأنهم كجسد واحد، ولا شك أن العربية تتميز بمزايا كثيرة تؤهلها أن تقوم بهذه المهمة، فهي ترتبط بثقافة وعقيدة لها إشعاع روحي عالمي، ويجد كل مسلم في نفسه صلة روحية وعاطفية مع هذه اللغة، إذاً هي تصلح بجدارة أن تكون لغة مشتركة بين الشعوب الإسلامية ولكن هنا يطرح السؤال وهو هل هناك إمكانات لتحقيق هذا الهدف أم هو حلم بعيد عن الواقع؟ أحاول في هذا المقال أن أستقرأ العوامل التي تجعلنا في موقف التفاؤل من هذه القضية وهي:

أولاً عامل عالمية اللغة العربية

ثانياً عامل انتشارها الواسع في السنوات الماضية الأخيرة

ثالثاً عامل الثقافة الإسلامية

رابعاً عامل الصحو الإسلامية

خامساً عامل وجود معاهد ومراكز ومشاريع ومجامع

²² رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بكلية شويبان الحكومية.

سادس: عوامل العولمة والتقنية التعليمية والمعلوماتية

عالمية اللغة العربية:

تكلم العالم باللغة العربية في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، وتوجد في هذه اللغة طاقات هائلة لابتلاع الحضارات والثقافات ولا سيما من جانبها المعرفي، وفي الوقت الراهن، يستخدم الخبراء في مجال اللسانيات بعض المؤشرات لتقييم مدى عالمية اللغات فمن هذه المؤشرات المؤشر الديموغرافي والمؤشر الجيوسياسي والمؤشر الاستراتيجي ومؤشر ذبوع اللغة باعتبارها لغة ثانية ومؤشر اللغة والمعرفة، وتشير بعض منها إلى عالمية اللغة العربية مقارنة إلى مئات من اللغات التي تفقد حيويتها بمرور الزمان، فهناك ستمائة لغة قد أخذت طريقها التدريجي نحو الانقراض تماما، فعلى الجانب الديموغرافي (أي عدد المستخدمين) يستخدمها أربعمئة واثنين وعشرين مليون نسمة وبخصوص المؤشر الجيوسياسي (أي جغرافيا) أنها لغة رسمية في 22 دولة عربية وقد يستعملها ثلث سكان قارة إفريقيا كلغة أولى أو لغة ثانية، وقد أصبحت لغة رسمية لبعض المنظمات الإسلامية العالمية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي و رابطة العالم الإسلامي ورابطة العالم العربي والاتحاد الأفريقي، وأما المؤشر الاستراتيجي فهي ترتبط بالعقيدة ذات صبغة عالمية كما أنها ترتبط بمنطقة لها أهمية اقتصادية واستراتيجية في العالم، فلا بأس بها نظرا إلى هذه المؤشرات، فهي تتقدم اللغات الأخرى مثل اليابانية والصينية التي تظل محلية مقارنة إليها، أما المؤشران ذبوعها كلغة ثانية وتحديث أو تعريب المعرفة فيها فهما يدعوان إلى القلق إلى حد ما، فنسبة عدد المتكلمين بها كلغة ثانية لا يزيد 3.4 من مجموع من يتحدثون لغة ثانية ولكن انتشارها في العقد الماضي يسد هذا النقص فيها، ولكن مسألة تخلفها عن لغات كثيرة في مجال المعرفة ما زال موضع هم شغل به بال كثير من مهتمها لأنه لا تدرس العلوم الطبيعية والرياضيات بهذه اللغة في الجامعات العربية بسبب حركة التعريب البطيئة والسياسة اللغوية الخاطئة أو المرنه²³ وقد أنشأت المجامع لتعريب العلوم والمصطلحات ولكنها ربما لا تستطيع أن تواكب ركب التقدم العلمي، ومع ذلك الرجاء أن يتغلب العالم العربي على هذه المشكلة في المستقبل القريب، فقد جربت سوريا وسودان تجربة دراسة العلوم بالعربية على المستوى الجامعي وستكرر تجارب أخرى وتصبح العربية لغة العلوم والرياضيات والتكنولوجيا. و خلاصة القول أن كثير من هذه المؤشرات تدل على عالمية اللغة العربية إذا فيها إمكانات كثيرة لإيفاء الحاجات الحضارية لأمة الإسلام.

انتشارها الواسع في السنوات الماضية الأخيرة:

هناك إقبال هائل على اللغة العربية في كثير من بلاد المسلمين، فقد يقول بعض المعنيين بنشر العربية في الدول غير العربية أن عرضهم قليل نسبة إلى الطلب الذي يزيد كل يوم، ومشاكل اللغة العربية تتعلق بصفة خاصة بتطورها الداخلي ونموها الطبيعي وليس بانتشارها في العالم، ونحن نرى أن العربية ترسخ جذورها في الدول الإسلامية الكبرى، والإحصائيات تدل على أن العربية تنتشر بشكل أسرع من انتشارها في القرن الماضي، ولست

²³ www.raya.com/.../bcb56565-8192-4ae1-9494-e17d79581ec8 مؤشرات عالمية اللغة العربية ووضعها الراهن محمد بليول

مستطيعاً أن أقدم كل هذه الإحصائيات في مقالة أو ورقة واحدة فاسمحوا لي أن أختار لكم نموذجين بصفة خاصة، نموذج أندونيسيا من جنوب شرق آسيا ونموذج تركيا من غرب آسيا، فحسب الإحصائيات التي قدمها لنا محمد بن عبد الرحمن الربيع وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وصاحب كتاب (أدب المهجر الشرقي) عن أندونيسيا الذي هو أكبر بلد إسلامي من حيث عدد السكان:

❖ عدد الأندونيسيين من أصول عربية فيأحوالي ستة ملايين نسمة ومعظمهم حضارم ويزيد عددهم عدد سكان حضرموت اليوم

❖ هناك سبعين ألف معهد وكلية تعنى بتدريس العلوم الإسلامية والعربية، ويدرس فيها سبعة ملايين طالب مابين ابتدائي ومتوسط وثانوي وجامعي، هناك نموذج واحد اسمه مؤسسة الخيرات يتبعها أربعمئة وأربع وعشرين مدرسة

❖ وفق إحصاء 1995، عدد المدارس الدينية (منها الباسترينيات) 52,829 وهي تابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والعربية مادة أساسية فيها

❖ وفق إحصاء 1995، عدد المدارس والمعاهد الحكومية 1077 وهي تابعة لوزارة التربية والثقافية، والعربية مادة اختيارية فيها

❖ هناك جامعات حكومية وأهلية تهتم بتدريس العربية، منها جامعة دارالسلام موجودة في جاوا الشرقية، وكذلك هناك معهد العلوم الإسلامية والعربية التابعة لجامعة الملك سعود في الرياض

❖ بدأ تعليم اللغة العربية من خلال قنوات التلفزيون، فبدأ تلفزيون الحكومية الإندونيسية (TVRI) وتلفزيون التربية الإندونيسية (TPI) برامج تعليم العربية، كما توجد المجلات تهتم بالعربية، هناك إقبال هائل على تعلم اللغة في كل دول أخرى في جنوب شرق آسيا مثل بروناي وماليزيا والفلبين التي يقطن فيها عدد كبير جداً من المسلمين.

وأما نموذج تركيا فقد انتهجت الحكومة التركية التي يقودها حزب العدالة والتنمية الإسلامي سياسة الانفتاح على العالم العربي منذ العقد الماضي وحملت مسؤوليتها لاستيعادة بناء الحضارة الإسلامية، وهذا ما ولد حاجة ماسة إلى إجادة اللغة العربية وتحاول تركيا سدها من خلال الإجراءات المبتكرة مثل إرسال المتعلمين لها إلى البلاد العربية أو استخدام أساتذة عرب (وخاصة المهاجرين السوريين) للتدريس في كل المؤسسات التعليمية التركية، كما أنها أطلقت قناة تلفزيونية العربية (TRT) تتحدث بشكل كامل باللغة العربية، تجددت هذه التطورات الربط التاريخي بين الشعب العربي والشعب التركي، وقد أقرت حكومة أردوغان في الآونة الأخيرة قراراً وسمح به البرلمان بأن تدرس العربية في المدارس الابتدائية والوسطى كمادة اختيارية، بينما تمثل مادة أساسية في المرحلة الثانوية، وما يعطيها بأهمية كبيرة في هذه المرحلة – أي المرحلة الثانوية – هو تدريسها في ثانويات الأئمة والخطباء كمدارس دينية رسمية تعدادها كبير جداً في تركيا، يبلغ الآن عدد الطلاب للغة العربية إلى ملايين، تفيد الإحصائيات العام الدراسي 2010/2009م:

❖ كان عدد الدارسين 198581 طالبة وطالبة في 489 ثانوية للأئمة والخطباء في أنحاء تركيا، وهذا بالإضافة إلى عدد كبير من مدارس الأوقاف الخاصة المنتشرة في كل مدن تركيا.

❖ عدد كليات الإلهيات أكثر من ثمانين كلية.

❖ عدد الجامعات فيها قسم اللغة العربية وأدائها تسع جامعات،

يلوح من خلال هذا الإقبال الكبير أمل للعربية أن تجد مكانة مركزية في المجتمعات الإسلامية كما احتلت مكانة مرموقة في هذين المجتمعين يعني المجتمع الأندونيسي والمجتمع التركي فتواصل بينهما سيتم بالعربية ليس باللغة القومية لهما لأنهما مختلفان تماما ويقاس على ذلك حول المجتمعات الأخرى.

وبالمناسبة هنا أود أن أشير إلى الثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية والباكستانية والثقافة الإسلامية في البلاد الأخرى مثلا البلاد الأوروبية فالثقافة الإسلامية في الهند لا تسير بهمل العنصر اللغوي إلى حد كبير فمسلمو الجاليات الإسلامية الأوروبية يعتمدون على العربية أكثر فأكثر، وكثير من هؤلاء المسلمين من الدول العربية، وقد وجد تعليم العربية مساحة واسعة في نشاطاتهم الدينية والثقافية، وأسس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا سنة 1889، لتنظيم المعاهد والمؤسسات والجمعيات الإسلامية، هذا الاتحاد يمتد إلى 30 بلدا أوروبيا، ويشتمل على 1000 جمعية ومركز ومؤسسة مثل المركز الثقافي الإسلامي بلندن والمعهد الإسلامي الأوروبي ببروكسل، مثلا المعهد الإسلامي الأوروبي ببروكسل بلجيكا²⁴ يشتمل على ثلاثة أنواع من المدارس على الأقل منها مدرسة لتعليم العربية ومبادئ التربية الإسلامية للصغار 1300 تلميذا، مدرسة تعليم العربية للكبار 500 طالب وطالبات، ومدرسة معتنقي الإسلام 400 طالب وطالبة، وكذلك حال كثير من المعاهد التي يكون تعليم العربية جزءا مهما في نشاطاتها حتى وجدت مؤسسات لتدريب المعلمين مثل مؤسسة بيت الضاد بـ "دانمارك" التي قامت بأكثر من 29 دورة وشارك فيها 850 معلم ومتطوع في مجال تعليم العربية. وفي الآونة الأخيرة أخذت فرنسا قرارا لتعليم اللغة العربية في مدارسها الحكومية ضمن اللغات الأجنبية بدأ من غرة عام 2017م، إذا المسلم الأوروبي يتعلم العربية بأكثر جدية من نظيره في الهند والباكستان، فهناك آلاف من المدارس الإسلامية في الهند والباكستان فمثلا - ومع الأسف - جل المدارس التي تنتمي إلى حركة ديوبند وهي أكبر في العدد لا تعلم اللغة العربية إلا بطريقة تقليدية مقتصرة على تنمية مهارة القراءة فقط ولا يأخذون العربية وسيلة لتدريس العلوم الإسلامية من التفسير والفقه وغيرهما من العلوم إلا في حدود ضيقة جدا، فهم يعتمدون على الأردية في الدراسات الإسلامية أكثر فأكثر، هذا يؤثر سلبا على الانسجام الثقافي الحقيقي المنشود بين الجيل المتخرج من مدارسها وبين جزء الأمة الذي يعيش في الدول الإسلامية الأخرى، ولو كان الانسجام الديني العاطفي موجودا فيهم بشكل أقوى.

عنصر الثقافة الإسلامية:

الثقافة الإسلامية في التصور الإسلامي الخالص تتكون من عنصرين أساسيين، وهما لا ينفصلان أبدا، الأول الشكل وتمثله اللغة والثاني المضمون ويمثله الإسلام، "الدين واللغة منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلا غير قابل للفصل"، فتعلق المسلمين بهذه اللغة أمر لا يختلف فيه اثنان إلا إذا كان ولاته لوطنه أو لفته يبلغ حد الغلو فيبيعه على البغض والحقد لهذه اللغة، وقد خدم المسلمون -سواء أكانوا من العرب أو من العجم - هذه اللغة على

²⁴ <http://www.centreislamique.be>

مر العصور، قد يستطيع المسلم أن يبدل ارتباطه بلغته المحلية أو القومية لسبب ما، مثلاً إذ يهاجر إلى بلد آخر له لغة مغايرة ويطلب له المقام هناك، فلو أصر نفسه على التمسك بلغة قومه لن يتمسك بها الجيل التالي، ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عن هذه اللغة ما دام إسلامه بعيداً عن شوائب العصبية الجاهلية، فلا يستطيع أن يؤدي شعائره الدينية بغير العربية ولا أن يتلو قرآنه بغيرها، ولهذا السبب اجتازت العربية حدود الجزيرة العربية كما تجاوزت حدود الأعراق والألوان، ووصلت إلى كل الأصقاع التي وصل إليها الإسلام فكل من ينطق بالشهادتين ينطقهما بالعربية بلا نزاع واختلاف، وتربط اللغة العربية مسلماً بأشقائه في المجتمعات الأخرى فيشعر بامتداد شخصيته الجمعية كما يشعر بسعة تراثه الإسلامية فيضيف بعداً آخر إلى شخصيته ويتحرر آفاق ذهنه من قيود الإقليمية الضيقة إلى أفق أرحب وأوسع، وقد اهتمت منظمة المؤتمر الإسلامي بهذه الصفة للغة العربية وقررت قائلة: "أن اللغة المشتركة ستخلق في المجتمع الإسلامي بيئة فكرية متناسقة فاللغة العربية هي الأداة الرئيسية لنشر الثقافة الإسلامية وتقوية صلات التضامن بين الدول الإسلامية"²⁵، وإذا اللغة العربية ستظل أكبر وسيلة لترابط الشعوب الإسلامية فكرياً وثقافياً وسياسياً. حقاً ما قاله عبد العزيز التويجري: فهي (اللغة العربية) وعاء الثقافة ورمز الهوية فهي ركن أساسي من أركان الأمن الثقافي والحضاري والفكري للأمة العربية والإسلامية في حاضرها ومستقبلها²⁶.

عامل الصحة الإسلامية:

أعانت الصحة الإسلامية في توطيد العلاقة مع العربية فقد ازداد الشعوب صلهم مع القرآن نطقاً وحفظاً، انحسرت القومية بهزيمة القومية العربية في مواجهة العدو الصهيوني وجدد تركيا التي كانت تعد معقلاً قوياً للعلمانية عهداً بالإسلام وقصر مفهوم القومية على حدود معقولة لا تضر ولائها للإسلام، فهناك أصوات مسموعة في العالم العربي تنادى بالعربية من منطلق إسلامي وثقافي بدلاً من منطلق عروبي قومي أو عروبي نسي، يقول د. عبده زايد:

"من حيث المبدأ نقول إن الوصول إلى اللغة الواحدة لا يعني محو هذه اللغات من الوجود فهذا غير وارد،

ولكن الذي نريد الوصول إليه هو أن تكون هناك لغة مشتركة بين أبناء الأمة الإسلامية"²⁷

وقد أشار الدكتور الطاهر أحمد مكي إلى تأثير الصحة الإسلامية في نشر اللغة العربية:

إن الصحة الإسلامية الهائلة التي تمتد من أقصى الشرق إلى سواحل أطلنسية غرباً وهي ذات طابع فريد

وحاد يبلغ حد الثورة وهي رغم المعوقات سوف تبلغ شاطئ الأمان وتحقق الجانب الأكبر من غاياتها أن

²⁵ - د. عبد الله الأحس: منظمة المؤتمر الإسلامي ص 223 نقلاً عن د. عبده زايد

²⁶ التويجري: حاضر اللغة العربية 1418 هـ ص 54

²⁷ د. عبده زايد: اللغة العربية والبعث الحضاري الإسلامي

الأمم الإسلامية سوف تجد في العربية وشائج أقوى من لغة المستعمر إما أن يشجعها على إحلال العربية محل اللغات الأجنبية.²⁸

ثم استدرك وقال :

"ولكننا نسرف في هذا التفاؤل إذا تصورنا أنفسنا وحدنا في هذا العالم فهناك الغرب بخبثه والولايات المتحدة بجبروتها يرون الصحوحة الإسلامية خطراً على مصالحه واللغة العربية تهدد ثقافتهم في مسافة شاسعة" (نقلا عن محمد أحمد الضبيب) وقد تحققت الصحوحة كبرا من هذه التنبؤات.

وجود معاهد ومراكز ومشاريع ومجامع:

نالت العربية اهتماما كبيرا وتمويلًا لا مثيل له في التاريخ من حكومات الدول العربية، وأنشأت مؤسسات ومعاهد ومجامع وأطلقت مشاريع لتطوير اللغة العربية ونشرها عالميا، فهذا الاهتمام البالغ بأمر اللغة سيلعب دورا في اعتزاز المسلمين باللغة العربية وقبولها نهائياً، نقدم إلى حضرتكم بعض الأسماء من المشاريع والمعاهد التي تكلف للدول العربية مليارات دولار سنويا:

- ❖ المجلس الدولي للغة العربية، أنشأته منظمة التعاون الإسلامي سنة 2007م.
 - ❖ المجلس العالمي للغة العربية المرخص من جانب القانون اللبناني (www.cil-a.org).
 - ❖ معهد الخرطوم الدولي للغة العربية تحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) 1974م تخرج منه آلاف من المتخصصين في تعليم العربية لغير الناطقين بها
 - ❖ مركز الملك عبد الله العالمي لخدمة اللغة العربية بالرياض
 - ❖ معاهد تعليم اللغة العربية بعديد من الجامعات العربية التي يدرس ويدرب فيها كثير من الطلاب والمدرسين
 - ❖ مشروع العربية للجميع تحت مركز الملك عبد الله
 - ❖ مشروع دعم نشر اللغة العربية في الجامعات الحكومات العالمية التابع للندوة العالمية لشباب الإسلام وقد أقام عشرين قسما في جامعات كبيرة.
 - ❖ مشروع "لننهض بلغتنا" التابع لمؤسسة الفكر العربي – دبي يعمل في 11 دولة عربية.
 - ❖ مشروع الإنترنت العربي Arabic Internet- ANET يقدم المعلومات بلغة التكنولوجيا لخدمة الأمة الناطقة بالعربية.
 - ❖ مشروع الدوحة التاريخي للغة العربية لبناء معجم تاريخي للغة العربية على امتداد تراثها طيلة ألفي عام.
 - ❖ مجامع اللغة العربية في العواصم العربية. وقد وضع حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حجر أساس لمجمع آخر في بلده في العام الماضي 27 أبريل 2016م
- فهذه المؤسسات تبذل جهدا متواصلا في تطوير اللغة وتنميتها كما أن المعاهد والمراكز تقدم خدمات عظيمة في نشر العربية في الدول غير الناطقة بها، وطبعا المسلمون يستفيدون أكثر من نشاطاتها من غير المسلمين.

²⁸ مستقبل اللغة العربية في القرن الواحد والعشرين

العولمة والتقنية التعليمية والمعلوماتية:

إنّ العالم كله يعيش في القرن الراهن في ظل ثورة علمية وتكنولوجية حديثة، هذه الوسائل التقنية الحديثة تعين على تعليم العربية في زمن أقصر وبجهد أقل، والعولمة لا تسبب الذوبان الثقافي أو اللغوي للأمة التي تملك إرادة قوية لمقاومة التيارات المضادة للغتها وثقافتها، فالعولمة سهلت العلاقة بين الدول الإسلامية، وفي الحقيقة نشعر بحاجة إلى لغة واحدة أكثر فأكثر لترابط مستمر، وقد انتشرت الشركات متعدد الجنسيات وأسواق العمل في حقول التجارة التي تشتغل فيها مسلم ويحس بضرورة تخاطب لشقيقه الآخر لا يعرف لغته. أما بالنسبة للتقنية التعليمية فقد ازداد الاعتماد على استخدام شبكات المعلومات العالمية كما ازداد توظيف معطيات التقنية المعلوماتية في تعليم اللغة العربية وتعلمها، هناك مواقع على الشبكة العنكبوتية تهتم بتعليم ونشر العربية كاللغة الأجنبية مثل learning.aljazeera.net, foreigncy.us, arabicforall.net, arabicwithoutwalls.ucdavis.edu و سهلت تطورات في مجال علم اللغة التطبيقي و تعليم اللغات الأجنبية و دخل فكرة مختبر اللغات والتعلم الذاتي والتعلم النشط والمبرمج و البرامج السمعية والبصرية واستخدام الحاسوب والانترنت في تعلم اللغات، وأعيد النظر في دور المعلم والمتعلم والمناهج الدراسية وطرق التدريس وكل هذه التطورات أعانت في نشر اللغة العربية وربط العرب مع الشعوب الإسلامية الأخرى بشكل أحسن و استفادة منهم في تعلم اللغة العربية.

خلاصة البحث:

لاحظنا فيما سبق أن اللغة العربية خطت خطوات كبيرة في العقد الماضي نحو التطور والتقدم، وشهدت انتشاراً كبيراً في الأقطار الإسلامية المختلفة، حتى يمكن للشعوب الإسلامية أن تتخذها وسيلة للرابطة بينهم لأجل الأغراض الثقافية والدينية والحضارية، ولكن الأمر يتطلب جهداً متواصلاً وكفاحاً مستمراً على المستويات العديدة، ولا مندوحة عن الاعتراف بالرغم هذه التطورات ما زال الأمر في المرحلة التمهيدية فقط، فعلى المهتمين والمعنيين بها أن يكرسوا مزيداً من الجهود لتلبية حاجات المتعلمين والدارسين على المستوى العالمي حتى يتم نشرها عالمياً خلال العقود القادمة لهذا القرن.

المدارس الدينية و مساهمتها في تطوير اللغة العربية بولاية جامو وكشمير

(دراسة تحليلية)

إبراهيم المصباحي²⁹

نظرة على تاريخ المدارس: لا شك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد فرض على المسلمين حصول العلم وبثهم عليه قولاً وعملاً، حيث قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»⁽³⁰⁾ وقد كان المسجد النبوي - على صاحبه ألف ألف تحية - يضم قطعة من الأرض، عرفها التاريخ الإسلامي بـ"الصُّفَّة". وكان يأوي إليها من لم يجد مأوى من الفقراء والوافدين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أطلق عليهم "أصحاب الصفة". وقد قيض لهم النبي صلى الله عليه وسلم من يعلمهم الدين، وإذا أراد أن يبعث إلى الآفاق من يعلم الدين والإيمان، بَعَثَ منهم⁽³¹⁾. ولا أدل على عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالتعليم والتدريس واهتمامه بهما من أنه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ذات يوم، فإذا هو بحلقتين: إحدهما يقرأون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل على خير، هؤلاء يقرأون القرآن، ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بُعِثْتُ معلماً». فجلس معهم⁽³²⁾.

واستمر الوضع على ذلك إلى القرن الرابع الهجري. فكانت المساجد تُسْتَخْدَمُ للتدريس والتعليم. وكانت الكتاتيب والمعاهد تقام في المساجد جنباً إلى جنب في الغالب مما لقي قبولاً عاماً، فقلما تجد بلداً إسلامياً إلا ويحتضن مسجده مدرسة وكتاباً، وبالتالي استنتجنا من الدراسة التاريخية للمدارس الإسلامية أن النواة الأولى لها هي المساجد، وإليها تصل سلسلة نسبها.

وأما المدارس على ماهي عليه اليوم، فإنما يرجع بدايته في التاريخ الإسلامي إلى القرن الخامس الهجري، وزعموا أن أول مدرسة شهدتها التاريخ الإسلامي، هي المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك الطوسي⁽³³⁾ (408 - 485 هـ = 1018 - 1092 م) في بغداد⁽³⁴⁾. فاستمرت سلسلة تأسيس المدارس الإسلامية للمحافظة على الإسلام والعلم الإسلامية وبقائها وترويجها ونشرها قرناً بعد قرن إلى اليوم وركز العلماء والخلفاء تركيزاً خاصاً على إشاعة العلوم

²⁹ الباحث بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري، كشمير

(30) أخرجه ابن ماجه 224

(31) انظر البداية والنهاية 2/512

(32) رواه ابن ماجه في السنن (229)

(33) الطوسي: الحسن بن علي الطوسي، أبو علي، الملقب بقوام الدين، تأدب بأداب العرب، وسمع الحديث الكثير، و اشتغل بالأعمال السلطانية، فاتصل بالسلطان «إلب أرسلان»، فاستوزره، فأحسن التدبير. وكان من حسنات الدهر. وكانت أيامه دولة أهل العلم. اغتاله ديلمي، ودفن في أصبهان. له (أمال) نظام الملك في الحديث ط. راجع: الأعلام للزركلي 2\202.

(34) ينظر الأمالي نظام الملك 56/2

الإسلامية في عهودهم وأسسوا المراكز الدينية والتعليمية في أنحاء البلاد وأرجائها وهذه المراكز تعرف بعظمتها ومن أشهرها ما يلي:

- الجامع القيروان
- الجامع الأعظم المعروف بكلية الإمام الأعظم
- الجامع الأزهر
- جامعة الزيتون
- المدرسة النظامية

المدارس في شبه القارة الهندية

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على تاريخ الهند لاحظنا أن المسلمين قد توجهوا إليها في القرن الأول ، وكانت الاتصالات التجارية والعلمية قائمة بين الهند والبلاد العربية خلال العصور السابقة للإسلام ، وأنها لم تكن غريبة لدى العرب حيث سافر العير العرب للتجارة إلى سواحلها الغربية والجنوبية .وشرف الهند بالدين الإسلامي في مستهل القرن الثامن الميلادي المطابق في القرن الأول للهجرة، بيد عماد الدين محمد بن قاسم الثقفي الذي ولاه حجاج بن يوسف الثقفي علي ثغر الهند⁽³⁵⁾ ، فلم يزل يتداول الحكم بين حكام مختلفين وهاجر عدد كبير من العلماء العرب واستوطنوا بها، وبذلوا جهدا مستطاعا لنشر الثقافة العربية الإسلامية و تعليمها، وأسسوا المدارس الإسلامية في بعض الأماكن من شبه القارة الهندية حتى طلع على أفقها نجم السلطنة المغولية وبدأت قوائم الدين تتدعم وتستحكم فيها إلى أن انتقلت الولاية إلى الملك المغول الشهير شاهجهان (1068م)⁽³⁶⁾ وقد خلف هو آثارا إسلامية خالدة، منها الجامع الكبير، والقلعة الحمراء في دلهي، والتاج محل في آجره، وهي الدرة اليتيمة في البناء، ثم تولي الحكم الإمبراطور أورانج زيب بن شاهجهان (1118م) الذي فتح عهداً جديداً وأعاد للإسلام مجده و صولته، ونفذ التعاليم الإسلامية و الشريعة الإسلامية حتى يعتبر عهد الملك أورانج زيب عهداً ذهبياً نفذت فيه التعاليم الإسلامية و الشريعة الإسلامية، ودونت الفتاوى، وأقيمت المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية في أرجاء الهند وأنحاءها بكاملها⁽³⁷⁾ . وكانت هذه المدارس تدرس فيها العلوم الدينية و الدنيوية ككتاهما بيد أن العلوم الدينية مفضلة على العلوم الأخرى وخريجوا هذه المدارس كانوا يخدمون في مجال الشؤون الدينية والدنيوية معا وظلت اللغة العربية وآدابها من أهم المواد في المناهج الدراسية الإسلامية في ذلك العصر⁽³⁸⁾ . واهتمت العلماء كل الاهتمام بتعلم هذه اللغة لفهم القرآن الكريم والحديث النبوي إلى أن قيل " نزل القرآن في العرب، وقرئ في مصر، وفهم بالهند"⁽³⁹⁾ .

(35) انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم 245/2

(36) المصدر نفسه ص 278

(37) انظر الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين ص343

(38) انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية 67/3

(39) المصدر نفسه ص 34

ثم احتلّ الأفرنجيون على الهند وركزوا انتباه الناس في العلوم الدنيوية و الفنية ، بل نبذوا العلوم الدينية وراء ظهورهم و قاموا بقتل العلماء وأسرههم وهدم المراكز الدينية والإسلامية حتى انتفأ سراج المملكة الإسلامية وأصبحت هذه المدارس والتعاليم الإسلامية في الهند خبر كان.

كشمير موقعها و جمالها و أرضها الخصبة للإسلام:

إن ولاية كشمير واقعة في المنطقة الغربية من شمال الهند و هي معمورة بالمناظر الطبيعية الساحرة ومملوءة بالجمال الهيج والحسن الأنيق وما فيها من قمم جبالها الثلجة وبساتينها المثمرة المخضرة وأنهارها الجبلية الملتوية و شلالاتها الصافية يمثل جنة النعيم على هذه الأرض الواسعة . ولله در القائل :

اگر فردوس بروئے زمين است

بمیں است و بمیں است و بمیں است

(لو كانت الجنة في مكان على وجه الأرض فليست إلا ههنا وما هي إلا ههنا)

فكما أن هذه المنطقة تمثل لجمالها الطبيعي الرائع وحسنها الأنيق الخلاب هكذا تملك الصفات الداخلية الروحية التي تزداد بها هذه الأرض بهاءً وجمالاً وذلك بالنظر إلى الرجال البارزين من العلماء والأولياء الذين شرفوها بقدمهم أمثال الشيخ مير السيد علي الهمداني و الشيخ يعقوب الصرفي والشيخ نور الدين النوراني والشيخ عبيد الله اللاروي والشيخ غلام علي شاه بادشاه رحمهم الله أجمعين⁽⁴⁰⁾. وهؤلاء الأفذاذ قد قضوا أعمارهم في خدمة العلم والدين وتركوا لنا آثاراً تجدر بأن تزين بماء الذهب في صفحات التاريخ .

ولكن من الأسف كل الأسف أن المؤرخين حفظوا أعمال السلاطين والملوك والزعماء وصعودهم وسقوطهم ولم يلتفتوا إلى تاريخ الأمم العلمي والثقافي والحضاري ألهم إلا أن القلائل قد خطوا خطوات إلى هذا الجانب وهو كأن لم يكن.

وإذا لاحظنا هذه الولاية بإمعان النظر نرى أن تاريخ نشأة المدارس فيها يرجع إلى عهد الملك قطب الدين ويمكن لنا أن نقسم تاريخها ومراحل تطورها ونضجها إلى ثلاثة أدوار وهي كما يلي :

1. الملك قطب الدين 1374-1389م.

لما قدم أمير همدان إلى كشمير للمرة الثانية – وذلك في عهد الملك قطب الدين _ في سنة 1374م أقام في حي علاء الدين على شاطئ النهر الجهلي أخذ يصلي الصلوات و يقيم سلسلة من الوعظ والدرس حتى أسلم على يد الأمير همدان كثير من الناس ولم يعرفوا بعد مبادئ العقائد الإسلامية والتعاليم الدينية التي لم يكن بدّ من معرفتها فمستهم الحاجة بأن أقيمت المدارس الإسلامية لقضاء حوائجهم فأنشأوا مدارس شتى و من أشهرها :مدرسة الملك قطب الدين ،ومدرسة القرآن الكريم ،ومدرسة العروة الوثقى.⁽⁴¹⁾

(40) وضع اللغة العربية في كشمير ودور المدارس في نشر اللغة العربية ص 156

(41) المصدر نفسه ص 163

2. الملك زين العابدين 1420م – 1425م.

هو السلطان زين العابدين ابن السلطان اسكندر واشتهر باسم " البد شاه" استمر حكمه على كشمير من سنة 1425م إلى 1475م كان يحنو إلى العلم ويحب أهله ويزور العلماء والأولياء الذين استوطنوا هذه المنطقة في عهده . وقد أنشأ السلطان في سرينغر حيث كان موضع إقامته جامعة عظيمة باسم " مدرسة السلطان زين العابدين" وهي التي تولت معظم العلوم الدينية وشتى التخصصات الفنية وتخرجت منها العلماء الكبار . وكذلك كانت تُعدّ "مدرسة إسلام آباد" و "المدرسة الصوفية" أيضا من كبار المراكز الدينية في عصره.⁽⁴²⁾

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك غيرها من المدارس الكبيرة والصغيرة التي أنشأت في عهد السلطان زين العابدين والتي أدت دورا هاما في نشر العلوم الدينية وترويجها وظلت نشاطها إلى عهد المغليين.

3. الحكومة المغولية 1520م – 1857م.

لا غرو أنّ عهد الحكومة المغولية تعدّ عهداً ذهبياً للتعليمات الإسلامية في شبه القارة كما أشرنا إلى هذا الجانب سابقاً فأنشأت الحكومة عدداً كبيراً من المدارس في كشمير ومن أشهرها هذه الثلاث:

- مدرسة ملا حيدر: أقامها ملاحيدر في عهد جهانغير بسرينغر⁽⁴³⁾
- مدرسة خواجكان نقشبند: قام بإنشائها خواجه أخوند محمود في البلدة نفسها بسوق خواجه في عهد شاه جهان.⁽⁴⁴⁾
- مدرسة السيد منصور.⁽⁴⁵⁾

وهذه المدارس لم تزل تزين الطلاب بالعلوم الدينية والفنون العديدة حتى تخرج فيها الفقهاء والمحدثون الذين قاموا بخدمة الإسلام وتزويد الطلاب بالعلم والأدب وتطورت هذه المدارس صيتا وشهرة إلى أن سقطت الرؤية المغولية في المنطقة وأصبحت في أيدي الذين هم أعداء الإسلام وتعاليمه ولم تنشأ مدرسة يمكننا أن نذكرها هنا. بل لم نجد رسم المدارس القديمة أيضاً. فقد كان القوم أصابهم الأهواء السياسية وبقدر ما كانوا تنافسوها كانوا يزهدون في العلم والثقافة ، وبالتالي تسلط الإفرنجيون على هذه المنطقة وبأثر استعمارهم انقسمت كشمير إلى جزئين: كشمير المحتلة وكشمير الحرة.

لا شك أن عهد ملوك المغول كان عهداً ذهبياً للعلوم الإسلامية في الهند _ كما سبق منا القول _ فكانت هناك آنذاك مدارس إسلامية عديدة تخدم الإسلام ، ولكن مع سقوط رأيهم تغيرت الأحوال و تبدلت الظروف وفقدت المدارس ما كان لها من أثر وتأثير في نفوس القوم والاتجاه إليها وفي نفس الوقت قام العلماء بإنشاء بعض المدارس الصغيرة في

(42) المصدر نفسه ص170

(43) المصدر نفسه ص 189

(44) المصدر نفسه ص 196

(45) المصدر نفسه ص 213

الأماكن المختلفة بجهودهم الفردية فكانوا يدافعون عن الإسلام وخدمونه حسب ما استطاعوا ، ولم يزل يزداد هذا الإنشاء ويسع منذ ذلك الوقت إلى الآن حتى نرى اليوم أن شبكة المدارس الدينية قد انتشرت في سائر أرجاء الهند بصورة تدريجية. ولا يقل في هذا الخصوص ولاية جامو وكشمير، بل هناك أيضا كثير من المدارس الدينية التي لها فضل كبير ومساهمة بالغة في ترويج اللغة العربية و آدابها و نشر الدعوة والإرشاد وتربية الطلاب علماً وعقلاً وعملاً وفق التوجيهات الإسلامية منها ما يلي:

- دارالعلوم رحيمية باندي بورة
- دارالعلوم بلالية سرينغر
- دارالعلوم إسلامية شوبيان
- دارالعلوم جامعة البنات سرينغر
- مدرسة أنوار العلوم فونج
- دارالعلوم الرضوية السلطانية سرنكوت
- دارالعلوم مجدد الألف الثاني جامو
- مدرسة ضياء العلوم بونج

وهذه المدارس _ وفق ما اقتضاه إنشائها _ لا تعني بتدريس اللغة العربية فحسب ، بل تهتمّ بالبحوث العلمية المتقدمة أيضاً ، ولكن الأمر الذي لا يمكن لأحد أن ينكره ذا أردنا أن نلاحظها بالنظر الغائر بلغنا إلى نتيجة أنها _ في الواقع _ لم تنل بعدُ قبولاً حسناً ومكانة ملحوظة في هذه الولاية . وذلك لأسباب بعضها يرجع إلى القوم وأكثرها يرجع إلى من تولّوا زمام أمورها بأيديهم، أريد أن أشير إلى معظم تلك الأسباب في الأسطر التالية متمنياً بأن تُؤخذ بعين الاعتبار و تبذل جهوداً جماعية للتخلص عنها.

إنشاء المدرسة بغير حاجة: يلاحظ أن هذه المنطقة لا تخلو منها موضع إلا وفيها مكتب أو مدرسة ، بل توجد مدرسة جنب أخرى وهذا يدل على عواطفهم الدينية وشعورهم الإسلامي التي يجب أن تُرحّب بالترحيب الحار إلا أنّ إنشائها لا يكون مدفوعاً بإحساس من الوعي الديني دائماً، بل ربما يكون هذا الإقدام للأحوال الطارئة والفجائية نحو النزاع بين أرباب المجلس التنفيذي أو المجلس الإستشاري ، فتقوم مدرسة دون مدرسة ثم يتضاعف بينهما النزاع ويتبعدان عن أهدافهما وبالتالي لا يمكن لهذا خدمة الدين ولا لذلك.

تزيين المباني : لا شك أن المدارس الإسلامية تستهدف تزويد الطلاب بالعلوم والفنون سواء كان في المسجد أو البناء المخصوص للدرس أو في موضع آخر ولا يلزم له البناءات العالية ولكن الأمر اليوم بعكس ذلك فهم يرجحون البناءات على التدريس فيعدون إنشاء العمارة الشامخة أكبر عمل ديني فيمكن لنا أن نعدّ كثيراً من المدارس التي لها مباني عظيمة شامخة يتأثر كل من لاحظها في أول وهلة ولكن من الناحية الأخرى إن رأيناها فهي في غاية الانحطاط والانخفاض فلا يتوجهون إلى تربية الطلاب علماً ولا أدباً ولا عقلاً ولا سيرةً .

تحديد المعلم بغيراختبار. وإذا أتى مرحلة تعيين المدرسين لا يُراعى فيها مؤهلات المدرس وشخصيته وصلاحيته ، بل يطلبون الرجال الذين يرضون بالقيام(الأكل والشرب و النوم) فيها على الرواتب القليلة وإن لم تكن لهم علاقة بالعلم والأدب على الرغم من أنه لا يبلغ أي معهد تعليمي قمة الرقي والنجاح حتى تتكون هيئته التعليمية من الأساتذة المخلصين ذوي المواهب والكفاءات الذين لا يدخرون أي جهد في أداء واجباتهم الدراسية والتربوية ، فإن الطلاب يتأثرون بخصائل معلمهم وشيمهم وبما لهم من الشعور بالمسؤولية والأداء بالواجب ويصطبغون بصفتهم إلى حد كبير. وإن ساعدهم الحظ بأن تيسرت لهم جماعة من الأساتذة المهرة فلا يعتنون لهم بالتسهيلات التي تقتضي حوائجهم حتى لا تتجاوز رواتبهم عن أربعة آلاف أو خمسة آلاف في الغالب مع أن ثمن كل ما يحتاجون إليه في الحياة يكاد يرفع يوماً فيوماً فيرجحون الارتحال العالمي والتجارة على مجال التدريس.

عدم الاتصال بالمعاهد الدراسية: لا يقوم أرباب المدارس بالرابطة والاتصال مع الجامعات الحكومية والكليات وهم يزعمون أن أساس الدين يقوم على كواهلهم والموظفون في الجامعات يظنون أن أرباب المدارس لا يفهمون ما تقتضي الظروف العصرية وهم رجال الدين فحسب وبالتالي تحدث فجوة الاتصال بينهم حيث لا يفهم هؤلاء مايقول أولئك ولا أولئك ما يقول هؤلاء.

وهناك أسباب تتعلق باللجنة الداخلية للمدارس وهي:

- عدم تدريب الطلاب على الكتابة : لنا أن نعبر أن المعلمين في تلك المدارس وإن يعتبر قيامهم بالمسؤوليات بشي تدريساً وتعليماً ، ولكن لايلتفتون إلى الكتابة فالطلاب لا يعهدون القرطاس والقلم ، فكثيراً ما يتخرجون عالمين فاضلين وإذا مستهم الحاجة إلى كتابة صفحة أو أسطر يكاد ينظرون يميناً وشمالاً.
- الاستغناء عن المسؤولية :إنما المدارس الدينية تختلف من الكليات والجامعات الحكومية ، حيث تتعلق بالدين فحسب فلا ينبغي أن تقاس عليها حتى يكتفي بتأدية المهمة وأداء الوظيفة فحسب ، بل التعليم الديني يقتضي منا أن نقوم بمسؤولياتنا ليلاً ونهاراً فليتوجه المدرسون والطلاب معا إلى ما يؤول إليهم من المسؤوليات كإتمام المنازل الخمسة للتدريس ، وتدريب التلاميذ على الكتابة والدراسة والمحادثة بالعربية والإنجليزية واللغات المحلية واستخدام السبورة لتفهمهم و ما إلى ذلك .
- نظام المناهج الدراسية :إن النظم التعليمية ومناهج التدريس تختلف في كل بلد من الآخر ويتعلق وضع المناهج التعليمية بالظروف والأحوال وإذا لاحظنا مدارس هذه الولاية لم نجد منهاجاً واحداً ، بل هناك لكل منهاج على ما تقتضيه طبيعته وربما يكون كتاب دراسي يكاد يصعب على المعلم فهمه أو تفهمه يعلم كتاباً آخر بدلا عنه
- عدم تحديد المستوى التعليمي :
- فقدان المكتبات

الخاتمة:

وفي ختام البحث يجدر بنا أن نذكر أن ولاية كشمير لم تزل خصبة للإسلام وتعاليمه وأنجبت كثيرا من العلماء الريانيين والأولياء الكاملين وكانت وهناك من مدارس عظيمة تخرج فيها هؤلاء الرجال الأفذاذ ، ولكن الظروف والأحداث التي طرأت عليها منذ سنين قد أبدلت حالها وتغيرت بها ما كان سببا لجمالها وبهاءها وانخفضت المدارس الدينية فلم تظهر منها ما ينبغي أن يظهر من النتائج، فعلى أن ننظر ونفكر في علة هذا الانخفاض وسببه ونسعى في إنهاضها من هذا الخمود ليسترد إليها ما فقد من المجد المفقود، وبعض الأسباب هي كما مضى.

المصادر والمراجع

- الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، أحمد إدريس، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
- أمالي نظام الملك، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، دار الثقافة مصر.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير دار ابن كثير.
- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، أحمد محمود الساداتي، مكتبة الأدب القاهرة
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه القويني، دار الكتب العلمية بيروت
- وضع اللغة العربية في كشمير ودور المدارس في نشر اللغة العربية في كشمير الحرة، طاهر أسلم، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد.

السير سيد أحمد خان

مساهمته العلمية والإصلاحية بالقارة الهندية

(1817 – 1898م)

⁴⁶ الدكتور معراج الدين الندوي

المدخل:

فإن أرض الهند الخصبة منذ أن طلع فجر الإسلام في ربوعها بتعاليمه المثالية الغالية، وتوجيهاته الإنسانية السامية أنجبت كثيراً من العلماء الربانيين في كل فرع من فروع العلم والمعرفة حتى تجاوز عددهم مئات الآلاف فلا تری منطقة من مناطقها إلا وفيها جم غفير منهم، لقد كانوا ولا يزالون يقومون بالدعوة الإسلامية الصحيحة والخدمات الدينية الهامة بحماسة إيمانية وعواطفهم الجياشة، ولكننا نجد من بين هذه الصفوة المختارة من العلماء شخصية فريدة لا نكاد نجد مثيلاً لها علي مر العصور والقرون المتطاولة في الهند وهي شخصية الإصلاحي الهندي الكبير السير سيد أحمد خان - رحمه الله تعالى - وقد كان من عباقرة القرن العشرين وهذه هي حقيقة لا يختلف فيها اثنان، أن شخصية سير سيد أحمد خان رحمه الله، كانت شخصية علمية ربانية.

حياة السير سيد أحمد وميلاده:

هو العلامة السيد أحمد خان بن محمد متقي خان من أسرة أرستقراطية نبيلة ولد في مدينة دلهي بالهند في 17 أكتوبر سنة 1817م وبدأ تعليمه بتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ثم درس اللغتين الفارسية والعربية، وتعلم الرياضيات ثم تزوج وهو في الثامنة عشرة من عمره، وتوفي والده وهو في التاسعة عشرة من عمره⁴⁷ وترعرع في أسرة شريفة الأصل. وفعلاً كان العلامة صاحب مدرسة علمية أدبية فكرية رائدة في الهند لا يزال صداها تعلو في ربوعها وفي باكستان وفي سائر بلاد العالم.

أنه كان يرى العلم وتهذيب النفوس والأخلاق أداة مهمة لحركة الإصلاح الاجتماعي والثقافي في الهند، فأمن بأنهما طريق التحرر والاستقلال، وأخذ على عاتقه النهوض بالمسلمين عبر هذا الباب، وقام بإقامة معهد تعليمي عال لتدريس العلوم الحديثة يتطور مع الأيام إلى جامعة ذات صيت في العالم كله تعيد مجد الحضارة الإسلامية إلى الأذهان، وتخرج أمثال علماء المسلمين الأفذاذ. ونجحت في خلق جيل من المسلمين جديد مثقف ثقافة واسعة مع سعة في العقل وسماحة في الدين؛ وانتشر خريجوها في أقطار الهند

⁴⁶ رئيس التحرير لمجلة التلميذ

⁴⁷ زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 123 للأستاذ أحمد أمين، دار الكتاب العربي بيروت لبنان⁴⁷⁴⁷

يحملون رسالة جامعتهم ويضيئون ما حولهم، وأصبحت كلمة "عليكره" لا تدل فقط على جامعة، وإنما تدل أيضاً على نوع من العقلية الراقية، والصبغة الخلقية والاجتماعية الخاصة.
يقول فيه الأستاذ أحمد أمين:

"لقد نظر فرأى أن بالهند نحو سبعين مليوناً من المسلمين فشا فيهم الفقر والجبل والبؤس والقلق، من تعلم منهم فتعلم ديني عقيم. لا يفتح نظراً ولا يبعث حياة. وهم خاضعون لرجال دين لا يفهمون من الدين إلا رسمه، يريدون أن يخضعوا المدنية الواسعة لعقليتهم الضيقة، ولا يعترفون بتغير زمان وتلون حياة، وتقدم علم، يعيشون في ركود والعالم حولهم مائج، يرون أن المدنية الحديثة بعملها ونظمها ووسائلها ومقاصدها مدنية كفر لا يصلح للمسلم أن يستمد منها ولا أن يتعاون مع أهلها، وإنهم إذا فتحوا صدورهم لها أحاطت عقائدهم وأجرتهم من دينهم"⁴⁸.

السرسيد أحمد خان وهو في ذلك أشبه بالإمام محمد عبده، فالإصلاح عنده إصلاح بالثقيف والتهديب، والاستعانة بالسلطة في تحقيق هذا الغرض، والتعاون معها لإنجاز ما يُطمح إليه، وعدم التعجل في الاصطدام بها..

يقول في مكانته الفائقة الأستاذ أحمد أمين بكل صراحة ليست فوقها صراحة:

"هو في الهند أشبه بشيئ بالشيخ محمد عبده في مصر بعد مفارقتة للسيد جمال الدين وعودته من نفية. الإصلاح عندهما إصلاح العقلية بالثقيف والتهديب، والنظر إلى الدين نظرة سماحة ويسر، والاستقلال يأتي بعد ذلك تبعاً، فلا استقلال لجاهل ولا مخرف، إنما عماد الاستقلال العلم، العلم بالدنيا وبالدين، العلم بكل شيء أتت به المدنية الحديثة، من طبيعة وكيمياء، ورياضة وفلك، ونفس وإجتماع، ونظام الحكم والإدارة، ذلك كله إلى دين يحي القلب ولا يقيد العقل، ويغذي النفس ولا يُشِلُّ التفكير، والإسلام إذا فهم على أصوله كفيل بذلك، فليس فيه ما يمنع الإنسان أن يصل في العلوم ونظم الدنيا إلى غايتها، بل فيه ما يبعث على ذلك ويشجعه، وفيه ما يحي القلب ويوجه الإنسان في حياته وفي علمه وفي تفكيره إلى الخير. ثم كلاهما كان يرى أن السلطان في مصر وفي الهند في يد الإنجليز، ولهم من القوة المادية من الأسلحة والذخائر في البر والبحر، ومن القوة العلمية والسياسية ما لا تستطيع الهند ومصر مقاومته"⁴⁹.

⁴⁸ زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ص 125 للأستاذ أحمد أمين ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان
⁴⁹ زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ص 121 للأستاذ أحمد أمين ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان

يعد السرسيد أحمد خان من أهم المصلحين في العصر الحديث وكل ما فعله أنه دخل الى عالم مابعد النص الاصلاح الحديث من أبوابه المعرفية بشكل فاعل ومنتج حتى أن كل الذين جاؤوا بعده من الباحثين الذين اشتغلوا على هذا النوع من الإصلاح لم يستطيعوا تجاوز منجزه في هذا المجال، بل جعلوا طريق إصلاحه فكرة رئيسية للدخول الى المنهج الإصلاحي الحديث.

ولما كانت مساهمة السرسيد أحمد خان ذات منحنى ريادي في بعض وجوهها، فإنها أثارت الشهية المعرفية لدى جيل تال من المصلحين المسلمين في العالم الإسلامي عامة و الهند خاصة لأن يمعنوا النظر في دراسة المنجز الاصلاحى وفق منظورات قرائية مختلفة أخذت تتواتر في الظهور خلال النصف الثاني من القرن الذي عاش فيه، وظلت متواصلة فيما بعده على هيئة بحوث و دراسات مستقلة، أو على هيئة فصول في كتب تناولت الفكر الإسلامي الحديث، أو على هيئة كتب مستقلة قائمة برأسها.

و من المعلوم على وجه البصيرة و اليقين أنه مما يجرى مجرى المعتاد والمشاهد في شتى بقاع الدنيا ، أن العلماء يكتبون مقالات في اتصال و دوام ما لا يقع تحت حصر ، هذه المقالات في شتى أنواع العلوم و المعرفة التي لا تنتهى ولن تنتهي أبدا بل تقبل الزيادة أبدا، في تراثنا الدينى والعلمى والأدبى وكل ما يجرى هذا المجرى ، ولكن إذا ذكرنا السير سيد أحمد خان رحمه الله فقد ذكرناه مفكرا وداعية إسلامياً من رفعة المكانة في شبه القارة الهندية وغيرها من آفاق البلاد الإسلامية وكذا في بلاد الغرب ، ولا عجب فهو عالم علامة في أصول الدين و متبحر في شتى المذاهب والتيارات الدينية الإسلامية ، إنه قطب من أقطاب الإسلام . ومن المحاولات المبكرة التي قام بها السرسيد أحمد خان عند ما كان يكتب في المجلة الأردنية "تهذيب الأخلاق" بالهند عن الفكرة الإصلاحية في رسم ملامح الفكر الإصلاحي الإسلامي الحديث .أسس لإمكانية الحديث والبحث في التجارب الإصلاحية الإسلامية التي ظهرت خلال عصره الذي عاش فيه ، والملاحظ أنه لم يستطع أى باحث هندي جاء بعده تجاهل ما قام به السرسيد أحمد خان في هذا الشأن؛ فمساهمته كشفت عن خطاب عدد من النهضةويين العرب والمسلمين في مشهد واحد عنوانه "الإصلاح".

ولا نريد أن نؤرخ لحياته ، ونلاحق سيرته الذاتية ، والمنعطفات التي مرت بها، لان ذلك خارج عن غرض هذه المقالة، وانما أردنا الإشارة الى انه سعى للاستقلال الفكري في المرحلة اللاحقة من حياته، وكثف جهوده في الحقل العلمي والتربوي والثقافي.

فقد اعترف بذلك عدد كبير من كبار العلماء البارزين ذوي الخبرات العالية الذين لهم صيت ذائع وقدم راسخ في مجالاتهم العلمية والفكرية والأدبية في أنحاء العالم وأكبر دليل علي ذلك مصنفاته الممتعة ومقالاته العلمية التي بلغت إلى أقصى حدود الغاية علما ونفعا ، ومن أهم مزاياه التي تميزه عن غيره من العلماء المعاصرين له أنه نافح عن حظيرة الإسلام الصافية وكرامة الأمة الإسلامية بكل ما آتاه الله تعالى من

مواهب مرموقة سامية وعلوم جمة وكان يري واجبا علي نفسه أن يقوم بتوجيه المسلمين وإرشادهم إلي الحق الناصح ، وكان لا يخاف في الله لومة لائم في إظهار الحق، قال الأستاذ أحمد أمين عن شجاعته البالغة في إظهار الحق:

"شجاعته التي لا تُحَدُّ في تنفيذ خطته، وصراحته البالغة في الجهر برأيه، وعدم اعتداده بنقد الناقدين على اختلاف ألوانهم، وإصراره على ألا يسمع إلا لصوت ضميره، ينقد الإنجليز في ترفّعهم، والمواطنين في تخلفهم، ورجال الدين في جمودهم، ورجال السياسة في تخيلهم على حد سواء"⁵⁰.

ومن الحق أن يقال ان المسلمين الهنود قد خسروا السلطة بالفشل عقب ثورة عام 1857 كآخر محاولة عسكرية قامت بها سلطات المغول الإسلامية في وجه الغزو الأوروبي. لكن ما حدث لاحقا، بعد انتهاء الثورة، هو الذي غيّر مجرى المياه الراكدة وحدثت تغيرات هائلة في الحياة السياسية و الحضارية الهندية لم يكن لها مثيل من قبل في تاريخ المسلمين في الهند؛ فقد أصبحوا محكومين وبدؤوا يواجهون مرحلة الدفاع للبقاء، فلم تكن ثورة ١٨٥٧ م مجرد ثورة قام بها العسكر؛ بل كانت بركانا اجتماعيا متفجرا غيّر الخريطة الاجتماعية لشبه القارة الهندية.

فقد رأى السير سيد أحمد خان سلطة الإنجليز المتزايدة، فتيقن منذ البداية أن سلطة حكومة بهادر شاه ظفر- آخر ملوك المغول -المحدودة داخل أسوار القلعة في طريقها إلى الزوال، وأن الإنجليز هم الذين يحكمون الهند فعليا، وسوف تستمر دولتهم . ولم تغب عنه هذه الحقيقة حتى في أحلك الظروف؛ أي في أثناء اندلاع ثورة 1857 م عندما تزلزلت دعائم الحكومة الإنجليزية نفسها في الهند، وبدأت المنافسة بين الطوائف المختلفة داخل الهند، وبدؤوا يتقربون للإنجليز، وخاصة الهندوس والسيخ، وبدأ المسلمون يفكرون في الحفاظ على دينهم ولغتهم وحضارتهم، ولم تكن لديهم أي خطة لذلك⁵¹ وقرر السير سيد أحمد خان الهجرة إلى مصر حيث قال:

"لم أكن أتصور في ذلك الوقت أن يأتي على قومي يوم يستطيعون أن ينالوا فيه عزتهم، وتتحسن أحوالهم. وليس من الشهامة والرجولة أن أترك قومي في هذا الوضع الصعب، والتمس العافية والسلامة، لا، يجب أن أبقى لأشاركهم في هذه المصيبة، وأعقد همتي وعزمي لإبعاد هذه المصائب عنهم"⁵².

⁵⁰ زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ص 137 للأستاذ أحمد أمين
⁵¹ عبد القيوم ، حالي كي اردو نثر نگاري، ص 27 مجلس ترقى أدب 1964م
⁵² محمد إكرام ، موج كوثر ص 77 ، لاهور 1971م

وقد ردّ السير سيد أحمد خان تدهور أحوال المسلمين إلى سببين: الأول: نقص التعليم لديهم. والثاني: عدم الاتحاد والاختلاط بالإنجليز، لذلك أكد السير سيد أحمد خان على المصالحة مع الإنجليز، والتعليم والتربية من أجل اصلاح المسلمين، وكان يعرف جيدا أن أي حكومة لا يمكن أن تستمد سلطتها بقوة السيف بل من الضروري أن تنشأ عاطفة الألفة بين الحاكم والمحكوم، التي هي في نظره أساس الحكم، ويتربط على ذلك حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية، وقد قضى السير سيد أحمد خان طيلة عمره يعمل بهذه النظرية، ويحاول التقرب من الإنجليز حتى يظفر المسلمون بالوظائف والمناصب العليا، والتي يمكنهم عن طريقها الحصول على حقوقهم السياسية.

وفي الواقع كان يرى السير سيد أحمد خان نشر التعليم الجديد من أهم المسائل: فبالطبع الجديد يستطيع المسلمون أن يشاركوا في أعمال الحكومة، ويكونون مؤهلين للوظائف والمناصب الحكومية، ويثري هذا التعليم عقولهم؛ فيصبحون متفتحي الفكر ونموذجا تحتذي به الأجيال القادمة، وعندما ينشب أي صراع اقتصادي أو حضاري بين أقوام الهند المختلفة يستطيع المسلمون أن يظفروا بنصيب وافر من المكاسب الحضارية؛ فتعلو مكانتهم، ويتقدمون في مختلف مجالات الحياة الأخرى بدلا من أن يقتصر على وظائف الخدمة للأقوام الأخرى.

وفي سنة 1869 م سافر السير سيد أحمد خان إلى إنجلترا مع ولديه سيد محمود، وسيد حامد؛ لإلحاقهما في الجامعة هناك، وظل في لندن أكثر من عام اطلع فيه على الحضارة الغربية، ومنحت له الفرصة لمشاهدة التقدم العلمي والحياة الاجتماعية الغربية، وجمع مواد كتابه "خطبات أحمدية" للرد على كتاب "حياة محمد" للسير وليم مور⁵³، إلى جانب اطلاعه على الجامعات الإنجليزية، ثم عاد في 2 أكتوبر 1970 م، وعنده الرغبة الكاملة في نشر التعليم الإنجليزي بين المسلمين، وازداد حماسه لإدخال التعليم الجديد في مدارس المسلمين، وبدأ في تنفيذ خطته التعليمية، فأسس جمعية "راغي تطوير تعليم مسلمي الهند" كميتي خواستغاران ترقى تعليم مسلمان هند" من أجل وضع الخطط التعليمية للمسلمين⁵⁴. وقد قررت هذه اللجنة أن تفتح إحدى الكليات ليحصل المسلمون فيها على التعليم العالي؛ لذا تكونت اللجنة المالية للكلية الإسلامية "محمدين كالج فند كميتي"، وقابلت الحكومة الإنجليزية هذا الاقتراح بالقبول، وساعدتهم على إنشاء هذه الكلية. وفي فبراير 1873 م أسس مدرسة العلوم ب"على كره"، وساهم في إنشائها بجهد كبير كل من سيد محمود وسميع الله خان، الذي تولى إدارة هذه المدرسة التي قامت بدور بارز في تعليم المسلمين العلوم الجديدة وظل السير سيد أحمد

⁵³ مولانا الطاف حسين حالي: حيات جاويد. ص 7 ارسلان بكس، شارع علامه اقبال آزادكشمير 2000م
⁵⁴ مولانا الطاف حسين حالي، حيات جاويد ص 204 ارسلان بكس، شارع علامه اقبال آزادكشمير 2000م

خان مرتبطاً بـ"على كره" حتى آخر لحظة من حياته ، وبعد تطوير هذه المدرسة قام "اللورد لتن" بافتتاح كلية"على كره" في يناير 1877 م⁵⁵.

وتطورت الكلية يوماً بعد يوم، واستقدم السير سيد أحمد خان الأساتذة الكبار من الأوربا للتدريس بها مثل البروفيسر توماس آرنولد (T.W.Arnold) أستاذ الفلسفة، ومدرس اللغة الإنجليزية البروفيسر والي، وهو من أشهر نقاد الأدب الإنجليزي، والسير تيودور مارييس، ومستر أرجيبيلد، وغيرهم من الأساتذة الذين ساهموا في تقدم هذه الكلية⁵⁶. وكانت هذه الكلية مركزاً لأفكار السير سيد أحمد خان وخطته الإصلاحية، وارتبطت بنشر العلوم الجديدة، وقد ساهم كثير من المتنورين في ازدهار ونشر حركة التعليم الجديد مثل محسن الملك، الذي قال في إحدى خطبه:

"إن لم نأخذ بتطبيق بعض الأعمال الإصلاحية، فإننا سنظل نسير إلى الوراء: فقد أصبحت شهرة جهلنا ممتدة من الهند حتى بريطانيا، وصيرنا مضرب الأمثال في كراهية التعليم"⁵⁷.

وقد مر تطور كلية"على كره" بمراحل ثلاث هي:

١- المرحلة الأولى: وهي مرحلة التأسيس، وشارك فيها مولانا الطاف حسين حالي، ووقار الملك، وسميع الله، ومولوي نذير أحمد الدهلوي، ومولوي جراح علي، وذكاء الملك، ونواب عماد الملك، وعبد الحليم شرر وغيرهم من الأفاضل والعابقر. واتسمت الكلية بالعلوم والآداب الغربية.

٢- المرحلة الثانية: وهي مرحلة النهضة القومية لمسلمي الهند، واهتمت الكلية بتدريس العلوم الدينية إلى جانب العلوم الغربية الحديثة. وقد شارك في هذه المرحلة نواب صدر يارجنك، ودكتور ضياء الدين، وحبیب الله خان، ومولوي عبد الحق، وغيرهم.

٣- المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي صارت للكلية فيها مكانة مرموقة داخل الهند وخارجها، وتخرج فيها العديد من رموز الثقافة والفكر والسياسة والاقتصاد من المسلمين، وشارك فيها خواجہ غلام السیدین، وسید أحمد صدیقی، ودكتور عابد حسين، ودكتور ذاكر حسين، الذي صار رئيساً لجمهورية الهند، وقد ساهم هؤلاء بأفكارهم وجهودهم المرموقة في ازدهار هذه الكلية.⁵⁸

وفي سنة 1886م أسس السير سيد أحمد جمعية مؤتمر التعليم الإسلامي باسم "كميٹی خواستگار ترقی تعلیم مسلمانان"⁵⁹ وكان هدفها الأساسي البحث في كيفية نشر التعليم الجديد بين المسلمين، وقد أثبت هذا المؤتمر أنه أكثر فائدة في عدة جوانب من كلية"على كره" في إحداث يقظة المسلمين ونهوضهم، وقد نجح هذا

⁵⁵ مولانا الطاف حسين حالي ، حيات جاوید ، ص 221 ارسلان بكس ، شارع علامہ اقبال آزاد کشمیر 2000م

⁵⁶ محمد إكرام ، موج كوثر ص 88 ، لاهور 1971م

⁵⁷ عبد القيوم ، حالي كي اردو نثر نگاري، ص 30 مجلس ترقی ادب 1964م

⁵⁸ معین الدین عقیل ، تحریک آزادی میں اردو کا حصہ، ص 329

⁵⁹ مولانا الطاف حسين حالي ، حيات جاوید ، ص 199 ، ج 1 ارسلان بكس ، شارع علامہ اقبال آزاد کشمیر 2000م

المؤتمر، وتعلم المسلمون عن طريقه العلوم الجديدة والنظريات الحديثة، وظهرت لديهم ميول ونزعات سياسية جديدة، وقد وضع السير سيد أحمد خان في هذا المؤتمر حالة المسلمين الحاضرة، وقارن فيه بين التعليم القديم والجديد، وأكد على ضرورة التكتل من أجل القضايا القومية والدينية، وكان هذا المؤتمر يعقد كل عام مرة، في مدينة من مدن الهند، ويجتمع فيه وجهاء المسلمين؛ لطرح مشاكلهم، وتقديم الحلول المناسبة لها، واهتم بإنشاء الكليات الجديدة على غرار كلية "على كره"، ويرجع إليه الفضل في إقبال المسلمين على التعليم الجديد.

وقال الأستاذ أحمد أمين عن هذا الصدد:

"وكانت له فكرة عظيمة نافعة، وهي أن يجمع مؤتمرا كل عام يجتمع فيه قادة المسلمين في الأقاليم الهندية المختلفة، كل عام في مدينة، يلقون فيه الخطب والمحاضرات عن الشؤون الإسلامية وأمراض المسلمين وعلاجها، ويصدرون القرارات التي يرونها نافعة في ذلك. وكان الغرض الذي يرمي إليه «السيد» منه بث روح الائتلاف بين المسلمين في البلاد الهندية، وتبادل الآراء في خير الوسائل لترقيتهم، والتعاون على الأعمال المفيدة من إنشاء المدارس أو النهوض بها أو نحو ذلك"⁶⁰

وقام السير سيد أحمد خان في سبيل نشر التعليم الجديد وخططه التعليمية بإصدار جريدة باسم "باشندگان هند" (سكان الهند) وأقام "المجتمع العلمي" لترجمة العلوم الغربية إلى اللغة الأردية، وكان السير سيد أحمد خان يريد أن يقيم جامعة تكون مشعل هداية للمسلمين، وتدرس فيها العلوم الغربية والإسلامية، فأقام الكلية الشرقية" باسم "محمدين أينجلواورينتال كالج"، وقد قامت هذه الكلية بدور بارز في مساندة القومية الإسلامية الهندية، وقد تمهيا المسلمون في هذه الفترة للجهد المنظم، ونشأت العديد من الإدارات التعليمية في مختلف مدن الهند تحت تأثير حركة السير سيد أحمد خان، ومنها الكلية الشرقية بـلاهور أورينتال كالج لاهور⁶¹ "من أجل نشر أهداف "أنجمن پنجا ب" (جمعية البنجاب)، وكان من أهدافها إحياء بعض العلوم الشرقية القديمة، ونشر العلوم المفيدة بين سكان الهند عن طريق اللغات المحلية، والتباحث في المشكلات الأدبية والاجتماعية. وأراد الدكتور لايتنر مرشد هذه الجمعية أن يقيم جامعة تمتاز فيها العلوم القديمة والجديدة، وتسمو بالجوانب الخلقية والعقلية للهنود، فبدأ بإنشاء "مدرسة العلوم الشرقية" عام 1865 م، والتي أصبحت الكلية الشرقية في لاهور عام 1872 م، وقامت هذه الكلية بتنفيذ أهداف جمعية البنجاب.

⁶⁰ فيض خاطر، ج 5 ص 269 الأستاذ أحمد أمين

⁶¹ معين الدين عقيل، تحريك آزادي میں اردو کا حصہ، ص 753

ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتضح معالم حركة السرسيد أحمد خان، وخاصة عندما قام بإصدار جريدة أردية علمية وأدبية "تهذيب الأخلاق" في 24 ديسمبر 1870م من أجل نشر أفكاره التعليمية والدينية، ومحاربة أمراض المسلمين الإجتماعية، وقد تناول فيها عدة موضوعات تهم المسلمين، وتحثهم وتحرضهم على تقليد الغرب في العلوم والفنون و حضارتهم في العادات والتعليم والتربية ومنهج البحث العلمي، ثم بدأ يتحدث فيها عن موضوعات تمس جميع جوانب الحياة.

قال العلامة شبلي النعماني:

"طالما كان النزاع بيني وبين السيد أحمد شديد في آرائه الدينية، وطالما فنّدت آرائه، ومع هذا لا أنكر فضل أسلوبه العالي الذي استخدمه في شرحه أفكاره، فكان أسلوباً رائعاً منقطع النظير، مملوءاً بالفكاهة الحلوة، والتنادر الطريف".⁶²

وقد سجل إعجابه بالتيارات الفكرية الأوروبية وقتذاك في كتابه «سفرنامه» الذي جاء فيه:

"إن الذين يريدون إصلاح الهند الحقيقي يجب أن يجعلوا نصب أعينهم نقل العلوم والفنون والآداب الأوروبية إلى لغة البلاد الأصلية. إن تقدم الغربيين إنما جاء من أنهم عالجوا الآداب والعلوم بلغتهم، ولو كانت العلوم والفنون تعلم في إنجلترا باللغة اللاتينية أو اليونانية أو العربية أو الفارسية لظلوا جاهلين جهل الهند فما لم نهضم العلوم والفنون ونتمثلها بلغتنا فسنظل في حالتنا السيئة هذه".⁶³

وقد دعا السرسيد أحمد خان مسلمي الهند في دعوته التحديثية إلى أن ينظروا إلى تقدم الأمم ورقمها الأخلاقي، يقول في ذلك:

"انظروا إلى إنجلترا، لقد كانت ثروتها تتماشى يوماً فيوماً مع تربيتها، فكلما زادت تربيتها زادت ثروتها، وقد كانت منذ قرون وأمامها من العقبات والصعاب التي تعوق التربية أكثر مما عندنا.. ولو أن الهند سنة 1856 كانت تعرف العالم وتعرف قوتها وقوة خصمها من الإنجليز، وتزن الأمور بميزان صحيح، وتدرك نتائج الأمور ما حدثت الحوادث الأليمة التي حدثت سنة 1858، إلا أن الجهل سبب لكل شر".⁶⁴

⁶² أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 136
⁶³ أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 128
⁶⁴ المصدر السابق، ص 126 - 127

وفي الواقع أن جهود السرسيد أحمد خان تعتبر على وجه العموم، دورة ديناميكية وكما انه سد الفجوة العميقة بين الهند وبين العصور الوسطى والحديثة وأعطى مسلمي الهند التماسك الجديد، والنهج الجديد، والمثل العليا في التعليم والتربية وأعاد فخرهم التراثي والفكري والعلمي. ونحن على قناعة وثيقة، وإيمان راسخ، أن أفكار السرسيد أحمد خان سادت وستسود جميع القوى السلبية وستظل كمصدر هام لجميع المربين المفكرين الإصلاحيين ليست عبر العالم الإسلامي فقط، ولكن أيضا للمفكرين الأوروبيين والأمريكيين في أوروبا وأمريكا وفي الدول والقارات الأخرى في جميع أنحاء العالم الإنساني، لأنها لا تزال ذات صلة كبيرة ومهمة بنفس القدر من الأهمية القصوى (Utmost importance) إلى أقصى الغاية.

ولما بلغ السرسيد أحمد خان الحادية والثمانين من العمر انتقل إلى رحمة الله تعالى عام 27 مارس 1898 م ، فبكاه المسلمون ومعهم الهندوس والأوروبيون على اختلاف عقائدهم وطبقاتهم ومذاهبهم السياسية والاجتماعية، وببكونه أكثر من ذلك لأنه مصلح عملي، لا يكتفي بالنظريات فقط بل أدى واجبه بطريق أحسن.

وكل جديد يا أميم إلى البلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان

إنالله وإننا إليه راجعون

المراجع والمصادر

- 1- الأستاذ أحمد أمين المصري ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دارالكتاب العربي، بيروت لبنان
- 2- الأستاذ أحمد أمين المصري، فيض الخاطر، الجزء الخامس ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة 2012م
- 3- أحمد عطية الله – القاموس الإسلامي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1979م.
- 4- جلال السعيد الحفناوي ، سيد أحمد خان وحركة جامعة عليكرة وأثرها في نهضة المسلمين
- 5- عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين في تحرير الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة 1990.
- 6- عبد القيوم ، حالي كي اردو نثر نگاري، مجلس ترقى أدب لاهور، 1964م
- 7- مجلة صوت الشرق – مجلة ثقافية هندية بالهند – العدد 425 – 2001م.
- 8- معين الدين عقيل ، تحريك آزادي ميں اردو کا حصہ، لاهور 2005م
- 9- مولانا الطاف حسين حالي: حیات جاوید. ج 1، اکادمي بنجاب. لاهور، 1975م
- 10- مولانا الطاف حسين حالي: حیات جاوید. ج 2، ارسلان بکس، شارع علامہ اقبال آزاد کشمیر 2000م
- 11- معين الدين عقيل ، تحريك آزادي ميں اردو کا حصہ
- 12- محمد إكرام ، موج كوثر، لاهور 1971م

رحلات الشيخ أبي الحسن علي الندوي إلى العالم العربي (دراسة تحليلية)

عبد الحكيم⁶⁵

المدخل:

إن أدب الرحلة نوع خاص من أنواع الأدب الذي يقوم الكاتب فيه بتصوير أهم ما يجري له من أحداث، وما يشاهده من وقائع، وما يصادفه من أمور شتى في أثناء رحلته التي يقوم بها خارج مسقط رأسه عبر العالم، وأن هذا الفن لون من ألوان الأدب له خصائص هامة وميزات بارزة، ويقدم معلومات هائلة في ثوب أدبي متفاوت حسب استطاعة الكاتب ومؤهلاته العلمية وتجربته العملية، وتعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية، لأن الكاتب يستمد الحقائق والمعلومات القيمة من مشاهداته الحية الواقعية، كما يستقي النحل العسل من بين الأزهار المختلفة، ويقوم بتصويرها على أوراق كتابه تصويراً مباشراً نابضاً بالحياة، مما يجعل قراءة كتب الرحلات ممتعة ومسلية وغنية بالمعلومات المتنوعة التي لا نجدها في مصادر أخرى، وفي هذا الإطار يوجد هناك عدد كبير من الرحالين ومن أبرزهم اليعقوبي، والبيروني، وابن بطوطة، وقد برز العديد من أدباء الهند وكتابتها في أدب الرحلات وفي مقدمتهم العلامة شبلي النعماني، وحكيم محمد سعيد، والشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وأدينا العظيم الشيخ أبو الحسن علي الندوي ونحن بصدد الآن وغيرهم الكثير.

أما الشيخ أبو الحسن فكان عالماً إسلامياً وأديباً فذاً، وداعية جليلاً، ورحالة كبيرة، وأنه كان مغرماً بالرحلات بصورة طبيعية ولا سيما للدعوة والتبليغ والتربية الإسلامية، وكانت أكثر رحلاته إلى العالم العربي والغربي، وكلها تتسم بميزات علمية وأدبية ودعوية، ورحلاته لم تكن مجرد رحلات عادية كرحالة عصرنا الحاضر، بل أنه قد اشترك في ملتقيات عالمية كبرى وخاطب وحاضر باللغة العربية الفصحى، والتقى بعدد من العلماء الكبار والأدباء العباقرة إضافة إلى لقاءاته مع الوزراء الكبار، وأصحاب السلطة والحكم، وقد بلغ الدعوة الإسلامية في جميع العالم شرقاً وغرباً عن طريق الندوات والمؤتمرات والجلسات وغيرها.

المبحث الأول: "رحلاته إلى المشرق العربي"

رحلته إلى المملكة العربية السعودية: قام الشيخ الندوي برحلته الأولى إلى الحجاز في 9/ يونيو عام 1947م، وكانت هي أول رحلة له خارج الهند، وأقام بالحجاز ستة أشهر، مشغولاً

⁶⁵ الباحث في الدكتوراه بجامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة.

بالأعمال الدعوية.⁶⁶ وفي تلك الفترة توطدت بينه وبين علماء الحجاز علاقات طيبة بمن فيهم العلامة السيد علوي المالكي، والشيخ عبد الرزاق حمزة، خطيب الحرم المكي الأول وإمامه. ثم قام برحلته الثانية في 4/سبتمبر عام 1950م، وخلال إقامته في المملكة العربية السعودية طلبت منه الإذاعة السعودية إلقاء سلسلة من الأحاديث، فرضي واختار موضوعاً لها بعد رؤية وتفكير فطاب له أن يتحدث بعنوان "بين العالم وجزيرة العرب" الذي كان يتوقع أنه سوف يبدي فيه آراءه وانطباعاته بأسلوب مناسب تجذب إليها الأسماع وتهفو إليه القلوب من الحب والطرب أن يسمع العالم العربي من العالم الهندي، ويعبر عن قلبه وضميره على ما يحس ويشعر من محبة ومودة مع قلق واضطراب، فكان عنوان حديثه الأول "من العالم إلى جزيرة العرب" وخاطبها بكل صراحة ووضاحة وقال "إننا لسنا في حاجة إلى زيتك الذي تسير بها العجلات والمكينات، إننا في حاجة إلى ذلك الإيمان وتلك الحرارة والنور الذي اختصك الله به، وتستضيء به العقول والقلوب".⁶⁷ فإن هذه الأحاديث والخطب التي ألقاها الشيخ استمع إليها الناس مع رغبة شديدة وشوق متزايد، وتسببت في زيادة سمعة طيبة للشيخ الندوي بين الأوساط العلمية والأدبية في الحجاز، وقد قامت بينه وبين أدباءها رابطة علمية أدبية دينية.

ثم تكررت رحلاته إلى المملكة العربية السعودية كما سافر إليها في 12 من شهر أغسطس عام 1951م، وكان له حديثان نشرتهما الإذاعة السعودية أحدهما بعنوان "من غار حراء" وكان الحديث الثاني بعنوان "الدكتور محمد إقبال حياته ورسالته" وقد نشر مقال مهم له بعنوان "كيف توجه إلى المعارف" في صحيفة الحجاز العربية وقد علق بعض كبار العلماء وأصحاب الفكر على هذا المقال.⁶⁸ ثم سافر في شهر مايو عام 1962م وألقى خطاباً حول موضوع "الجامعة الإسلامية" وقد نشرت هذه الخطب والمحاضرات عام 1949م بعنوان "المسلمون وقضية فلسطين".⁶⁹ ثم توجه إلى الحجاز على دعوة من الجامعة الإسلامية لإلقاء محاضرات على الطلاب على عنوان "النبوة والأنبياء في ضوء القرآن" في 11 مارس 1963م، وكذلك ألقى خطبة في المدرسة الثانوية بالمدينة المنورة حول "ثلاثة دروس من مأساة فلسطين".⁷⁰ وكذلك سافر في عام 1984م وفي نفس السنة ألقى محاضرة حول موضوع "دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر" بمكتبة

⁶⁶ في مسيرة الحياة المجلد الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 194

⁶⁷ المصدر السابق ص: 215

⁶⁸ المصدر السابق ص: 243

⁶⁹ المصدر السابق ص: 280

⁷⁰ المصدر السابق ص: 327

الملك عبدالعزيز.⁷¹ وألقى خطاباً آخر أمام طلاب الجامعة الإسلامية على دعوة من أهلها كان موضوع حديثه معهم "أزمة إيمان عالمية ومسؤولية علماء المسلمين".⁷² ثم قام برحلة دعوية في عام 1987م وألقى خطبته القيمة حول موضوع "حرمة الحرمين الشريفين"، وقدم مقالا بعنوان "القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع" وخلال هذه الرحلة كان له خطاب في المسجد الحرام بمكة المكرمة الكبيرة بتاريخ 17/أكتوبر حول موضوع "مميزات البلد الأمين والشعار الدعوي" وألقى خطاباً في 19/أكتوبر في الحفلة النهائية للمؤتمر بعنوان "كلمة الوفود".⁷³ قام الشيخ الندوي برحلته الأخيرة إلى المملكة العربية السعودية عام 1998م، وقدم مقالته القديمة بعنوان "اسمعوها مني صريحة أيها العرب".⁷⁴

رحلته إلى مصر: قام الشيخ الندوي برحلته إلى مصر في عام 1951م ملتزماً بتسجيل مذكراته في هذه الرحلة ما يدل على أهداف الرحلة ودوافعها وهو يقول "وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة في ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، أبلغها تحياتك، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم والأمانة التي تقلدتها".⁷⁵

لم يمكث في مصر إلا ستة أشهر أو أقل منها، والتقى فيها بكبار العلماء والدعاة والمفكرين والقادة الزعماء ومشائخ الأزهر وأصحاب الاختصاص في العلوم الدينية نخص منهم بالذكر عبد المجيد سليم، وأحمد أمين وغيرهم، وألقى محاضرة في قاعة عبد الحميد سعيد بعنوان "العالم على مفترق الطرق".⁷⁶ ولم يكن هذا الحديث حسب عادة الشيخ مكتوباً ومسجلاً من قبل بل كان خطبة مرتجلة، وكانت هي تجربة جديدة عن شخص عجمي لأهل مصر. وفي 13/مارس عام 1951م، ألقى محاضرة قيمة بعنوان "الدعوة الإسلامية في الهند وأدوارها وأطوارها" في حفل أقامه الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين في مصر اللواء صالح، حيث ذكر الشيخ نبذة موجزة حول الشخصيات الإصلاحية الدينية في الهند، وتاريخ الدعوة الإسلامية، ومختلف أدوارها وعصورها وأساليبها ومناهجها التعليمية والتربية الإسلامية وقدمه كتحفة وهدية بكونه ممثلاً من

⁷¹ المصدر السابق ص: 71

⁷² في مسيرة الحياة المجلد الثاني للعلامة أبي الحسن على الندوي ص: 74

⁷³ 48 سال شفقتون كئ سايه مين (بالأردنية) للدكتور سعيد الأعظمي الندوي ص: 524-525

⁷⁴ كاروان زندكي الجزء السابع (بالأردنية) للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص: 171-175

⁷⁵ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 218

⁷⁶ المصدر السابق ص: 117

جميع المسلمين الهنديين وقال "أنا اعتقد كذلك أن جهود المخلصين وتجاربهم ثروة إسلامية عامة، ليست ملكا لبلد دون بلد، ولا احتكارا في شعب دون شعب، بل هي بضاعة المخلصين في كل بلد، ونبراس المصلحين في كل عصر، يحق لهم أن يقولوا كلما أهديت إليهم ونقلت عن بلاد إلى بلادهم" هذه بضاعتنا ردت إلينا"⁷⁷.

وكذلك شعر الشيخ بعد الوصول إلى القاهرة أن يخاطب مصر خطابا دعويا يذكرهم فيها عن رسالتها ودورها ومكانتها، فكتب كلمات رائعة مليئة بالغيرة الإيمانية والحرقة الإسلامية تحت العنوان "اسمعي يا مصر" نشرت في مجلة "الرسالة" السائدة. وعلق على هذه الرسالة الكاتب الإسلامي الكبير الشيخ سيد قطب قائلا في إحدى لقاءاته بالشيخ الندوي "قرأت (اسمعي يا مصر) وأرجو أن تسمع" فقال الشيخ الندوي ردا عليه "إذا سمعتم فقد سمعت مصر"⁷⁸

رحلته إلى السودان: سافر الشيخ الندوي في 3/ يونيو عام 1951م من القاهرة إلى السودان، وأقام فيها عشرة أيام، وفي أثناء إقامته ذهب إلى جامع أم درمان، ودار خريجي الجامعة حيث ألقى محاضرة بعنوان "أهمية إفريقية الدينية" حضرها عدد كبير من علماء العاصمة المثلثة وأساتذة المدارس والشبان وقال فيما قال "لقد لعبت آسيا دورها في تاريخ العالم، وتولت قيادة الأنبياء ومبادئ الدين، ثم انتقلت القيادة المادية والمعنوية إلى أوربة- ولها أسباب وعلل ليس هذا محل شرحها-، فشقي العالم وشقيت الإنسانية بهذه القيادة كما يعلم الجميع، وهذا دور قيادة إفريقية أيها المسلمون الإفريقيون، فإن الله يمنح كل أمة وكل قطر فرصة القيادة والخدمة"⁷⁹

رحلته إلى سوريا: سافر في 24/ يونيو عام 1951م إلى أرض دمشق وأقام فيها ثمانية وأربعين يوما وقضى أربعة وعشرين يوما منها في دمشق، وخلال إقامته فيها ألقى محاضرة مهمة بتاريخ 23/ يوليو عام 1951م حول موضوع "شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين" بجامعة السورية، حضرها كبار علماء دمشق وكان منهم الدكتور مصطفى السباعي، وقد اشتملت هذه المحاضرة على دراسة تلك العوامل التي أدت إلى هذه المأساة منها وذكرها بالتفصيل اليسير، وهي كما يلي-

الأول: فقد الدوافع النفسية إلى الاستماتة والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة. والثاني: طغيان العقل على العاطفة وضعف روح المغامرة. والثالث: عدم وجود شخصية في قيادات الشعوب العربية كلها تغمر فلسطين وقضيتها ومشاعرها وتفكيرها، ويصبح حالها كحال صلاح الدين الذي

⁷⁷ الدعوة الإسلامية في الهند للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 42

⁷⁸ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 164

⁷⁹ المصدر السابق ص: 216

وصفه أمين سره القاضي ابن شداد "إنما كان كالوالدة الثكلى التي ذبح ولدها الوحيد في حجرها" وأنه متى تحل هذه القضية الفلسطينية لا تحل إلا بهذا الطريق، لا من طريق المؤتمرات والقرارات والمجاملات".⁸⁰

ثم سافر إليها مرة ثانية عام 1956م وألقى ثماني محاضرات متتالية في جامعة دمشق، وكان أول محاضرة له في 4/ إبريل عام 1956م في قاعة الجامعة الرئيسية، وكان عنوانها "التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي" وألقى محاضراته الثلاثة بعنوان "الإمام حسن البصري وخلفاؤه" وألقى محاضراته الثمانية في 30/ مايو عام 1956م وكان موضوعها "حجة الإسلام الغزالي مصلحا اجتماعيا" هكذا تمت سلسلة المحاضرات بنجاح كبير وتكريم عظيم.⁸¹ قضى في دمشق ثلاثة أشهر، وفي أثناء إقامته وجد فرصة للتحدث والتحاور في الإذاعة بدمشق مرتين، فألقى الحديث الأول بعنوان "إسمعي يا سورية" وكان الحديث الثاني بعنوان "محمد إقبال في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم".⁸² ثم تتابع الزيارات والرحلات إلى السورية لإلقاء المحاضرات والمشاركة في المؤتمرات والندوات للتفاعل الثقافي والتبادل الفكري.

رحلته إلى أرض فلسطين: عرفنا فيما سبق أنه سافر في 24/ يونيو عام 1951م إلى دمشق، وخلال هذه الرحلة ذهب إلى بيت المقدس وتشرف بزيارة المسجد الأقصى، وقضى فيها الأيام الأخيرة من رمضان وصلى العيد هناك، وزار قبر زعيم بلادنا الهند وقائد حركة الخلافة الكبرى في شبه القارة الهندية مولانا محمد علي جوهر، وقضى يومين في مدينة الخليل المباركة وعبر انطباعاته حول أحوال المسلمين الفلسطينيين قائلا "ورأيت المسلمين- أهل فلسطين- كغرباء وأيتام لا يشعرون بكرامة ولا يثقون بمستقبل، قلوبهم منكسرة ورؤوسهم منكسة، وكانوا يجتمعون من القرى المجاورة وضواحي القدس في عدد كبير، وكان في صلاة الظهر والعصر عدد كبير من المصلين في المسجد الأقصى ويجلسون بعد الصلاة يتلون القرآن أو يحضرون الدروس والمواعظ التي تلقى عليهم، ولم أجلس إلى أحد إلا وجدته منكسر الخاطر وجريح النفس، يحكي حكايات تدمع العين وتحزن القلب، وينتقد ملوك العرب وقادة البلاد".⁸³

رحلته إلى الإمارات العربية المتحدة: وكذلك قام برحلة إلى الإمارات العربية المتحدة في شهر يناير عام 1974م على دعوة من حاكم الشارقة الشيخ سلطان محمد القاسمي، وألقى خطبة قيمة في

⁸⁰ أبو الحسن الإمام المفكر الداعية المربي الأديب للشيخ عبد الماجد الغوري ص: 251

⁸¹ في مسيرة الحياة المجلد الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 258

⁸² المصدر السابق ص: 259

⁸³ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 254

الشارقة بمسجد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعنوان "خليج بين الإسلام والمسلمين" وألقى أيضا خطابا آخر في هذه الرحلة في المكتبة العامة بدبي على عنوان "كيف دخل العرب التاريخ".⁸⁴ ثم رحل إليها للمرة الثانية عام 1983م، وقضى فيها نحو أسبوعين، وألقى فيها مجموعة من المحاضرات تتسم بالصدق والإخلاص والمحبة للعرب والمسلمين، كما ألقى فيها أربع محاضرات قيمة، وكان من أهم خطبته في جامعة العين الواسعة بعنوان "أزمة هذا العصر الحقيقية" وألقى خطبة في كلية البنات بهذه الجامعة بعنوان "دور البنات المسلمات في المجتمع الإسلامي" وكما ألقى خطبة قيمة دينية في مسجد سيدنا سعد بن أبي وقاص بأبوظبي بعنوان "إلى الإسلام من جديد".⁸⁵ هكذا تكررت رحلاته إلى الإمارات العربية المتحدة في عام 1993م، وعام 1996م، وانتهت هذه الرحلة عندما اختير لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم لميزته الدعوية وأثاره العلمية الكبيرة عام 1999م.⁸⁶

رحلته إلى الكويت: لقد أقيمت المسؤولية الكبيرة بعد وفاة الشيخ الدكتور عبد العلي على أكتاف الشيخ الندوي، فقد تم اختياره في الجلسة الاستشارية بـ 18/يونيو عام 1961م، كرئيس أو أمين عام لندوة العلماء، وتضاعفت بذلك مسؤولياته، وكانت دار العلوم التابعة لندوة العلماء تعاني الأزمة المالية في تلك الأيام، فرحل إلى الكويت بتاريخ 24/يناير عام 1962م لطلب العون والمساعدة المالية من أعيان البلد وأصحاب المؤسسات الخيرية، وقضى هناك الأيام العشرة الأولى من شهر رمضان المبارك، والتقى بالشخصيات الموقرة من الأوساط الدينية والعلمية، وألقى عدة خطب للجمعة وخطابات عامة، وألقى في هذه الرحلة ذات يوم خطابا بالإذاعة الكويتية بعنوان "اسمعي يا زهرة الصحراء" وقدم في هذه الرحلة رسالة إلى أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح.⁸⁷ ثم تكرر سفره كما سافر في عام 1968م، وعام 1983م على دعوة من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في وزارة الإعلام لإلقاء محاضرة بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري بعنوان "الإسلام والمدنية الإنسانية"، وألقى أيضا محاضرة في قاعة جمعية الإصلاح الإجتماعي بعنوان "واقع العالم الإسلامي" على دعوة من الشيخ عبد الله العجيل.⁸⁸

⁸⁴ في مسيرة الحياة المجلد الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 354

⁸⁵ المصدر السابق ص: 428

⁸⁶ كاروان زندكي الجزء السابع (بالأردية) للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص: 218

⁸⁷ المصدر السابق ص: 277

⁸⁸ أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 9

رحلته إلى اليمن: وسافر في 14/مايو عام 1984م إلى اليمن بناء على دعوة أحمد عبده ناشر، وألقى عدة محاضرات خلال إقامته، كما ألقى خطابا في اليوم التالي من يوم وصوله في 15/مايو بجامعة صنعاء، وكذلك كان له غير هذا الخطاب ثلاث محاضرات أخرى في صنعاء، إحداها في كلية الطيران، وثانيها في مركز المدرعات.⁸⁹ وأما خطابه الثالث فكان في جامع المشهد، وقد ألقاه أمام جمع كبير من المثقفين والطلاب الجامعيين وأعيان البلد وكان عنوانه "درس لنا في قصة سبأ".⁹⁰

رحلته إلى الأردن: أراد الشيخ الزيارة للمملكة الأردنية الهاشمية عام 1973م مع الوفد للرابطة العالمية، وقد كانت هذه الرحلة رحلة ثالثة لهذه البلاد، وقابل جلاله الملك حسين، وعندما دخل إلى مكتب الملك فمشى الملك على الأقدام لاستقباله بحفاوة ورحابة صدر، وفتح الباب، وأبدى دماثة وتواضعا زائدا، واعتذر أنه يقابله في هذا الزي الذي كان فيه.⁹¹ ثم سافر إليها للمشاركة في المؤتمر في إبريل عام 1984م، وألقى كلمة مرتجلة استعرض فيها ملخصا موجزا للمد الإسلامي في الهند، أقام فيها ثمانية أيام، وألقى خلالها خطبا ومحاضرات كثيرة، وكانت المحاضرة الثانية في قاعة جامعة اليرموك بإربد، وقد ذكر معركة اليرموك الحاسمة لأخذ الدروس منها، وإيجاد الشخصية الإيمانية المتميزة بين المسلمين التي كانت سرا حقيقيا وراء كل المكارم والفتوحات والانتصارات، وكان الخطاب الأخير بغرة شعبان في كلية العلوم العربية بعمان، وبعد إلقاء هذا الخطاب قُدمت إلى الخطيب ميدالية تذكارية جميلة لقبّة الصخرة كذكرى من كلية العلوم العربية.⁹²

رحلته إلى العراق: سافر الشيخ الندوي في يونيو عام 1956م إلى بغداد، وأقام بها يومين أو ثلاثة أيام، وخلال هذه الرحلة القصيرة قد زار قبور الشيخ معروف الكرخي، والإمام الأعظم أبي حنيفة، والإمام موسى كاظم، والصحابي الجليل سلمان الفارسي، وفي أثناء هذه الرحلة التقى بأستاذه الجليل الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي بعد ثلاث وعشرين سنة، وإنه كان موجودا في بغداد في ذلك الوقت، وألقى خطابا حول موضوع "أزمة إيمان وأخلاق" في فناء جمعية إنقاذ فلسطين الواسع، أمام أعضاء جماعة الإخوان المسلمين.⁹³ ثم قام برحلته الثانية عام 1973م وزار

⁸⁹ في مسيرة الحياة المجلد الثاني للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 26

⁹⁰ المصدر السابق ص: 27-29

⁹¹ في مسيرة الحياة المجلد الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 353

⁹² في مسيرة الحياة المجلد الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 13-15

⁹³ كاروان زندكي الجزء الأول (بالأردنية) للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص: 438-439

المتحف العراقي حيث كان مديره الفاضل المتخصص في الآثار والحفريات، وتطوف معه في المكتبة وشاهد خلالها ما مرت بها حضارة العراق وتاريخها ومجتمعاتها وحكوماتها من زمن عريق في القدم إلى العهد الأكدي ببضعة آلاف من السنين قبل الميلاد إلى العهد البابلي، ثم زار أخيراً ضريح الشيخ الإمام عبد القادر الكيلاني وصلى في مسجده أكثر من مرة.⁹⁴

رحلته إلى إيران: ورحل الشيخ بمرافقة الوفد إلى إيران وأقام بها عشرة أيام، بدأت هذه الرحلة من 11/ يونيو عام 1977م وانتهت إلى 20/ يونيو عام 1977م، كانت هذه الأيام العشرة التاريخية التي قضها الوفد في إيران حافلة بالزيارات واللقاءات، والأحاديث والمحاضرات، وقد زار الوفد خلال هذه الأيام عدداً من الوزراء الكبار نخص بالذكر منهم دولة عباس هويدا ومعالي الشيخ كاظم زادة وزار مدينة تهرآن ومدينة قم ومشهد الإمام علي الرضي الذي هو أكبر مشهد ومزار في إيران كلها، وزار مسجد سبه سالار في تهرآن، وزار كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية في جامعة تهرآن، ودار التبليغ الإسلامي في مدينة قم، ومركز التقريب بين المذاهب الإسلامية في تهرآن، وزار منزل العلامة شريعة مداري ودار التبليغ في قم، ثم توجه إلى منزل العلامة مرزا محمد خليل كمرآي حيث أقيمت حفلة تكريم لطيفة.⁹⁵

المبحث الثاني: "رحلاته إلى المغرب العربي"

رحلته إلى المغرب: سافر الشيخ الندوي إلى المغرب العربي الأقصى لأول مرة على دعوة من المسؤولين عن رابطة الجامعات الإسلامية في شهر أيار عام 1976م، للحضور في مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية الذي عقد في الرباط في الفترة ما بين 11 و17 أيار لدراسة المشكلات التعليمية والتربوية ووضع حلولها، ومسائل المعاهد الكبرى والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، وألقى كلمته في الحفل الافتتاحي ثم قدم ورقته العلمية على دعوة من وزارة الثقافة بعنوان "أزمة العالم الإسلامي الحقيقية" في قاعة المحاضرات التابعة لوزارة الثقافة وقد نشرته إذاعة المغرب.⁹⁶

رحلته إلى الجزائر: وكذلك سافر في 28/ يونيو عام 1982م إلى الجزائر على دعوة من وزير الشؤون الدينية الشيخ عبد الرحمن شيبان للمشاركة في الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي، وقد قرأ محاضراته بعنوان "طبيعة هذا الدين وسماته البارزة" وبعد انتهاء الحفل قد زار آثار تلمسان

⁹⁴ من نهر كابل إلى نهر اليرموك للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 154-160

⁹⁵ اسمعي يا إيران للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 6-10

⁹⁶ المصدر السابق ص: 88

والأمكنة التاريخية.⁹⁷ كما سافر عام 1986م للمشاركة في ملتقى الفكر الإسلامي بسطيف، وقدم مقالته في البرامج الأولى من الملتقى حول موضوع "دور الإسلام الثوري البناء في مجال العلوم الإنسانية" وقد أقيمت في هذا الملتقى حوالي 27-28 محاضرة أعدها للملتقى كبار الأساتذة الجامعيين ورجال الدعوة والفكر الإسلامي.⁹⁸

المبحث الثالث: "آراءه وانطباعاته حول العالم العربي"

إن الشيخ الندوي بكونه رحالة كبيراً وأديباً فذاً وداعية شهيراً قام برحلات عديدة إلى مختلف أنحاء العالم شرقاً وغرباً للدعوة والتبليغ وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم فقط، وجلب أنظار الناس إلى فرائضهم وواجباتهم لا للاستجمام وطلب الراحة والتفرج على جمال الطبيعة والتنشق في الأجواء اللطيفة وقضاء الوقت في نزهة سياحية ومتعة نفسية، وقد كتب عدة مذكرات سجل فيها انطباعاته وخواطره مما شاهد وسمع وقدمها بأسلوب رائع ممتع يمتاز بالفصاحة والبلاغة مما يرغب القاريء لقراءتها ودراستها، فإن هذه الرحلة وقصة اللقاءات والاجتماعات وملخصات الخطب والمحاضرات وحكاية الصلات والعلاقات بمختلف الأوساط العلمية والأدبية، والتعريف بالهند والدعوة الإسلامية فيها توجد بكاملها في كتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي" ومن نهر كابل إلى نهر اليرموك "وأسبوعان في المغرب الأقصى" وغيرها. هنا استطيع أن أذكر بعض آراءه وانطباعاته حول الأوضاع الاقتصادية والسياسية والخلقية والاصلاحية الدينية والاجتماعية للبلاد العربية بكل إيجاز.

الأحوال الاقتصادية: مما لا شك فيه أن التخلف وعدم المساواة يقسمان المجتمعات البشرية إلى الطبقتين الطبقة العليا والطبقة الدنيا، ويمهدان الطريق لثورات اقتصادية وموجات شيوعية في داخل البلاد كما نشاهدنا في بلادنا الهند، والجدير بالذكر أن البلاد العربية ولاسيما مصر كانت تعاني من التخلف وعدم المساواة أكثر من الهند في ذلك الحين، كما نجد في قول الشيخ الندوي حيث يقول "والأرض التي كنا نقطعها ليست لها صلة بالقاهرة، هذه في غاية المدنية والرفاه والترف والنظام وتلك في نهاية الفقر والبؤس والإهمال، وهو الذي يمهد الأرض ويفتح الطريق لثورات اقتصادية وموجات شيوعية".⁹⁹ وإذا أردنا أن نحلل الكلام السابق للشيخ الندوي نستنتج شعوره البالغ الإنساني، وحكمه العادل، ورأيه الصائب في التفاوت الطبقي الذي يولد عدم

⁹⁷ المصدر السابق ص: 413-415

⁹⁸ في مسيرة الحياة المجلد الثاني للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 132

⁹⁹ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 60

الرضا والغضب والثورات ضد الحكام والملوك في العالم العربي، ونشاهد اليوم أن العالم العربي يعاني من هذه الأزمة الاقتصادية والمشكلة عدم الاستقرار.

الأحوال السياسية: كما نحن نعرف أن شخصية الشيخ كانت شخصية دينية، لم يجد في نفسه رغبة وشوقاً في السياسة والحكومة، على الرغم من هذا الاستنكار كانت لديه معرفة واسعة بالسياسة للعالم العربي، وإنه كان مطلعاً على الأحوال التي كانت تجري في البلاد العربية من تفسخ في الأخلاق وظلم واستبداد في الحكومات وتحزب للسياسة المعاصرة كما يقول عن أحوال انحطاط وتخلّف السياسة في البلاد العربية "وعرفت ما هنالك في العالم العربي من تفسخ في الأخلاق واستبداد في الحكومات وتحزب في السياسة، وانصراف بالكلية عن الدين، وعبادة المادة وضياح الشعوب العربية بين حكومات مستبدة ورجال يعيشون بأموال الدولة والأمة وعبث الأطفال بالحصي والخزف، وأحزاب سياسية تتلمى بالشعب وتسخر منه وتضرب بعضه ببعض لمصلحتها وسياستها".¹⁰⁰

وكذلك أبدى رأيه السليم وأكد أمام الأدباء والعلماء ضرورة الاتصال بالشعب، كما نبه إلى الأخطار المدهشة التي تمر بها البلاد كما أورد في محاضرة ألقاها بقاعة جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت وصرح فيها قائلاً "أن التغاضي عن الحقائق والواقع وتعطل الضمير الإسلامي، وعدم احتساب القادة ومحاسبتهم، وقلة الاعتاظ والاعتبار بالحوادث والوقائع خطر حقيقي كبير، وهذا هو الخطر الذي يواجهه العالم العربي".¹⁰¹

الإصلاح الديني: حينما نستعرض حياته وجدنا أنه كان في الحقيقة مفسراً حينما يفسر الآيات القرآنية ومحدثاً عظيماً حينما يشرح الأحاديث النبوية وأديباً بارعاً فذاً حينما يكتب النماذج الأدبية وزعيماً سياسياً حينما يشرح الدين الإسلام الخالد إلى يوم القيامة، ولا ريب فيه أن الله تعالى أمر نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم في العديد من الآيات القرآنية بالدعوة والتبليغ، ثم تولى مسؤولية الرسالة ووظيفة أداء الأمانة الصحابة الكرام وأتباعهم حتى جاءت المسؤولية إلى العلماء الذين تشربوا روح الإيمان بالله تعالى، وأما بالنسبة إلى الشيخ الندوي أن حياته كلها كانت عبارة عن أداء هذه الواجبات والقيام بمسؤولية الدعوة بين الناس ولا سيما الشبان المسلمين في أنحاء العالم، وأنه بذل جهوده المتواضعة لتربية الشبان المسلمين كلهم كما يقول مخاطباً الطلاب والطالبات في جامعة صنعاء "اعرفوا نفوسكم أيها الشباب، إذا عرفتم نفوسكم فقد عثرتم على

¹⁰⁰ المصدر السابق ص: 36

¹⁰¹ في مسيرة الحياة الجزء الأول للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 326-327

الكنز الدفين وعلى شلال قوي هو أقوى شلال في العالم، الشلال الإيماني الذي تستطيعون أن تقتسبوا منه التيار الكهربائي، الذي ينير ما حولكم من بلاد الله وينير العالم كله، لقد كان سلفكم هم الذين أناروا العالم، لأنهم قد اقتسبوا وأخذوا هذا التيار الكهربائي من صدورهم المليئة بالإيمان، وحملوه إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب".¹⁰²

الإصلاح الاجتماعي: عندما نلقي نظرة استقصائية على تاريخ المسلمين في العالم العربي وجدنا أن المسلمين كانوا يمرون بأزمات متنوعة وقضايا متعددة ومشكلات مختلفة في كل مرحلة من المراحل في الحياة، من أجل ذلك تخلفوا عن التقدم والازدهار في مجال التجارة والصناعة والمناصب العالية، إن محل الحكومة للعالم العربي القضايا الأساسية تنحل وفق رأي كل قضية من القضايا للأمة الإسلامية في العالم العربي، كما ألقى الندوي خطاباً حول "أزمة إيمان عالمية ومسؤولية العلماء المسلمين" أمام الطلاب والقادة السعوديين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكانت تلك الأيام تشهد مجاعة شديدة في أثيوبيا والسودان والصومال، وقال فيما قال "إن المجاعة التي هي أخطر وأدهي من تلك المجاعة التي يتحدث عنها الناس هي مجاعة إيمان وأخلاق، المجاعة التي أصيبت بها أكثر البلاد، حتى البلدان الراقية المتحضرة، ولكنها لا تهتم بهذه المجاعة ولا تفكر فيها، كأن قيمة الجسد عندها أعلى من قيمة الروح".¹⁰³ إذا أردنا أن نحلل الكلام السابق فوجدنا أن الشيخ الندوي قد ركز جهوده المتواضعة على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية وتطهير المجتمع من المجاعة التي تشهد بها معظم البلاد العربية.

الانحطاط الخلقي: كان الشيخ الندوي حزينا ومغموما جدا عندما قام بالمشاهدة المستوى الخلقي في البلاد الإسلامية ولاسيما في مصر التي لها فضل كبير في جميع العلوم والفنون، فإنه لا يتصور أبدا بأن أهل العرب يقومون بأعمال لا علاقة لها بالإسلام من بعيد، ذات مرة توجه الشيخ إلى الحمام الذي بني على طراز الحمامات التركية، كما نحن نعرف أن الحمامات التركية مشهورة ومعروفة جدا في أنحاء العالم، وأن الحمامات التركية أصبحت فعالية سياحية من الدرجة الأولى، فاطلق عليها الغربيون اسم "الحمام التركي" يتوجه إليه الناس من بلاد مختلفة فقط للاستجمام وقضاء الوقت الفارغ في المتعة النفسية، فهو يقول مشيراً إلى الحمام مما شاهد خلال زيارته "ذهبت اليوم إلى حمام هو على نظام الحمامات التركية ودخلت أستحم، فرأيت فوجاً من الشبان والأحداث والكهول عراة لا شيء على أجسامهم البتة، ولا فرق بينهم وبين الهائم مطلقاً، فدهشت لهذا الوضع الغريب المنافي للشرع والمروءة الإنسانية، وخرجت من غير استحمام متكدراً

¹⁰² في مسيرة الحياة للعلامة أبي الحسن علي الندوي الجزء الثاني ص: 26

¹⁰³ المصدر السابق ص: 74-75

كسيفا".¹⁰⁴ لذلك يمكننا القول لا يناسب لكل عربي ترى على الخلق السليم والغيرة الإيمانية والدين الحنيف أن يدخل حمام السوق الذي لا يقبله العقل الإيماني. ويمكننا القول إن لكل شيء جانبين الجانب الإيجابي، والجانب السلبي، وأما البلاد العربية قد أثرت على قلب الشيخ إيجابيا وسلبيا، هنا لا نستطيع أن ننكر هذه الحقيقة أن البلاد العربية ولاسيما مصر لها أهمية كبيرة بارزة في العلوم والفنون، يتوجه إليها الكثير من الطلاب المسلمين من أنحاء العالم للتعليم والتربية الإسلامية، وأن أدباءها يعدون من أهم الأدباء العباقرة في العالم كله وهم ينالون الشرف والمجد من كل بلد من بلاد العالم، ويوجد في قلوبهم الإيمان بالله تعالى والمحبة للمسلم خاصة، وهم أصحاب رقة القلب، وسلامة الصدر، وعلى الرغم من ذلك أن معظم علمائها وأدبائها وكتابتها لا يهتمون برواج الثقافة الإسلامية كما يجب عليهم من واجبات الدعوة والتبليغ، من أجل ذلك أن الشباب العرب يقلدون الحضارة الغربية في حياتهم الفردية، ويتزايد عدم العصيان والطغيان لله تعالى والإهمال عن الدين يوما فيوما في العالم العربي كله على العموم وفي مصر على الخصوص لذلك قال الشيخ بكل صدق وأمانة في موضع ردا على العالم الكبير أحمد الشرباصي عندما سأله عن سيئات مصر "أن الشيء الذي لم يعجبني في مصر هو السفور، وعدم التستر، والصور الخليعة في الصحف والمجلات، واستهانة بعض العلماء ببعض الحرمات، وعدم المحافظة على الجماعات في المساجد برغم كثرتها، والاندفاع في تقليد الحضارة الغربية بلا تبصر".¹⁰⁵

خاتمة البحث: كما عرفنا فيما سبق أن رحلات الشيخ الندوي لم تكن للمتعة النفسية، بل كانت طلبا للعلم والمعرفة، ونشر الدين الحق الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولقاء أهل العلم والدعوة والتناصح معهم حول قضايا الأمة المسلمة في العالم كله، والمشاركة في المؤتمرات والندوات والاجتماعات الدينية والجمعيات والهيئات التي كان عضوا فيها في عدد كبير من البلاد العربية والغربية على السواء، وأن رحلاته كانت وسيلة للتوعية والتثقيف والإصلاح والتربية الإسلامية للشبان المسلمين على الخصوص والناس أجمعين على العموم، لذلك أنه لم يكتف في كل ما قام به من الرحلات الدعوية والإصلاحية بل سجل انطباعاته وخواطره ومشاعره ووجدانه ما رأى وسمع خلال رحلاته وجولاته عبر البلدان العربية في مذكراته اليومية بكل رغبة شديدة بهدف استخدام وقائعها وأحداثها الهامة كوسيلة للتذكير والتبليغ والدعوة الإسلامية، وقدمها بأسلوب رائع جذاب يمتاز بالفصاحة والبلاغ

¹⁰⁴ مذكرات سائح في الشرق العربي للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 89

¹⁰⁵ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة أبي الحسن علي الندوي ص: 20

المصادر والمراجع:

1. الغوري، السيد عبد الماجد، : أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق بيروت الطبعة الثالثة 2005م.
2. الغوري، السيد عبد الماجد، : تحقيق رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي، دار ابن كثير دمشق، بيروت 2001م.
3. الندوي، أبو الحسن علي: أحاديث صريحة مع إخواننا العرب، دار الصحوة الطبعة الأولى 1985م.
4. الندوي، العلامة أبو الحسن علي: أسبوعان في المغرب الأقصى، مؤسسة الرسالة بيروت 1983م.
5. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، ملتزم النشر والتوزيع المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء لكناؤ (الهند) الطبعة الثانية 1986م.
6. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : المسلمون وقضية فلسطين (مجموعة خطب ومحاضرات) الدار الكويتية للطباعة والنشر، الكويت 1969م.
7. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : دو هفتة تركي مين (بالأردية) مكتبه إسلام 172/54 محمد علي لين كوئن رود لكناؤ الطبعة الثانية 1422 هـ.
8. الندوي، أبو الحسن علي، : ردة ولا أبا بكر لها، مكتبه السراوي للنشر والتوزيع القاهرة 1992م.
9. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : شخصيات وكتب، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى 1990م.
10. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : شرق اوسط مين كيا ديكا (بالأردية) مكتبه تعليمات اسلام لكهنؤ 38 امين آباد برك الطبعة الأولى 1953م.
11. الندوي، أبو الحسن علي، : في مسيرة الحياة، في ثلاث مجلدات دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1987م.
12. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : كاروان زندكي (الأردية) في سبع مجلدات، مكتبة اسلام 172/54 محمد علي لين كوئن رود لكهنؤ طبعة عام 1994م.
13. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : مذكرات سائح في الشرق العربي، دار ابن كثير دمشق- بيروت طبعة دار ابن كثير الأولى 2001م.
14. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : من بيته إلى بيت الله (بالأردية)، مكتبه إسلام 172/54 محمد علي لين كوئن رود لكناؤ 2013م.
15. الندوي، أبو الحسن علي: من نهر كابل إلى نهر اليرموك، دار الهلال للطباعة النشر أنقره 1974م.
16. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : نحن الآن في المغرب، ملتزم النشر والتوزيع المجمع الإسلامي العلمي ندوة العلماء لكناؤ (الهند) بدون سنة الطباعة.
17. الندوي، العلامة أبو الحسن علي، : نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان، دار الصحوة، القاهرة 1985م.
18. الندوي، د/سعيد الرحمن الأعظمي، : 48 سال شفقتون كى سايه مين (بالأردية) مكتبه فردوس، مكارم نغر لكناؤ 2012م.

العلامة صديق حسن خان القنوجي مساهمته في علم اللغة والأدب¹⁰⁶

وكتابه "البلغة في أصول اللغة" نموذجاً

محمد فريد

المدخل:

إنّ اللغة العربية هي من أرقى اللغات العالمية وتعتبر من إحدى اللغات المعتمدة في الأمم المتحدة، وشاعت هذه اللغة شيوعاً في الجماهير والدهماء فضلاً عن أوساط العلماء بعد تأسيس الدولة الإسلامية فيها الفتوحات الإسلامية أسفرت عن الهجرات العربية إلى المناطق التي فتحت على أيدي المسلمين. فانتشرت اللغة العربية كما أن القبائل العربية توجهت واستوطنت هذا البلد. فاختلط فيما بينهم يعنى العرب و سكان الهند وبدأ سكان الهند يتعلمون لغة الفاتحين فهذا الإختلاط نتيجة تعريب هذه المناطق، بالمراتب المختلفة. فصار التراث العربي يمثل عنصراً دينياً في شبه القارة الهندية، وظاهرة بارزة من مظاهر الثقافة الإسلامية. حتى بدأ أهل الهند كتابة و تدوينات باللغة العربية في مجال التفسير والحديث النبوي الشريف و أصوله، والفقه و أصوله، والأدب و اللغة و المعاجم و النحو و الصرف و البلاغة و العروض و الشعر و الكلام و المنطق و الفلسفة والعقيدة و الطب و الجغرافية و الفلكيات و الأسفار و الموسوعات والطبقات و الرجال، و برزت في شبه القارة الهندية نخبة طيبة من كبار العلماء والأدباء الذين كان لهم أثر بسيط في المحافظة على الدين ولغته والشريعة والدعوة الإسلامية و بذلوا جهودهم المضنية لصالح الأمة المسلمة وسعادتها، وقد تركوا لنا ذخيرة ضخمة من كتب التراث العربي الأصيل من كل فن و لون. والجدير بالذكر أن ما وصل إلينا من هذا التراث الغالي جزء من الكل الذي لا نعلم به. إن كثيراً من أعمالهم العلمية والأدبية ومؤلفاتهم العلمية النادرة قد ضاعت، ومنها ما وجد وحقق و طبع نرى من بين هؤلاء العلماء اسما يطالع كما تطالع الشمس من بين النجوم والكواكب، ألا وهو السيد النواب صديق حسن خان القنوجي. نبذة عن حياته و نشأته العلمية:-

هو المفكر الإسلامي الأديب الكبير أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، ولد في يوم الأحد، التاسع عشر من شهر جمادي الأولى عام 1248 هـ الموافق 1832/10/14م ببلدة

¹⁰⁶ قدم الباحث هذه المقالة في ندوة وطنية عقدت 23-25 مارس 2017 التي نظمتها قسم اللغة العربية بجامعة بركة الله بهوبال بالهند

بريلي(1).وهو سيد من السادات، ولنسبه شرف كبير حيث تنتهي شجرته إلى سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (2) وكان والده الكريم عالما كبيرا، شهيرا بالورع والتقوى، وكان من تلامذة الشيخ محمد نورو الشيخ مرزا حسن علي(3)، وكان والد السيد حسن خان بجانب دعوته للناس إلى دين الحق يلم بتأليف الكتب والتصنيف حيث ألف أربعة عشر كتابا في الحث على الالتزام والتمسك بالقرآن والسنة، والرد على البدع والخرافات التي أدخلها المبتدعون المعرضون في دين الله المتين، فمن حسن حظ السيد صديق حسن خان أنه ورث من أبيه العلامة حسن بن علي المعروف "بأولاد حسن" مكتبة زاخرة فيها كتب قيمة. فصار يشاق إلى مطالعة الكتب ودراستها، فيقول عن نفسه في ذلك:

"كنت طفلا صغيرا حين الشيخ الحسيني (خادم والدي) كان يشمّس كتبه، فكنت ألعب بها وأقلب أوراقها وأطالع أحيانا، فأفهم بعض الفقرات ولا أفهم بعضها. لذلك مال قلبي إلى الدراسة، وكنت أشاق دائما إلى قراءة الكتب وفهمها، فما تركت كتابا إلا وقرأته من أوله إلى آخره(4)".

للشيخ السيد صديق حسن خان شرف التلمذ على عديد من كبار العلماء وخاصة على مفتي القارة الهندية آنذاك سماحة الشيخ العلامة الإمام صدرالدين- رحمه الله تعالى- فبعدما انتهل من العلوم و المعارف من العلماء الكبار استأهل للتأليف والتعليق حيث ألف بعض الكتب والرسائل وقام بالتعليق على بعض الكتب، وهو طالب علم، فنظرا إلى ذكائه ومؤهلاته الدراسية، ومواهبه الفطرية، أجازه سماحة المفتي صدرالدين إجازة عامة بمنح شهادة له بهذا الصدد ولقد أثنى على ذكائه وقوة ذاكرته وتفوقه على أقرانه وزملائه من حيث الفهم والدراسة والعلم، حيث جاء في تلك الشهادة ما يلي:

المولى السيد صديق حسن خان القنّوجي له ذهن سليم، وذاكرة قوية وفهم ثاقب ومناسبة تامة بالكتب و مطالعة صحيحة واستعداد كامل قد اكتسب مني كتب المعقول الرسمية منطقها وحكمتها، ومن علم الدين كثيرا من البخاري و قليلا من تفسير البيضاوي، وهو مع ذلك ممتاز بين الأمثال والأقران فاق عليهم في الحياء والرشد والسعادة والصلاح و طيب النفس وصفاء الطينة والعزبة والأهلية وكل الشأن(5).

مساهمته في علم اللغة والأدب:-

إن العلامة نواب صديق حسن خان القنّوجي كان مواظبا على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- و معتصما بهما في كل الأحوال عاملا بالدليل، تاركا التقليد الجامد متجنباً من المتفقيين وأصحاب العقليات الظاهرة، و متبعا طريقة السلف الصالحين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأتباعهم .وكان تقيا، ورعا، ملتزما بالسنة ورافضا البدع والخرافات .وبناء على جهوده وزهده و ورعه وتقواه قد أسلم على يديه أكثر من عشرة آلاف إنسان، علما بأنه قد ألف عديدا من الكتب القيمة في الحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والرد على البدع والخرافات.

ومن الحقيقة الثابتة أن الشيخ القنّوجي كان شغوفا منذ نعومة أظفاره بالعلم والمطالعة ودؤبا على البحث والتحقيق فكان له في الكتابة سرعة عجيبة وملكة غريبة منقطعة النظير، حيث كان يكتب في يوم واحد عدة كراريس، ويؤلف كتباً ضخمة خلال أيام قلائل. فقلما مضى أحد من الأغنياء سلك هذا المسلك و جمع بين الرئاستين، العلمية والحكومية. فهذا العلامة القنّوجي له تأليفات أكثر من 222 كتابا ورسالة في مختلف العلوم والفنون أما مؤلفاته العربية عددها أربعة وخمسون(6).

كان للقنّوجي حظ وافر من العلم و الأدب و الشعر و اللغة، فقد برع في علم اللغة و أصولها، و يشهد لذلك ما تناول في تفسيره من المباحث اللغوية، و مما يدل على تذوقه الأدبي ما نراه في حسن اختياره لما يستشهد به من أشعار العرب، و قد كان شاعرا، وله قصائد، منها قصيدة في مدح خير البرية منها:

أوفي أمارات النبوة أنه	أعي المصاقع عمدة العرباء
أنت الذي أثنى عليك الله في	سفر كريم كاشف الأشياء
ولك الشفاعة والمكانة في غد	ولأنت أكرم معشر الشفعاء
وعظيم رجائي أن تكون مشفعي	في عفوزلاتي بيوم جزاء(7).

إن القنّوجي لم يشتهر في العلوم ذكرناها أنفا فقط بل نرى أنه كان على صلة وثيقة بعلوم أخرى كالتاريخ والسير والمناقب و السياسية وغيرها و طرق أبوابها كما يقول أستاذه حسين بن محسن اليماني:

"هو بارع في سائر العلوم الجامع بين منطوقها والمفهوم...وكم له من تأليفات مفيدة، و رسائل عديدة في كل فن من الفنون ما بين تفسير وحديث وغير ذلك، أظهر فيها شمس

البراهين، واحتوت على جمل من الفوائد النفيسة للمستبصرين، فلقد أجاد فيها و أفاد، وقرر ما نقله عن الجهابذة النقاد، فعند ذلك أخرست براهينه ألسن المعترضين(8).

و قد ترك في أكثر العلوم تأليفات جمة غنية بالعلم تدل على ثروة الواسعة، وتعبر عن مكانته وقدرته، ومن مؤلفاته في علم اللغة والأدب فيما يلي:-

1. البلغة في أصول اللغة.
 2. الإنشاء العربي.
 3. ربيع الأدب.
 4. العلم الخفاق من علم الإشتقاق.
 5. غصن ألبان المورق بمحسنات البيان.
 6. الكلمة العنبرية في مدح خير البرية
 7. لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والمولد والدخيل والأغلاط.
 8. نشوة السكران من صباه تذكرة الغزلان.
 9. أبجد العلوم
- "البلغة في أصول اللغة" نموذجاً:

يشتمل هذا الكتاب على باين، الأول: في موضوعات فقه اللغة، والآخر: في ذكر عددٍ من المصادر اللغوية، وخاتمة الكتاب التي جاءت في اعجاز القرآن. تقدم في الباب الأول من البلغة، خطبة الكتاب التي تقابل المقدمة في الوقت الحاضر، والمقدمة في البلغة مقابلة للتمهيد إلا أنها أي (مقدمة البلغة) أكثر اتساعاً وتفصيلاً. وأكمل تأليفه في 20 رجب سنة (1292هـ) في بلدة بهوبال المحمية دار الرياسة العلية وطبعت سنة (1294هـ) في زمن الرئيسة شاهجهان بيكم ملكة مملكة بهوبال وهي زوجة المؤلف، وكان ناسخه المنشي محمد أحمد حسين الصفي فوري و رمزت لها بالرمز (ب) نسبة إلى بهوبال . ففي الخطبة ذكر محمد صديق حسن خان منهجه وسبب التأليف ومادة جمعه، وأشار إلى عناية علماء السلف المبرزين وجلة من الخلف المتقنين بعلم اللغة، لكن لم يعن بأصولها وارتياها كما يشير إلاً واحد من الفحول هو السيوطي (911 هـ) و سميها بالأنواع خلافاً لصاحب البلغة التي عدّها أصولاً وأسماها (البلغة إلى أصول اللغة) (9)،

ذكر محمد صديق حسن خان في المقدمة تعريف القدماء للغة وهو قول ابن جني ... (392هـ):
 أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ونحوه (10)، والذي قال بمثله أبو الوفا الهوريني (11) وبما يقاربه حد الفن الذي على ما يبدو لم يتطرق إليه العلماء السابقون على هذه الشاكلة وكأنه أحد تعريفات علم البلاغة بقوله: "علم يبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة" (12). وفي موضوع آخر من المقدمة وهو تصنيف اللغة أطل فيه خلافاً للسيوطي في المزهري (13)، بإيراده كلاماً للقدماء والمحدثين في حين محمد صديق حسن خان قد أراد من كتابه أن يكون كتاباً لغوياً خالصاً من الصرف بحذف ما أورده المزهري من الموضوعات الصرفية، ويبدو أنه عدها موضوعاً محتاجاً للمناقشة.

تناول المؤلف في الباب الأول كل موضوعات فقه اللغة ومصطلحاته متأثراً بمنهج المزهري، وصاحب المزهري بدوره تأثر بإبن فارس، فذكر محمد صديق حسن خان خمسين مسألة من مسائل فقه اللغة أوردها كالآتي:

1. في معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت.	2. في معرفة المتواتر والآحاد.	3. في معرفة المرسل.	4. في معرفة الأفراد.	5. في معرفة من تقبل روايته و من ترد.
6. في معرفة طرق الأخذ والتحمل.	7. في معرفة المصنوع.	8. في معرفة الفصيح.	9. في معرفة الفصيح من العرب	10. في معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات.
11. في معرفة الردئ المزموم مان اللغات.	12. في معرفة المطرد والشاذ.	13. في معرفة الحواشي و الغرائب والشواذ والنوادر.	14. في معرفة المستعمل والمهمل.	15. في معرفة المفاريد.
16. في معرفة مختلف اللغة.	17. في معرفة تداخل اللغات.	18. في معرفة توافق اللغات.	19. في معرفة المعرب.	20. في معرفة الألفاظ الإسلامية.
21. في معرفة المولد.	22. في معرفة خصائص اللغة.	23. في معرفة الاشتقاق.	24. في معرفة الحقيقة والمجاز.	25. في معرفة المشترك.

26. في معرفة الأضداد.	27. في معرفة المتوادف.	28. في معرفة الأتباع.	29. في معرفة العام والخاص.	30. في معرفة المطلق والمقيد.
31. في معرفة المشجر.	32. في معرفة المشجر.	33. في معرفة الأبدال.	34. في معرفة النحت.	35. في معرفة الأمثال.
36. في معرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأخوة والأخوات والأذواء والذوات.	37. في معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيح.	38. في معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الأثغ لا يعاب.	39. في معرفة الملاحن والألغاز.	40. في معرفة الأشباه والنظائر.
41. في معرفة آداب اللغوي.	42. في معرفة كتابة اللغة.	43. في معرفة التصحيح والتحريف.	44. في معرفة الطبقات والحفاظ والثقافات والضعفاء.	45. في معرفة الأسماء والكني والألقاب والأنساب.
46. في معرفة المؤتلف والمختلف.	47. في معرفة المتفق والمفترق.	48. في معرفة المواليد والوفيات.	49. في معرفة الشعر والشعراء.	50. في معرفة أغلاط العرب.

قام المؤلف في الباب الثاني بتعداد أسماء الكتب المؤلفة في اللغة حصراً دون غيرها من المؤلفات النحوية، والصرفية، والبلاغية، وعلم العروض فوضع قائمة طويلة فيه مرتباً هذه المصادر ترتيباً ألفبائياً جامعاً كتب اللغة في الألسنة العربية، والتركية، والفارسية، والهندية مستهدياً كشف الظنون مضيفاً إليه بعض المصادر التي لم يذكرها صاحب الكشف والايضاح، ونود أن نشير إلى القضايا البارزة في هذا الباب، فمن الملاحظ أن هناك حروفاً في اللغة العربية لم يرد فيها اسم كتاب في اللغة في هذه الفهرسة وكما ذكر محمد صديق حسن خان وهي: باب الثاء المثلثة، وباب الذال المعجمة، وباب الظاء المعجمة، لكنه في باب الطاء المهملة ذكر طبقات النحويين واللغويين، ولا يُعد من مؤلفات اللغة وإنما في علماء وأئمة اللغة وكذلك بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، فهذا يدل على عدم وجود اسم كتاب في اللغة يحويه هذا الباب (14).

أهمية الكتاب:

تأتي أهمية الكتاب في أسلوب تأليفه، وما ضمه من موضوعات، فقد ضمَّ الباب الأول

موضوعات في فقه اللغة منها حد اللغة و وصفها، ووضعها، والمتواتر منها، وطرائق الأخذ والتحمل، والفصيح، والضعيف، والحوشي والشاذ، والمغرب، والمولد، والاشتقاق، والمشتك، والمترادف، والاتباع، والابدال، والقلب، والنحت، والأمثال والتصحيح وغيرها، مضيفاً إليها بعضاً من آرائه وما نقله عن علماء اللغة، فهي موضوعات من الضروري أن يعرفها دارس فقه اللغة.

وأُتبعه الباب الثاني بما ضمه من الكتب المؤلفة في علم اللغة، العربية، والفارسية والتركية، والهندية مستبعداً علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض وغيرها، وهذه الكتب اللغوية مرتبة حسب الألفبائية، والجديد هو هذا المنهج الذي جمع بين البابين، مما دل على جهد كبير مبذول في الترتيب والتصنيف والتنظيم، فجاء كتاب البلغة كما قال بعضهم: "الاختصار إذا جمع ثلاثة أشياء أحدها: الاستقصاء في الصفة، والثاني: الاهتمام في المعنى، والثالث: الإيجاز كانت المادة بذلك أبلغ" (15).

وكان في كثير من الكتب التي ذكرها في الباب الثاني يفصل في تسميتها وضبط تلك التسمية، ويعرض موضوعاتها وطريقة مؤلفها فيها، ثم يذكر من استدرك عليها أو خطاها مثل فعله بكتاب الصحاح والعين، وجاءت الخاتمة مغايرة لما احتوى الباب الأول والثاني، فجاءت في بيان إعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من الفرقان، وفيها مسألتان:

الاولى: في إعجاز الكتاب الكريم، والثانية في العلوم المستنبطة من القرآن وفيهما كلامٌ طويلٌ عن الإعجاز القرآني (16).

قال محمد صديق حسن خان عن هذه الخاتمة: "فإن قلت كيف ختمت هذه المقالة التي وضعتها في علوم اللغة هذه الخاتمة التي اشتملت على ذكر إعجاز القرآن وعلومه؟

قلت ختمتها بتلك؛ لأن القرآن نزل من عند الله بلسان العرب وقضى من الجامعة التي في لغتها منتهى الإرب، وهذا دليل على أن اللغة العربية أفضل اللغات وأوسعها وأجمعها وأكملها بلا ريب لا تساويها لغات العجم عند علماء الأدب" (17). فللكتاب قيمة كبيرة في موضوعه فالمكتبة العربية تكاد لا تفي بما يريده الباحث، فجاء هذا الكتاب مشتملاً على مصطلحات فقه اللغة في بابه الأول، وعلى الكتب المؤلفة فيه في بابه الثاني فسد الفراغ الذي تشكو منه مكتبتنا العربية في موضوعه.

النتائج:

لم يكن هذا الكتاب معروفاً لي بين كتب فقه اللغة قبل أن أعمل على دراسته وتحقيقه، ومن خلال دراستي ظهر لي أنه يمكن أن يسد باباً في المكتبة العربية يستفيد منه الدارسون لأنه جمع قواعد ضرورية لهؤلاء الدارسين وكذلك وصلت إلى عدد من النتائج المهمة أضعتها على الوجه الآتي:

1. أضفت كتاباً في فقه اللغة إلى المكتبة العربية، الذي يُعد توليفاً ومن أولى المؤلفات في موضوع فقه اللغة في العصر الحديث، وجاء هذا الكتاب حسن التنظيم والترتيب ومنتقى بشكل دقيق.
2. عرّفت وقدمت محمد صديق حسن خان ملك مملكة بهيوال الهندية مؤلفاً في علم اللغة، وهو الذي اشتهر فقيهاً ومحدثاً بين علماء الشريعة؛ ولذلك اقتصرت معرفته على طلاب الفقه والمذاهب فهو

من رجال النهضة المجددين، ومن بيت من بيوت العلم وعُدَّت مؤلفاته في اللغة قليلة قياساً إلى مؤلفات الفكر العربي الاسلامي.

3. أثر الفكر الاسلامي في عقول شعوب ليست حضاراتها عربية وعلى الرغم من بعدها المكاني عن منبع الإسلام وهي الجزيرة العربية، إلا ان الهنود وغير العرب صنفوا مؤلفات باللغة العربية تأثرت بمنهج التأليف عند العرب وهذه المؤلفات كثيرة، فصاحب البلغة محمد صديق حسن خان بلغت مؤلفاته نيفاً وستين مصنفاً بالعربية والاردوية والفارسية، وكما قال الدكتور حسين علي محفوظ: إنَّ العلماء الهنود بالغوا في التصنيف، والتأليف، والتدقيق.

4. تنظيم الكتاب منهجي علمي وزع المفردات على أبوابها، حيث جاء الباب الأول متضمناً خمسين أصلاً من أصول اللغة مكوناً من موضوعات فقه اللغة المعروفة في كتاب المزهري، والباب الثاني: جاء سرداً لأسماء مصادر اللغة فقط دون الصرف، والنحو، والعروض، والبلاغة، وخاتمة أراد لها المؤلف أن تكون في اعجاز القرآني، فاتصف الكتاب بالتنوع والشمول فهو كتابان في كتاب واحد وهذا المنهج يُعدّ جديداً.

الحواشي

1. القنّوجي: صديق حسن خان: الحطة في ذكر الصحاح الستة، مط: إسلامي أكاديمي، لاهور، 1972 م ص 302.
2. القنّوجي: صديق حسن خان: إيقا المتن بإلقاء المحن، مط: مطابع الشاه جهاني، بهوبال، 1305 هـ ص 70.
3. هومرزا حسن علي بن عبد العلي اللكهنوي، تلميذ الشاه رفيع الدين والشاه عبدالعزيز، وكان متبحراً في الحديث وعلومه مات في سنة 1255 هـ راجع لترجمته. اللكهنوي: عبد الحي: نزهة الخواطر، مط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، دكن، ج: 7، ص 136.
4. نوشهري، أبويحي، امام خان، تراجم علماء حديث هند، ص: 238.
5. القنّوجي: صديق حسن خان: الحطة في ذكر الصحاح الستة، مط: إسلامي أكاديمي، لاهور، 1972 م ص: 264.
6. القنّوجي: صديق حسن خان: الحطة في ذكر الصحاح الستة، مط: إسلامي أكاديمي، لاهور، 1972 م ج: 1 ص: 5 مجلة صوة الأمة، مجلة شهرية إسلامية أدبية تصدر عن دار التأليف والترجمة، الجامعة السلفية، بنارس، ص: 54 (شعبان 1391 هـ).
7. أبو نصر: سيد محمد علي حسن، ماثر صديقي، مط: نول كشور، لكاناؤ، 1343 هـ ج: 2 ص: 29.
8. افندي: سليم فارسي: قرة الأعيان ومسرة الأذهان، ص: 64.
9. البلغة إلى أصول اللغة، ص: 13-14.
10. المصدر، نفسه، ص: 17.
11. أبو الوفا الهوري المصري:، الوفاي، الأحمدي، الأزهري، الاشعري، أديب لغوي، معجم المؤلفين، ص: 93/13.
12. البلغة إلى أصول اللغة، ص: 7.
13. المزهري علوم اللغة وأنواعها: ج: 1، ص: 7، البلغة إلى أصول اللغة: ص: 8.
14. البلغة إلى أصول اللغة، 89، 95، 105، 106.
15. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة من هامش الكتاب 1625/2.
16. البلغة إلى أصول اللغة: ص: 142-145.
17. البلغة إلى أصول اللغة، ص: 147.

القاضي أبو المعالي أظهر المباركفوري

(1916 – 1996م)

☆ الحلقة الأولى ☆

د. أورتك زيب الأعظمي¹⁰⁷

مدخل إلى الموضوع: القرن العشرون الميلادي لم تكن نهايته سعيدة بالنسبة لمسلمي الهند خاصة ولمسلمي العالم عامة فقد فقدنا فيها من العلماء والباحثين الإسلاميين من لو بحثنا عن أمثالهم لم نظفر بها في العالم الإسلامي كله فالشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ت 1997م) والشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي (ت 1999م) والشيخ أبو المعالي القاضي أظهر المباركفوري (ت 1996م) وأمثالهم كثير ممن سيعجز الدهر عن تقديم أمثالهم في المستقبل القريب كما يبدو. كل هؤلاء العلماء كانوا ممن برع في مجاله وميدانه العلمي والدعوي فالشيخ أمين أحسن الإصلاحي كان مفسراً كبيراً ومحدثاً كما كان الشيخ أبو الحسن علي الندوي داعية كبيراً و مؤرخاً و مفكراً مميّزاً و كاتباً بارعاً و أديباً عربياً. وأما الشيخ أبو المعالي القاضي أظهر المباركفوري فهو كان محققاً ومؤرخاً إسلامياً ملأ الفراغ العلمي والتاريخي الذي بقي غير ملئ منذ مدة مديدة فهو الذي أحى العلماء والمحدثين والفقهاء والشعراء الذين قد نسي التاريخ أسمائهم كما ربط سلسلة العلاقات الهندية-العربية حتى عصر صدر الإسلام وعصر الخلفاء الراشدين، السلسلة التي كنا نسمع عنها فقط ولكن لا نملك دليلاً أو دلائل عليها فهو المحسن إلى هذا الجانب من تاريخ علاقة الهند مع العرب وله من وعطاءات علينا ولنا سنذكرها بشيء من التفصيل في الأسطر التالية:

مولده وسلسلة نسبه: هو القاضي عبد الحفيظ بن الشيخ الحاج محمد حسن بن الشيخ الحاج لعل محمد بن الشيخ محمد رجب بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ إمام بخش بن الشيخ علي. هاجر جدّه الشيخ الحاج لعل محمد وطنه كرا مانكفور (Kara Mānakpūr) مع الشيخ الراجه السيد مبارك بن الراجه السيد أحمد الجشتي المانكفوري في عصر السلطان نصير الدين همايون وتوطن هذه البلدة الحديثة العهد التي قام بتأسيسها الشيخ الراجه السيد مبارك المانكفوري. منذ ذاك الحين ولّيت هذه العشيرة مسؤولية القضاء، الميزة الدينية التي يشعر بها في كل فرد من أفرادها. وأما أمّه فهي حميدة بنت الشيخ أحمد حسين بن الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ جمال الدين.¹⁰⁸ ولد الشيخ القاضي عبد الحفيظ المعروف بـ"أظهر" المباركفوري في الساعة الخامسة صباحاً اليوم الرابع لشهر رجب سنة 1334هـ المصادف للسابع من شهر مايو سنة 1916م

¹⁰⁷ مدير تحرير "مجلة الهند" (بالعربية) و "The Indian Journal of Arabic and Islamic Studies" (بالإنجليزية)¹⁰⁸ كاروان حيات مع قاعدة بغدادية سي صحيح بخاري تك، ص 20-21

بالدار الواقعة فيما بين الحيين حيّ بوره صوفي (Pūra Sūfi) وحيّ حيدرآباد (Hyderābād) بمباركفور (Mubārakpūr). ولد القاضي أطهر ونشأ وترعرع بهذه الدار.¹⁰⁹

دراسته من بدايتها حتى نهايتها: كما ذكرنا الوثائق التاريخية عن القاضي أطهر المباركفوري أنه قد شدا من العلم حينما كان يرضع لبن أمّه وجدته للأمّ فكان يسمع ما كانتا تعلّمان أولاد الحيّ، وبعد هذا ألحق إلى كتّاب القرية حيث درس "قاعدة بغدادية" و"القرآن الكريم" كما نال العلم البدائي للغة الأردوية، وبجانب هذا تعلّم على والده في البيت. وبعدما شدا من العلم ألحق إلى مدرسة إحياء العلوم، مباركفور. كان القاضي يقرأ آنذاك الجزء الثالث للقرآن الكريم فتعلّم هناك من اللغة الأردوية إلى اللغة الفارسية والعربية والعلوم الإسلامية والعربية واستفاد من أساتذتها استفادة تامة. ومن أبرزهم الحافظ علي حسن والمنشي عبد الوحيد والمنشي أخلاق أحمد والمفتي محمد يسين المباركفوري والشيخ شكر الله المباركفوري والشيخ بشير أحمد المباركفوري والشيخ محمد عمر المظاهري.¹¹⁰

وبجانب دراسته في مدرسة إحياء العلوم فقد استفاد القاضي أطهر من علماء آخرين لمباركفور وضواحيها ومنهم الشيخ محمد أحمد اللهاوي (ت 15/شوال 1368هـ) والشيخ محمد شريف المصطفى آبادي (ت 2/ذو الحجة 1372هـ) صاحب "الإفاضة القدسية في المباحث الحكمية" وجدّه للأمّ الشيخ أحمد حسين الرسول فوري (ت 26/رجب 1359هـ) أديب وشاعر له ديوان والشيخ محمد يحيى الأعظمي (ت 11/صفر 1387هـ) جامع العلوم وشاعر العربية والملا رحمت علي إسماعيل المباركفوري (ت 1944م) علامة الفرقة البوهرية والشيخ السيد سليمان الندوي صاحب "العلاقات الهندية-العربية".¹¹¹

وبعدما أتمّ دراسته من هذه المدرسة ارتحل إلى مرادآباد حيث كانت الجامعة القاسمية فأقام هنا لمدة سنة لإكمال "دورة الأحاديث" فاستفاد هنا من السيد فخر الدين أحمد والسيد محمد ميان والشيخ محمد إسماعيل السنهلي¹¹² كما أطفأ غلته الأدبية بها.¹¹³

وهنا انتهت مدة دراسته للعلوم والآداب والفنون الإسلامية وغير الإسلامية. وذلك لأنه لم يكن يسعه الرحلة إلى خارج منطقته لنيل المزيد من العلوم والآداب فهو يقول:

"لم يكن بوسعي أن أرتحل إلى المدارس خارج ديارى فلم أقدر إلا على أن أخرج عن ديارى لمدة سنة ولو كنت لاهقاً في نيل العلوم والآداب إلى حد أني كنت أودّ أن ألتحق بالجامع الأزهر لنيل الدراسات العليا. ولو أني لم

¹⁰⁹ المصدر نفسه، ص 20

¹¹⁰ كاروان حیات مع قاعدة بغدادی سے صحیح بخاری تک، ص 22-24 ومجلة "ضیاء الإسلام" الشهرية، 3/8-9/12 و14

¹¹¹ كاروان حیات مع قاعدة بغدادی سے صحیح بخاری تک، ص 24-27 ومجلة "ضیاء الإسلام" الشهرية، 3/8-11/12-13

¹¹² مجلة "ضیاء الإسلام" الشهرية، 3/8-15/12

¹¹³ كاروان حیات مع قاعدة بغدادی سے صحیح بخاری تک، ص 29

أوفق هذا ولكني بدلت أمنيّتي هذه بحيث أني صيرت بيتي ومدرستي الجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع قرطبة والمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية وكنت أحلم تلك الجامعات وأساتذتها كل حين وأستفيد منهم وأستفيد منهم".¹¹⁴

رغبته في اقتناء الكتب والرسائل: كان القاضي أظهر المباركفوري ممن اشتدت رغبته في جمع الكتب واقتناء الرسائل حتى كابد في هذا السبيل مشاكل وصعوبات ولكنه لم يغفل عن هذا الجانب العلمي، ولا أبالغ إذا قلت إنه كان هائماً بجمع الكتب والرسائل القيّمة. ولنقرأ بعض كتاباته عن هذا الجانب من حياته: "قد شغفت حباً في جمع الكتب حينما كنت أدرس في الصفوف البدائية فقد كنت أستعيرها من زملائي كما كنت أشتريها بنفسني".¹¹⁵ ويقول كذلك:

"كنت أختار الكتب حسب ذوقي وسعة اطلاعي وقد كنت أودّ أن أشتريها كلها ولكن لم أكن أمتلك الأموال فجعلت أشتغل بتجليد الكتب، الشغل الذي أمدني في شراء الكتب".¹¹⁶

ويقول أيضاً: "الكتب التي كانت توافق وذوقي كنت أنسخها إذا لم أقدر على شرائها".¹¹⁷ هذه وأقوال له أخرى تدلّ على أنه كان هائماً بجمع الكتب والرسائل. وفيما يلي فهرس وجيز للكتب والرسائل التي اشتراها في زمن طفولته أو في عنفوان شبابه:

"مختار الصحاح للإمام الرازي" و"أدب الكاتب لابن قتيبة" و"كتاب الأضداد في اللغة لابن بشّار الأنباري" و"كتاب المعارف لابن قتيبة" و"ديوان النابغة الذبياني" و"ديوان زهير بن أبي سلمى" و"العلم الخفاق في علم الاشتقاق لليهوفاي" و"ديوان الخنساء مع ديوان حاتم الطائي" و"مقدمة ابن خلدون" و"دلائل الإعجاز للجرجاني" و"العمدة في الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني" و"الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري" و"طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي" و"الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني" و"فتوح البلدان للبلاذري" و"شرح نخبة الفكر للعسقلاني" و"ديوان الحماسة بشرح التبريزي" و"الكامل في اللغة والأدب للمبرد" و"فقه اللغة مع سرّ العربية للثعالبي" و"مشكوة المصابيح" و"ديوان مجنون" و"تفسير ابن كثير" و"صحيح البخاري" و"إحياء العلوم للغزالي" و"تذكرة الحفاظ للذهبي" و"كتاب الخراج لأبي يوسف" و"الإمامة والسياسة لابن قتيبة" و"سنن الترمذي" و"سنن ابن ماجه" و"سنن النسائي" وكتب أخرى لا حاجة إلى ذكرها.

¹¹⁴ المصدر نفسه، ص 30

¹¹⁵ المصدر نفسه، ص 37

¹¹⁶ المصدر نفسه، ص 38

¹¹⁷ المصدر نفسه، ص 42

لم يكن القاضي أظهر يشترى هذه الكتب ويجمعها فحسب بل كان يقرأها ويستفيد منها فهو يقول: "كنت ألهو في الكتب التي لم تكن في المقررات الدراسية فقد كنت أصحبها كل حين من حياتي وأقرأها قائماً وقاعدًا وكنت أنفق في دراستها ساعات طويلاً".¹¹⁸

ويقول بعد ذكر شراء بعض الكتب: "هذه الكتب غير تلك الكتب التي كنت أشتريها وأشتغل بدراستها ليل نهار".¹¹⁹

ويقول كذلك: "بجانب قراءة هذه الكتب كنت التقط منها وأزّين بمقتطفاتها مقالاتي".¹²⁰ ولنا عبرة أخرى بالنسبة للكتب التي اشتراها وجمعها زمن طفولته وهي كما يلي: "لقد صليت النوافل من وراء شراء كل كتاب في ذلك الزمن".¹²¹

في ميدان التأليف والتحقيق: كان القاضي أظهر المباركفوري راغباً في التأليف والترجمة منذ طفولته فقد أصدرت منظمة طلبة مدرسة إحياء العلوم بمباركفور مجلة خطية باسم "الإحياء" ولي القاضي أظهر إدارة تحريرها.¹²²

وكذا كان القاضي أظهر يختار نكتاً مهمة من أمهات الكتب ويكتب المقالات ولهذا الهدف قام بقراءة كافة كتب مكتبة منظمة الطلبة فهو يقول:

"قد قرأت كافة كتب مكتبة منظمة الطلبة واستفدت منها وعندما ظفرت بكتاب جديد شرعت في قراءته راغباً عن كافة الأشغال، وكنت أجمع مختارها وأكتب المقالات في ضوءها والحال أني لم أقدر على فهم تلك الكتب فهمًا تاماً وكان العديد منها فوق مستواي العلمي".¹²³

وأما عن بداية كتابة المقالات وصدورها فهو يقول:

"صدرت أول كتاباتي في مجلة "پیام تعلیم" الشهرية الصادرة عن الجامعة المليية الإسلامية فشجّعني أستاذي الشيخ شكر الله ثم كتبت مقالة باسم "واردها كي خطرناك تعلیمی اسکیم" نشرت في صحيفة "الجمعية" الصادرة عن مكتب الجمعية بدلهي القديمة ثم صدرت لي مقالة في صفحة واحدة باسم "مساوات" في مجلة "مؤمن" الصادرة عن بدايون وهي في 1353هـ. ثم صدرت لي مقالة أخرى في نفس المجلة بعنوان "رها دين باقی"

¹¹⁸ المصدر نفسه، ص 33

¹¹⁹ المصدر نفسه، ص 35

¹²⁰ المصدر نفسه، ص 36

¹²¹ المصدر نفسه، ص 39

¹²² مجلة "ضياء الإسلام" الشهرية، 15/12-8/3

¹²³ المصدر نفسه، ص 20

نه إسلام باقي" في صفحتين وفي نفس المدة صدرت لي مقالة بعنوان "بلاكسان إسلام" في صحيفة "العدل" الأسبوعية الصادرة عن غوجرانواله (Gujrānwālah) ببينجاب".¹²⁴

عَدَّ الشيخ عبيد محمد عثمان المعروف في مقالته عن "مساوات" أول مقالة له نشرت في أي مجلة¹²⁵ ولكن هذا وهم من الأستاذ المعروف فإن الشيخ القاضي نفسه ذكر في سيرته الذاتية أن أول كتاباته صدرت في مجلة "پیام تعلیم" الشهرية الصادرة عن الجامعة المليية الإسلامية بدلهي الجديدة.

وأما أول مؤلفاته فهو ما جمعه من المعلومات آخذًا عن كتابات أمّه حول سير الخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة، اعتبره القاضي أظهر أول مؤلف له¹²⁶ وحينما التحق بالصف الثاني أو الثالث الأردوي وضع له مذكرة جمع فيها أبيات المدائح النبوية وجمعها بين الدفتين.¹²⁷ وهكذا فإنه ألف خمسة كتب في زمن الطفولة وهي كما يلي:

1. في شهر شوال 1355هـ قام القاضي أظهر بشرح قصيدة كعب بن زهير المدحية بعنوان "خير الزاد في شرح بانث سعاد" في عشرين صفحة، وكتب عليه مقدمة في ثلاث صفحات ذكر فيها سيرة كعب بن زهير والسبب وراء قرض تلك القصيدة وتقطيع أبياتها.
2. وجمع سير السلف من العلماء وأئمة العلم والفن في 54 صفحة آخذًا من "وفيات الأعيان" و"تذكرة الحفاظ" و"فهرست ابن نديم" وعنوانه بـ"مرآة العلم". ذيل الكتاب بالأبيات عن العلم والعلماء في ست صفحات.
3. وشرع يكتب المقالات في مجلة "قائد" حول الأئمة الأربعة آخذًا من "وفيات الأعيان" و"تذكرة الحفاظ" و"تهذيب التهذيب" و"فهرست ابن نديم". لم يوفق القاضي إتمامه وانتهت هذه السلسلة على الإمام مالك، جمعها مرة أخرى بين الدفتين في حوالي 125 صفحة وأراد مركز تنظيم أهل سنت بـلاهور أن يطبعه ولكنه ذهب به قسمة البلاد في 1947م ثم حاول القاضي أن يجمعه مرة أخرى ويطبعه عن شركة سلطان بسوق بهندي في مومبائ ولكنه بما عاد صاحبها إلى الباكستان فقد ضاع هذا التراث العلمي مرة أخرى.
4. وجمع سير الصحابييات آخذًا من "الاستيعاب" و"الإصابة" و"أسد الغابة" بعنوان "الصالحات" وفوضه إلى صاحب ملك دين محمد التاجر وأولاده بالسوق الكشميرية في لاهور ولكنه لم يطبع كما ضاع المخطوط من عند المؤلف.

¹²⁴ المصدر نفسه، ص 30

¹²⁵ المصدر نفسه، ص 145

¹²⁶ كاروان حيات مع قاعدة بغدادی سے صحیح بخاری تک، ص 47

¹²⁷ المصدر نفسه، ص 47

5. وكتب أبياتاً عددها 225 بيت في أصحاب الصفة، كأنها كانت ملحمة أصحاب الصفة وقام الشيخ السيد فخر الدين أحمد بإصلاحها كما قام الشيخ إعزاز علي أيضاً بإصلاحها ثم فوّضت هذه الملحمة إلى شركة شباب بمومبائ للطبع ولكنه ضاع من عنده.¹²⁸

6. وترجم إلى الأردوية رسالة "الوحدة الإسلامية" وغيرها من الرسائل لجمال الدين الأفغاني.¹²⁹ منذ ذاك الحين حتى وفاته بقي القاضي أظهر المباركفوري يكتب مقالات وكتباً وهذه المدة التأليفية من عمره تربو على أربعين سنة. وأما مؤلفاته ورسائله المطبوعة وغير المطبوعة فنعرّفها في الموضوع المناسب لها. **عربية القاضي أظهر:** وبما أنّ القاضي أظهر كان يكتب، في معظم الأحيان، باللغة الأردوية فيمكن أن يثور في ذهن أحد منا سؤال عن عربيته فنودّ أن نقطع دابر الشك عن هذا الجانب من ثقافة القاضي أظهر. فهو يقول مبيناً عن سفره للحج والحديث الذي جرى بينه وبين العرب:

"--- سألني عدد من المشايخ والعلماء وهم حيارى: من أين تعلّمت العربية؟ فرددتُ عليهم بأني لا اتكلّم بالعربية جيداً وذلك لأننا لا نجد فرصاً للحديث بهذه اللغة ولكن مع ذلك قد انطلق لساني شيئاً".¹³⁰ ويشهد بقدرته على الكتابة بالعربية الفصحى، الدكتور ظفر أحمد الصديقي قائلاً:

"ولو أنّ الكتاب (رجال السند والهند) بالعربية ولكن معظم أجزائه مما لم يكتبه القاضي أظهر بلغته كما صرح به في المقدمة ولكنما كتبه هو بالعربية السلسة ولا نجد في موضع منها شوباً بالعجمة".¹³¹ ويقول أسير الأدردي مدير تحرير مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية:

"كان القاضي أظهر له ذوق تام للأدب العربي فهو كان ينشد، عفو الساعة، أبيات ديوان الحماسة والمعلقات السبع فيقوم بتوضيحها. قد حفظ العديد من الأبيات العربية. مقدّماته للكتب العربية سلسلة فصيحة إلا أن في بعض أماكنها عبارات مسجّعة. لا نجد في كتاباته العربية أي شوب من التكلف. وكل ما كتبه قام به على الطراز القديم".¹³²

ويجمل بنا أن نذكر بعض النماذج لكتاباته العربية فهو يقول في كتابه "خير الزاد في شرح بانة سعاد" وهو طالب في مدرسة إحياء العلوم بمباركفور:

"الحمد لله الذي أسبغ علينا من النعم، وجعل في لسان العرب من اللطائف والحكم، والصلاة والسلام على حبيبه نبينا المكرم، المبعوث إلى كافة الأمم، وعلى آله وأصحابه الذين هم مصابيح

¹²⁸ المصدر نفسه، ص 47-51

¹²⁹ المصدر نفسه، ص 64

¹³⁰ المصدر نفسه، ص 171

¹³¹ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 28-29، 1996-97م/54

¹³² المصدر نفسه، 28-29، 1996-97م/38-39

الظلم، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم. أما بعد فيقول العبد الأحقر القاضي عبد الحفيظ محمد أظهر مباركفوري: إني أردت أن أشرح قصيدة بانث سعاد التي طارت شهرتها في أطراف العالم والأبعاد لكعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه ووفّقني الله في منتصف شوال المكرم سنة خمس وخمسين وثلاثمئة بعد الألف فشرحتها كيفما قدرت طاوياً كشح القيل والقال لئلا يوجب الملل والاختصار لئلا يكون سبباً للكلال، وسمّيته "خير الزاد في شرح بانث سعاد" وهذا أول جولان يراعي في ميدان القرطاس وأنا غمر جاهل من مثل هذا الشأن فإنه ما اغبرّ مذ نيّطت عن التمام ونيّطت بي العمائم إلا برهة من الزمان وأنا معترف بعجز والتمس من السادة الكرام، أن يصفحوا عن زلاتي ويعرضوا عن أن يأخذوني عرضة للملامة والمسؤول من الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ومنه التوفيق والعصمة ومنه الاستعانة في كل أمر".¹³³

ويقول عن أحمد بن عبد الله في كتابه "رجال السند والهند":

"قال السمعاني في كتاب الأنساب: أحمد بن عبد الله بن سعيد أبو العباس الديبلي سرّ الغرباء والفقراء والزهاد سكن النيسابوري أيام أبو بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة وهو خانقاه الحسن بن يعقوب الحدادي وتزوّج في المدينة الداخلة وولد له وكان البيت في الخانقاه يرسمه ويأوي إلى أهله في المدينة بعد أن صلى الصلوة، الصلوة في المسجد الجامع وكان يلبس الصوف وربما مشى حافياً، سمع بالبصرة أيام خليفة القاضي وبغداد جعفر بن محمد الفريابي وبمكة المفضل بن محمد الجندي ومحمد بن إبراهيم الديبلي وبمصر علي بن عبد الرحمن ومحمد بن زيان وبدمشق أبا الحسن أحمد بن عمير بن جوصا وببيروت أبا عبد الرحمن مكحول وبجران أبا عروبة الحسين بن أبي معشر وببتر أحمد بن زهير التتري وبمسكر مكرم بن عبد الله بن أحمد الحافظ وبنيسابور أبا بكر محمد بن خزيمة وأقوالهم. وسمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وتوفي بنيسابور في رجب سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة ودفن في مقبرة الحيرة".¹³⁴

ويقول وهو يصوّر شخص وشخصية شاعر العربية الهندي أحمد حسين الرسول فوري (1359هـ):

"كان رحمه الله أسمر اللون، طويل القامة، جميل الوجه، لطيف الثياب، حسن الهيئة، يحبّ الروائح الطيبة، أقلّ الناس تكلفاً، طلقاً، ضاحكاً مضحكاً، خادماً في الدار، مخدوماً في الخارج، لا يخرج إلا بزيّ العلماء، ويمشي مسرعاً، ويسري وحده في الليل، ويقطع المسافات البعيدة على قدميه، إذا رآه الناس في طريق وعليه العمامة والعباء وبيده العصا وعلى منكبيه المنديل وشعر لحيته ورأسه

¹³³ كاروان حیات مع قاعدة بغدادی سے صحیح بخاری تک، ص 55-56

¹³⁴ رجال السند والهند، ص 50-57

الوافر تأخذهم هيبة العلم والوقار، وإذا رأوه في الدار مشغولاً في الأشغال الأهلية يستأنسون به ويجدونهم خيرهم لأهله.

وكان رحمه الله عالماً جيداً، طبيباً حاذقاً، لغوياً فصيحاً بليغاً، شاعراً مجيداً، أديباً فاضلاً، محدثاً، مفتياً، صالحاً مصلحاً، وكانت له بصيرة تامة في الفلكيات والرياضي والهندسة والفنون المعقولة مع مهارة في النحو والصرف، والعروض والمعاني والبيان وأنواع الفنون والعلوم.

وكان في الهدي والسمت آية من آيات السلف، راغباً في الخير، زاهداً في الدنيا، ذا أخلاق مرضية عند الخاص والعام، محبباً بين الأقارب والأباعد، سمحاً، جواداً، كريماً، طلق الوجه، جميل البشرة، كانت داره بيتاً لليتامى وملجأ للأرامل ومأوى للفقراء والمساكين".¹³⁵

القاضي أظهر صحفياً: يبدو من دراسة أيام حياة القاضي أظهر أنه قضى معظم حياته في مجال الصحافة، وهذا واقع لا ينكر ولا يختلف فيه اثنان ولكنه حينما ندرس حياته بإمعان نجد أنه لم يختار ميدان الصحافة إلا لكي يكتسب بها وذلك لأنه لم يرغب في أن يكون صحفياً كما لم يؤاته هذا المجال الذي لا يخلو من الكذب والخيانة. يقول القاضي أظهر مشيراً إلى أنه لم يرغب قط في أن يختار الصحافة كمجال له يفضل على المجالات العلمية الأخرى:

"قد جئت مومبائ للاكتساب ولكني مع ذلك كنت أود أن لا يشوب جانبي العلمي شيء من المادية وعلى ذلك فقد اخترت الصحافة كشغل ديني وعلمي ولم أرغب في أن أصبح صحفياً يحترف بالصحافة".¹³⁶

ويقول عن رغبته عن الجاه والمال:

"قد طار صيتي لأجل صحيفتي "انقلاب" و"البلاغ" في الهند فكان يحبني أفراد كل طبقة وذلك لأنني كنت أخدم العلم مخلصاً نيتي بعيداً عن ذوي الغنى والجاه".¹³⁷

ويمضي قائلاً: "--- لم أنو كسب الأموال بل أحببت أن أخدم العلم والدين في مدينة الأموال".¹³⁸

وله ما يأتي: "عندما مالت الدنيا إليّ رغبت عنها".¹³⁹

فلو أن القاضي أظهر المباركفوري أدار تحرير مجلات عديدة وبدأ هذا العمل منذ نعومة أظفاره وانتهى بحياته ولكنه لم يختار هذا المجال كمجال يختص به بل المجال الذي اختاره فأحبه هو تاريخ علاقات العرب

¹³⁵ ديوان أحمد، ص 8

¹³⁶ كاروان حيات مع قاعدة بغدادية في صحيح بخاري تك، ص 125

¹³⁷ المصدر نفسه، ص 159

¹³⁸ المصدر نفسه، ص 159

¹³⁹ المصدر نفسه، ص 126

مع الهند منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. وهذه خدمة له علمية تفقد نظيرها لدى علماء الإسلام في الهند وخارجها على السواء.

القاضي أطهر مترجماً: قام القاضي أطهر المباكفوري بترجمة بعض الرسائل العربية كما ترجم العديد من المقالات العربية والفارسية إلى الأردية وكذا كان القاضي يقوم بترجمة خطب العلماء العرب وأحاديثهم عفو الساعة فمعنى ذلك أنه كان قادراً على الترجمة من العربية والفارسية إلى الأردية وبالعكس. يقول المفتي عتيق الرحمن العثماني:

"وبصرف النظر عن خصائص القاضي الأخرى أنه قام بترجمة العديد من الجمل العربية إلى الأردية السلسلة حلوة".¹⁴⁰

ويقول الشيخ إعجاز أحمد الأعظمي:

"قد استشهد القاضي على دعاويه بالكثير من الآيات العربية كما قام بترجمتها. إن هذا عمل صعب".¹⁴¹ وبما أن المقالة باللغة العربية فأصرف النظر عن ذكر النماذج ولكن آراء هؤلاء العالمين الكبارين ستقوم مقام هذه النماذج.

خلقه وخلقه: كان القاضي أطهر ربعة من الرجال ضارباً إلى القصر، كث اللحية، واسع الجبين، معتدل الجسم لا نحيلاً ولا مفتولاً، أسمر اللون، قوي الذاكرة، ذكي الفؤاد، كثير الذكر لمتعارفيه مهما بعد لقاءهم، قد ضعف بصره منذ الطفولة وزاده ضعفاً كثرة القراءة، فعلى عينيه نظارة طبية ذات قوة كبيرة،¹⁴² وأما خلقه فقد كان صورة حية لقوله صلى الله عليه وسلم: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".¹⁴³ وعلى اتباعه للنبي الأمي تخلّق واتصف القاضي أطهر المباركفوري بالعديد من الأخلاق والصفات التي أثنى عليها معاصروه، حتى قال أحد معاصريه محمد نعيم الصديقي بأبوظبي:

"كان يصعب لي في بعض الأحيان الحكم على أنه هل تثقل كفة أخلاق القاضي أطهر أم كفة مآثره".¹⁴⁴ ويقول الشيخ مطيع الرحمن عوف الندوي: "كان القاضي أطهر يحمل على كتفيه شخصية عجيبة وغريبة".¹⁴⁵

فنود أن نذكر فيما يلي طرفاً من أخلاقه وصفاته ما يستحق بأن يتبعه الآخرون:

¹⁴⁰ عرب وهند عهد رسالت مي، ص 6

¹⁴¹ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 28-29، 1996-97م/117

¹⁴² مجلة "الداعي" الشهرية، 15/3/20

¹⁴³ المؤطأ للإمام مالك، رقم الحديث: 750

¹⁴⁴ مجلة "ضياء الإسلام" الشهرية، 301/12-8/3

¹⁴⁵ المصدر نفسه، ص 305

1. بساطته: كان القاضي أظهر المباركفوري بسيطاً إلى حد بعيد حتى لم يستطع زائره أن يعرفه بملبسه وطريق حياته فيروي الشاه معين الدين الندوي أنه ذات مرة جاء أحد للقاءه حسب العادة وكان القاضي أظهر مستلقياً على ظهره فسأله عن القاضي أظهر فقام القاضي أظهر ولبس ملبسه وقال: ها أنا الذي تريد زيارته". فقام ذلك الزائر تكريماً له وقال: إني جئت من أحمد آباد للقاءك".¹⁴⁶ ويقول الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوي:

"---كنت أسمع لما كان القاضي أظهر يلقي علينا خواطر قلبه وكان قلبي وعيني حيارى عن بساطته فما تخيلته من صورته وشخصيته قد اختلف تماماً عما ظننته فإني لم أر بساطة وتكريماً وهدوءاً ومحبة مثلما شهدتها لدى القاضي أظهر فلم يكن يبدو من ملبسه ومعيشته أنه رجل كبير".¹⁴⁷

2. عزمه الثابت: كان القاضي المرحوم أشدَّ عزمًا وأقواه على أداء خدمة فإن عزم على شيء أنهاه وعلى هذا فقد قام بأداء هذه الخدمات المتنوعة وإلا فلن يمكن لرجل واحد أن يقوم بها. يقول البروفيسور واصل العثماني:

"كان القاضي المرحوم يمتلك قوة عزم لا مثيل لها فلم يكن يتخلف عن شيء إذا أراد إتمامه. إنه قام بخدمات كبرى في حياته: كان يكتب المقالات والفتاوى بجانب كتابة الكتب والرسائل".¹⁴⁸ ويقول الشيخ عتيق أحمد القاسمي:

"كان القاضي المرحوم عبارة عن جهود متواصلة مضنية، لم يمنعه سوء الظروف عن أداء ما خطه في بداية عمره".¹⁴⁹

3. سعة الفكر: هذا من عيب أتباع المذاهب الفقهية والفكرية العادي أنهم لا يرعون مذاهب سواهم بل يحقرونها بينما تلك المذاهب أيضاً اختارها العلماء الكبار الصالحون فالتعصب المذهبي والفكري شيء لا يتأتى لمن له حجة أو قلب سليم. كان القاضي أظهر من أولئك الرجال الذين ولو اتبعوا مذهباً خاصاً ولكنهم لم يتعصبوا لمذهبهم بل كانوا يكرمون أتباع كافة المذاهب الفقهية والفكرية فيقول هو في سيرته الذاتية:

"كثيراً ما كنت أؤيد الفقه الشافعي في دروس الفقه الإسلامي بينما أستاذي كان يحاول جهده لإقناعي. وكنت أتفكر في غالب الأحيان لم لا تدرس كتب أئمة الأحناف المتأخرين لاسيما علماء ما وراء النهر فإن فيها روحاً صافية للفقه الحنفي وقد تم فيها استخراج الفروع من الأحاديث والآثار".¹⁵⁰

¹⁴⁶ المصدر نفسه، ص 270¹⁴⁷ المصدر نفسه، ص 281¹⁴⁸ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 30، 1996 أبريل-مايو 1996 م/61¹⁴⁹ المصدر نفسه، 30، 1996-97 م/69¹⁵⁰ كاروان حیات مع قاعدة بغدادی سے صحیح بخاری تک، ص 34

يؤيد قوله هذا معاصره الشيخ ضياء الدين الإصلاحى:

"كان واسعاً عقله ومشروحاً صدره وطلقاً جانبه فكان يتسع قلبه لأتباع كافة المذاهب والأفكار فلم تشبه ذلة التعصب والتحزب المذهبي والفكري، وكان يجلس مع أتباع كافة المذاهب والأفكار ويكرم أربابها وأصحابها".¹⁵¹

4. حميد في الوطن والخارج: هذا من العام الشائع أنّ الرجال الذين نالوا قبولاً واسعاً في الخارج لم يكادوا نيل ذاك القبول في وطنهم فالحميد في الخارج صعب له أن يكون حميداً في الوطن ولكن القاضي أظهر مختلف عن هؤلاء فهو الحميد في الوطن وفي الخارج على السواء. يشير إلى ميزة القاضي تلك، الشيخ ضياء الدين الإصلاحى:

"هذا مما يعم أن الرجال والشخصيات لا يكرمهم أبناء وطنهم ولا يتقبلونهم ولو أنهم طارصيتهم في الأفق ونالوا قبولاً واسعاً خارج بلادهم ولكن القاضي أظهر كان ممن يستثنى من هؤلاء فهو كان حبيباً في الوطن كما كان حميداً في الخارج. وهذا يدل على عظمة خلقه وعلو كعبه".¹⁵²

5. غيرته: كان القاضي أظهر المباركفوري غيوراً إلى حد بعيد فهو لم يشر علمه بشئ بخس ولم يكتسب بالفن فهو فضل الكوخ على القصر والفقير على الغنى. يقول الشيخ مختار أحمد الندوي:

"لم يكتسب بعلمه فهو كان يستحق بأن يتبعه العالم لعلوه في العلم والعمل ويرفعه من الثرى إلى الثريا بالنسبة للمال والثروة ولكن القاضي أظهر لم يتملق لأغنياء مومبائ فلم يزر أحداً لحاجته أو لحاجيات أولاده فهو كان غيوراً للغاية وقانعاً إلى حد بعيد".¹⁵³

ويقول الشيخ ضياء الدين الإصلاحى:

"وعلى كونه بسيطاً للغاية فهو كان مليئاً بالغيرة والقناعة فهو كان يرعى جانب عزة العلم فهو لا باع علمه ولا تملق ذوي السلطة".¹⁵⁴

6. تكريم الصغار وتشجيعهم: كان القاضي أظهر المباركفوري يكرم الصغار ويشجعهم على تقديم أعمال تذكارية خالدة فيقول الشيخ ضياء الدين الإصلاحى:

"كان يرحب بالصغار وذوي قرباه بحرارة بالغة وكان يشجعهم ويرفع شكواهم".¹⁵⁵

ويقول الشيخ مطيع الرحمن عوف الندوي:

¹⁵¹ مجلة "ضياء الإسلام" الشهرية، 286/12-8/3

¹⁵² المصدر نفسه، ص 286-287

¹⁵³ المصدر نفسه، ص 271

¹⁵⁴ المصدر نفسه، ص 286

¹⁵⁵ المصدر نفسه، ص 285

"هذا من رفعة خلق القاضي أظهر أنه كان يريد أن يشجع الصغار ويبلغهم إلى الدرجات الرفيعة من العلم والعمل".¹⁵⁶

7. رعاية أولاده: كان القاضي أظهر المباركفوي يري ذوق وهو أولاده رعاية تامة فلا يأكل شيئاً لذيذاً مخافة أن أولاده لا يجدون سعة للتمتع به. يقول ولده القاضي ظفر مسعود مشيراً إلى رعايته لذوق أولاده:

"كان أبي يري في كل وقت ألا يشعر أولاده بأنه ليس لهم شيء للأكل اليوم فكان أبوانا يجوعان ويطعمان أولادهما قائلين: لا أريد أن يمسن أولادي الشعور بالدناءة أو أن تتأثر صحتهم".¹⁵⁷

ويقول أحد أصدقائه صديق أحمد:

"وثانياً وهو أنني أذكر لك بأنك صديقي الحميم بأني لا أكل شيئاً لذيذاً مخافة أن أولادي لا يجدون مثل هذه المأكّل في مباركفور".¹⁵⁸

ويقول ولده القاضي ظفر مسعود: "كلما احتجنا إلى شيء أرسل أنفس أنواعه بأسرع ما أمكن".¹⁵⁹ وكان القاضي أظهر نفسه يقول:

"يجب عليّ من قبل الشريعة أن أعلمهم وأزوجهم وأعطيهم الوظائف، وسأفرغ عن كل منها في المستقبل إن شاء الله تعالى".¹⁶⁰

8. لا تبديل لقوله: كان القاضي أظهر المباركفوري يقول ما يفعل ولا يتبدّل القول لديه فهو كان يعمل ما يتلفظ من لسانه فقلبه كان يوافق لسانه كما كان لسانه يوافق قوله. يقول أحد أصدقائه صديق أحمد:

"---عندما كان هذا الفتى ينكر شيئاً فلا يعترف به ولو تقلب العالم ظهراً لبطن".¹⁶¹

9. الاعتراف بالانتقاد عليه: مما يفقد في الرجال والشخصيات من الصفات الحميدة اعترافهم بالانتقاد عليهم فهم لا يعترفون بأيّ نقد عليهم فحسب بل يغضبون على الناقد لاسيما في شبه القارة حيث يعمّ المثل "خطاء بزرگان گرفتن خطا ست" (غريبال أخطاء المشايخ خطأ محض). ولكن من ميزات القاضي أظهر أنه لم يقبل الانتقاد عليه فحسب بل غيّر في الموضوع الذي أشار المعاصرون إلى خطاه وزلة قدميه فيه. يقول الشيخ ضياء الدين الإصلاحي مشيراً إلى هذه الميزة منه:

¹⁵⁶ المصدر نفسه، ص 307

¹⁵⁷ المصدر نفسه، ص 267

¹⁵⁸ المصدر نفسه، ص 262

¹⁵⁹ المصدر نفسه، ص 269

¹⁶⁰ المصدر نفسه، ص 269

¹⁶¹ المصدر نفسه، ص 261

"هذا من البديهي أن تزل قدما الذي اتسعت جهات عمله وتنوّعت جوانب فكرته وهذا لا ينال من عزته وعلوه، ولكن كان من ميزة القاضي أنه كان يقبل النقد عليه بكل ترحيب به وسرور منه فهو لم يغضب على من أشار إلى عيبه وزلة قدميه، ولنا خير دليل في مجموعة مقالاته "مآثر ومعارف".¹⁶²

10. حيوان ظريف: كان القاضي أظهر المباركفوري بجانب علو كعبه في العلم والأدب والفن، حيواناً ظريفاً للغاية فهو كان يُضحك المحزونين ويسلي عن المهتمين بكلامه الظريف المضحك. يقول الشيخ مطيع الرحمن عوف الندوي:

"كان القاضي أظهر المباركفوري مطبوعاً على الظرافة فكان لا يتكلف في المجالس ولو أنه كان عالماً ومحققاً كبيراً. كان يحيي المجالس الميتة بكلامه الظريف المضحك".¹⁶³

ويقول الشيخ أفضال الحق جوهر القاسمي الأعظمي:

"كان القاضي أظهر ظريفاً إلى حد بعيد ولذا فلو كان موضوعه غير جاذب للغاية ولكنه يخلق فيه ظرافة يرغّب بها القراء فذات مرة بدأت أتكلّم معه باللهجة المومبائية الخالصة فأجاب عليّ بتلك اللهجة ولو أنها كانت لهجة الجهلاء والمغفلين لا لهجة العلماء والباحثين".¹⁶⁴

ويقول الشيخ نعيم الصديقي بأبو ظي:

"كان لا يتكلف ويمتزج مع صغاره حتى كان يؤذيه الصغار في بعض الأحيان بسوء معاملتهم معه".¹⁶⁵

والآن نذكر فيما يلي مؤلفاته ورسائله التي طبعت والتي لم تر النور:

1. ديار پورب میں علم اور علماء (تقليد العلم وأصحابه في ديار الشرق): هذا الكتاب يتحدث عن تاريخ "پورب" التي كانت مشتملة على ولايات الله آباد وأوده وعظيم آباد. وبما أنه لم يكتب تاريخ مفصل لهذه الديار فقد قام الشيخ أظهر المباركفوري بكتابة تاريخها المفصل أخذاً عن المصادر الخطية والمراجع القيمة لهذه الديار. قسم القاضي أظهر تاريخ هذه الديار إلى أربعة عهود ففي العهد الأول ذكر القاضي أظهر وصول نور الإسلام في هذه الديار وذلك عن طريق السيد سالار مسعود غازي (استشهد في 488هـ) وفي العهد الثاني الممتد على مئة وخمس وسبعين سنة ذكر القاضي أظهر كيف تجلّت الديار بالنور الإيماني والروحي. هذا العهد منذ 772هـ حتى 932هـ أي منذ تأسيس جونفور حتى نهاية سلطنة لودهي. والعهد الثالث يمتد من قيام سلطنة المغول في 932هـ حتى 1130هـ. وأما العهد الرابع فهو منذ قيام حكم نوابي أوده في 1130هـ حتى ختامه في 1273هـ. ثم ذكر مفصلاً عن ثمانية رجال بمن فيهم ملك العلماء شهاب الدين الدولت آبادي والراجة السيد حامد المانكفوري والشيخ الروحي مير علي عاشقان السرائ

¹⁶² المصدر نفسه، ص 289

¹⁶³ المصدر نفسه، ص 307

¹⁶⁴ المصدر نفسه، ص 241-242

¹⁶⁵ المصدر نفسه، ص 301

ميري والملا محمود الجونفوري والحافظ أمان الله البنارسي والشيخ غلام النقشبندي الغوسوي والشاه أبو الغوث كرم ديوان البهرووي اللهراوي والشيخ حسن علي الماهلي. هذا الكتاب يحتوي على 509 صفحة، والطبعة التي بيدي هي ما صدرت من منشورات البلاغ بنيو دلهي في 2009م.

2. عرب وهند عهد رسالت مين (العرب والهند في عهد الرسالة): هذا الكتاب حلقة من سلسلة علاقة العرب بالهند العريقة فقد أثبت فيه القاضي أظهر أن علاقة العرب العلمية والثقافية ليست بحديثة العهد بل هي عريقة في التاريخ وهي ممتدة إلى عصر ما قبل الإسلام فالكتاب يتحدث عن العلاقة الهندية-العربية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم. هذا الكتاب في 200 صفحة وصدرت طبعته الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1965م. وبما أن الكتاب مهم للغاية فقد تمت ترجمته إلى اللغات العالمية والمحلية فهو نُقِلَ إلى السنديّة كما ترجم إلى العربية، والترجمة العربية قام بها الدكتور عبد العزيز عبد الجليل وهي صدرت في 1973م من الهيئة المصرية بالقاهرة.

3. تذكره علماء مباركفور (تذكرة علماء مباركفور): أراد القاضي أظهر أن يؤلف كتاباً باسم "تذكره مشاهير أعظم كره ومباركفور"¹⁶⁶ وبدأ بتأليفه في شهر جمادى الأولى 1367هـ وكتب قدراً كبيراً منه ولكن توقف العمل فلم يجد الفرصة لإتمامه وألّف كتاباً بعنوان "تذكره علماء مباركفور". صدر الكتاب من دائره مليه بمباركفور في 1974م.

هذا الكتاب في 192 صفحة ويفصل عن 136 شخصية مباركفورية بما فهم المفسرون والمحدثون والفقهاء والأدباء والشعراء وغيرهم من المشايخ والرجال. يبتدئ ذكر الرجال والشخصيات من الصفحة 62 وينتهي على الصفحة 292. وقبل ذلك ذكر تاريخ مباركفور السياسي والثقافي والعلمي والأدبي. هذا كتاب رائع في الموضوع.

4. اسلامى هند كى عظمت رفته (المجد الغابر للهند الإسلامية): هذا الكتاب مجموعة مقالاته الثماني وهي مؤلفات القدامى والمتأخرين عن الهند الإسلامية وفتحوا الهند من مثل عثمان والحكم والمغيرة بن أبي العاصي الثقفي وفتح الهند العظيم محمد بن القاسم الثقفي وأمير الهند عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي والإمام ربيع بن صبيح البصري الهندي والإمام أبو موسى إسرائيل بن موسى البصري الهندي والعلاقات الثقافية والتجارية القديمة بين العرب والهند والراجة رُهمي وغيره من راجات الهند. يبتدئ الكتاب من فهرس المصادر والمراجع التي يبلغ عددها 75 مصدراً ومرجعاً بما فيها كتابه "رجال السند والهند". قدّم له المفتي عتيق الرحمن العثماني مدير ندوة المصنفين. هذا الكتاب في 243 صفحة وصدرت طبعته الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1969م.

5. خلافت راشده اور هندوستان (الهند في عهد الخلفاء الراشدين): هذا الكتاب يتحدث عن علاقة الهند مع البلاد العربية في عصر الخلفاء الراشدين. قام القاضي أظهر بالتحدث عن كافة جوانب العلاقة التجارية والعلمية والأدبية فأولاً ذكر فهرس المصادر والمراجع التي يبلغ عددها 76 مصدراً ومرجعاً بما فيها

¹⁶⁶ كاروان حيات مع قاعدة بغدادى سے صحيح بخارى تك، ص 108

كتبه "رجال السند والهند" و"العقد الثمين" و"عرب وهند عهد رسالت ميں"، ثم تكلم عن مبادئ في مؤلفات القدامى والمتأخرين ومن ثم أوصل البحث بالموضوع فذكر العلاقات بين العرب والهند في عهد النبي الأمي ثم جاء بالمدخل فذكر العلاقات بين العرب والهند في عهد الخلفاء الراشدين ثم ذكر الغزوات والفتوح ونظم الدولة ووجود المسلمين العرب في الهند كما ذكر وجود المسلمين الهنود في الدول العربية ووجود الصحابة والتابعين في الهند، الذين يربو عددهم على 27 صحابيًا وتابعيًا. هذا الكتاب في 280 صفحة وصدرت طبعته الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1972م كما صدرت طبعته من تنظيم فكر ونظر بسنده (الباكستان).

6. خلافت عباسيه اور هندوستان (الهند في عهد الخلفاء العباسيين): هذا الكتاب يحوي العلاقة الهندية-العربية في العصر العباسي الذي كان أزهر العصور الإسلامية. فبعد الكثرة الكثيرة من المصادر والمراجع التي يبلغ عددها 146 مصدر ومرجع بما فيها كتبه "رجال السند والهند" و"العقد الثمين" و"رجال الكشي"، تحدّث القاضي أظهر عن العلاقات بين العرب والهند في العهد العباسي فذكر إمارة بحر البصرة، والحرب مع قراصنة البحر، ونظم الإمارة، وعلاقة العرب التجارية مع الهند، والعلوم والفنون الهندية وعلماء الهند، والعلوم والفنون الإسلامية وعلماء الإسلام، والموالي والمماليك الهنود، واستدراك ما فات كتاب "خلافت بنو أميه اور هندوستان". قدّم له المفتي عتيق الرحمن المعثماني في نهاية الكتاب. هذا الكتاب في 558 صفحة وصدرت طبعته الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1982م كما صدرت طبعته الثانية من تنظيم فكر ونظر بسنده (الباكستان).

7. خلافت بنو أميه اور هندوستان (الهند في عهد الخلفاء الأمويين): هذا الكتاب حلقة من تلك السلسلة التي تحدّث فيها القاضي أظهر عن علاقة الهند بالدول العربية في مختلف عصورها. هذا الكتاب يتحدّث عن علاقتها مع البلاد العربية في عصر بني أمية. ذكر أولاً فهرس المصادر والمراجع التي يبلغ عددها 113 مصدرًا ومرجعًا بما فيها كتبه "رجال السند والهند" و"العقد الثمين" و"عرب وهند عهد رسالت ميں" و"هندوستان ميں عربوں کی حکومتیں". ثم ذكر المدخل حيث ذكر علاقة العرب مع الهند في عهد بني أمية ومن ثم ذكر نظم الدولة، ونظم الحرب، وأمراء بني أمية، وراجات الهند، ومسلمي الهند الذين يبلغ عددهم 180 فردًا، وذكريات العرب في هذه الديار، وعلوم الإسلام وفنونه، ووادي وصادري العصر الأموي، وأعيان الهند من الرجال والنساء كما استدرک ما فات مؤلفه السابق. قدّم له المفتي عتيق الرحمن المعثماني. هذا الكتاب في 671 صفحة وصدرت طبعته الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1975م كما أصدره تنظيم فكر ونظر بسنده (الباكستان).

8. هندوستان ميں عربوں کی حکومتیں (حكومات العرب في الهند): هذا الكتاب ردّ مفعم لمن يدعي أنّ العرب لم يقيموا حكوماتهم في السند والهند. مستفيدًا من 50 مصدرًا بما فيه مؤلفاته "رجال السند والهند" و"عرب وهند عهد رسالت ميں"، تحدّث القاضي أظهر عن الدولة الماهانية في سندان، والدولة الهبارية في المنصورة، السند، والدولة السامية في ملتان، والدولة المعدنية في مكران، والدولة المتغلبة في طوران كما قام باستعراض عام لتلك الدول وما والاها. قدّم له المفتي عتيق الرحمن المعثماني. هذا

الكتاب في 340 صفحة وصدرت طبعته الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1967م كما صدرت طبعته الثانية من مكتبة عارفين بكراتشي (الباكستان) كما طبعه تنظيم فكر ونظر بسنده (الباكستان). قام الدكتور عبد العزيز عزت بترجمته إلى العربية باسم "الحكومات العربية في الهند والسند"¹⁶⁷ وطبعه من مكتبة آل يد الله البكرية بالرياض.

9. العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين: موضوعه واضح من عنوانه. صدرت طبعته الأولى في 335 صفحة من مومبائ في 1968م كما أصدره دار الأنصار بالقاهرة في 231 صفحة. وبدلاً من تحليل الكتاب نرجح نقل ما كتب محمد عبد الله السمان في هذا الكتاب القيم فهو يقول: "كتاب العقد الثمين يؤرخ للهند الإسلامية من أول الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي --- ومنهج المؤلف، كما أشار إليه في المقدمة، فهو يذكر الغزوة والولاية ثم يترجم لمن دخل الهند أيام تلك الغزوة أو الولاية من الصحابة والتابعين والمخضرمين وأتباع التابعين ومعاصريهم وقد مهّد المؤلف للدراسة ببحث في فتوح الهند، والتي كانت تعدّ من فتوح العراق. كان للعراق سوادان؛ سواد الكوفة وسواد البصرة. وكانت الهند والسند تابعتين لسواد البصرة منذ عهد عمر بن الخطاب إلى عصر المأمون الخليفة العباسي --- والمؤلف يعنى بتراجم الرجال ما وسعته المراجع ويضع كلاً في مكانه اللائق به لذلك تتسع الترجمة أو تضيق. وهذه التراجم لها قيمتها لدى كل باحث ومحقق لاستخلاصها من أمهات المراجع المعتمدة، وخاتمة الكتاب كانت عن علم الحديث والمحدثين في الهند --- والحق أن المؤلف بذل جهداً مشكوراً لم يكن قاصراً على التحقيق التاريخي للغزوات والفتوحات بل تجاوز ذلك إلى تحقيق سند الرجال الذين أسهموا في الفتوحات والولايات، وهي مهمة شاقة مضنية"¹⁶⁸.

10. تدوين سير ومغازي (تدوين السير والمغازي): هذا كتاب مهم للقاضي أظهر أثبت فيه المؤلف أن السير والمغازي قد دوّنت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم واستدل على دعواه بدلائل ثابتة. قسم القاضي أظهر هذا الكتاب في خمسة أبواب؛ الباب الأول يتحدث عن مفهوم الحديث اللغوي والاصطلاحي وعلم الحديث والرواية والدراية وما شابهها من الموضوعات، والباب الثاني عن المصادر المكتوبة في السير والوثائق والمغازي، والباب الثالث يتكلم عن تدوين السير والمغازي في النصف الأول في بداية القرن الأول الهجري فذكر القاضي أظهر ثلاثة عشر كتاباً تمّ تدوينها في ذلك العهد، والباب الرابع في علماء السير والمغازي في مختلف المدن فذكر علماء الكوفة وبغداد ومصر والأندلس مع ذكر أسماء مؤلفاتهم في الموضوع، والباب الخامس عن التدوين الفقهي للسيرة والمغازي فذكر محاولات أعلام الفقهاء في هذا الشأن. هذا الكتاب في 320 صفحة وصدرت طبعته الأولى من أكاديمية شيخ الهند بديوبند في 1990م. يقول عنه الدكتور عبد العزيز عزت:

¹⁶⁷ ولأجل هذه الترجمة وهم الشيخ نور عالم خليل الأميني مدير تحرير مجلة "الداعي" الشهرية فأعدّ هذا الكتاب من بين الكتب التي ألفها القاضي أظهر باللغة العربية، راجع: پس مرگ زنده، ص 320

¹⁶⁸ جريدة "العالم الإسلامي"، عدد: 18-24، جمادى الأولى، سنة 1417هـ، ص 18

"--- إن المؤلف- فيما كتب في هذا الكتاب- إنما أدّى الواجب لعمل علمي جليل يضاف إلى مجموعة مؤلفاته التي تخدم الثقافة الإسلامية وتنير الطريق أمام الباحثين".¹⁶⁹

ويقول فيه صديقه أسير الأدروي مدير تحرير مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية:

"تدوين سير ومغازي" أول كتاب أردوي في الموضوع --- قد تكّل القاضي بالنجاح إلى حد بعيد فيما قام به من الخدمة. يقدر من دراسته ما عاناه القاضي من المشاكل في هذا الأمر".¹⁷⁰

11. خير القرون كي درسگاهیں (مدارس خير القرون): اسمه الكامل "خير القرون كي درسگاهیں اور انکا نظام تعلیم و تربیت". هذا كتاب تاريخي جميل حيث عدّد القاضي أطر مدارس ومكاتب القرن الأول وكيف كان الصحابة يدرسون ويدرسون. هذا في 392 صفحة وصدرت طبعته الأولى من أكاديمية شيخ الهند بديوبند في 1995م. بدأ القاضي أطر هذا الكتاب بتمهيد ذكر فيه المراكز الأولى للعلوم الإسلامية، وقيام المدارس ونشأتها في عرض تاريخي للأدوار التي مرّت بها في مبدأ التاريخ الإسلامي ثم تناول مجالس وحلقات الدروس في العهد النبوي وعدّ فيها مجالس وحلقات الدروس في مكة والمدينة كما تناول طريقة تدريس النبي والصحابة والتابعين كما تكلم عن كتابة الحديث الشريف والقرآن الكريم كذلك. وهكذا ذكر مجالس الفتوى وفقهاء الصحابة والتابعين. هذا كتاب جامع عن الأنشطة الدراسية في عهد النبي والصحابة والتابعين. يقول فيه الدكتور عبد العزيز عزت:

"--- وهو في الحقيقة كتاب ممتع لما اشتمل عليه من موضوعات نجدها مفرقة بين أمهات الكتب والمراجع في السيرة والتاريخ".¹⁷¹

12. أئمه أربعه (تراجم الأئمة الأربعة): هذه مجموع كتاباته التي ابتدئ نشرها في مجلة "قائد" الصادرة عن مراد آباد، أنهى الشيخ أطر هذا الكتاب ثم فوّضه إلى مركز تنظيم أهل سنت ولكن قسمة البلاد قد حالت بينه وبين الطبع كما أعطاه فيما بعد لصاحب مطبعة سلطان بمومباي ولكن لم يطبع وضاعت النسخة من عنده ثم سدّد القاضي هذا النقص بتأليف كتاب حول الموضوع، صدر من أكاديمية شيخ الهند بديوبند في 1989م.

13. مختصر سوانح أئمه أربعه (الموجز عن تراجم الأئمة الأربعة): لعله نفس الكتاب المذكور أعلاه. أحصاه نور عالم الأميني فيما أحصاه من مؤلفات القاضي أطر المباركفوري.¹⁷²

14. مسلمانون کے ہر طبقے میں علم اور علماء (تقليد العلم وأصحابه في كافة طبقات المسلمين): هذا كتاب فريد ومهم في الموضوع، ذكر فيه القاضي أطر أن العلم ليس بخاص بطبقة خاصة أو جيل خاص بل هي

¹⁶⁹ مجلة "الأزهر"، السنة الثالثة والستون، الجزء الخامس، ص 593

¹⁷⁰ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 28-29 سنة 1996-1997م/6

¹⁷¹ مجلة "الأزهر"، عدد جمادى الأولى سنة 1417هـ، ص 876

¹⁷² جريدة "العالم الإسلامي"، عدد: 18-24 جمادى الأولى، سنة 1417هـ، ص 12

ثروة يأخذها من له رغبة فيها ونشاط لها. نشر الكتاب أولاً في مجلة "البلاغ" ثم أضاف إليه القاضي أطهر بعض المعلومات وأصدره من أكاديمية شيخ الهند بديوبند في 1998م. هذا الكتاب في 228 صفحة.

15. رجال السند والهند إلى القرن السابع: هذا هو الكتاب الذي لعب دوراً مهماً في نشر صيت القاضي أطهر في البلاد العربية. صدرت طبعته الأولى في 328 صفحة من المطبعة الحجازية بمومبائ في 1958م. ما زال القاضي أطهر يزيد فيه حتى صدر الكتاب في مجلدين في 588 صفحة من دار الأنصار بالقاهرة في 1978م. إنه يسد ما نقص في "الإعلام بمن في الهند من الأعلام" للعلامة عبد الحي. لغته سلسلة، يقول الشيخ عبد الماجد الدرايا آبادي:

"القاضي أطهر ليس بخامل الذكر لدى العلماء والكتّاب، إنه أكثر من كتابة المقالات --- الكتاب الذي نحن بصدد الاستعراض يتحدث عن تراجم العلماء حتى القرن السابع الهجري. رفع القاضي بهذا الكتاب ذكر علماء الهند والسند، اللهم وفقه للمزيد".¹⁷³

وقال محمد بن نذير الطرازي في صاحب الكتاب بعدما رأى هذا السفر القيم:

هو الخبر في الأنساب حافظ عصره
سيوطي أهل الهند بل منه أغزر¹⁷⁴

ولعل هذا القول يكفي دليلاً على قيمة الكتاب وصاحبه.

16. الهند في عهد العباسيين:¹⁷⁵ قام القاضي أطهر المباركفوري بتلخيص ما كتبه في كتابه القيم "خلافت عباسيه اور هندوستان" باسم "الهند في عهد العباسيين". صدر الكتاب من دار الأنصار بالقاهرة في 1979م. هذا الكتاب في 78 صفحة.

17. جواهر الأصول: عنوانه الكامل "جواهر الأصول في علم حديث الرسول". هذا مؤلف أبي الفيض محمد بن محمد بن علي الحنفي الفارسي. قام القاضي أطهر بتحقيقه فأصدره شرف الدين الكتي وأولاده بمومبائ في 1973م كما نشرته الدار السلفية بمومبائ ونشرته المكتبة العلمية بالمدينة المنورة. يقول فيها العلامة أنظر شاه الكشميري:

"هذه رسالة جامعة في علم الحديث، قام المحقق الشهير القاضي أطهر بالتعليق عليها فشرحها ولغته عربية سهلة يمكن الاستفادة منها لكل جاء وآت".¹⁷⁶

18. تاريخ أسماء الثقات: هذا مؤلف ابن شاهين البغدادي. قام القاضي أطهر المباركفوري بتحقيقه وأصدره شرف الدين الكتي وأولاده بمومبائ في 1986م. هذا الكتاب في 235 صفحة.

19. اسلامى نظام زندگى (المعيشة الإسلامية): سمّاه بـ "جيات جميلة" وهي هذه مجموعة مقالاته التي كتبها حين قسمة البلاد. كانت هذه المقالات محتوية على منزلة المؤمن والعلم الإسلامي والجمعية الإسلامية

¹⁷³ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 29-28، 1996-97م/122

¹⁷⁴ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 29-28، 1996-97م/48

¹⁷⁵ سمّاه البروفيسور محمد نعمان خان بـ "الهند في العهد العباسي"، مجلة "ثقافة الهند" الفصلية، 112/1/52، وهذا وهم من البروفيسور المحترم.

¹⁷⁶ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 29-28، 1996-97م/156

وأصول الإسلام الخاصة والمبادئ المعدودة. قدّم له السيد محمد ميان مدير جمعية علماء الهند. هذا الكتاب في 256 صفحة في قطع صغيرة للغاية وصدرت طبعته الأولى في 1950م على نفقة الحاج عبد الله السمكري بن الحاج أحمد المكي.

20. علماء إسلام كي خوني داستاين (الحكايات الدامية لعلماء الإسلام): هذا تفصيل ما عاناه العلماء وحركاتهم من المصائب والشدائد والفتن منذ القرن الأول الهجري إلى عصرنا هذا بجانب ردودهم وأمثلة صبرهم ضد هذه الفتن. أعاد النظر فيه الشاعر إحسان دانش. صدر الكتاب في 1947م.

21. إفادات حسن بصرى (أقوال ووصايا الحسن البصري): هذه الرسالة تشتمل على ما أدلى به الإمام البصري من الآراء والأفكار القيّمة. إنها تحتوي على 56 صفحة. كتبها القاضي أظهر زمن تدرّسه بمدرسة إحياء العلوم بمباركفور. صدرت هذه الرسالة من دائرة مليه بمباركفور في 1947م.

22. مسلمان (حقيقة الإسلام): هذه الرسالة التي تسمى بـ"مسلمان" تتحدث عن حقيقة الإسلام وهي حلقة من سلسلة الإصلاح التي أرادت جمعية المسلمين بجنجيره إقامتها ومواصلتها. صدرت الرسالة في شهر ديسمبر 1952م. وأثنى عليها العلماء والدعاة والوعاظ.

23. الصالحات:¹⁷⁷ هذه مجموعة الوقائع والأحداث الصغيرة التي مرّت بها الصحابييات رضي الله عنهن. وقّع القاضي اتفاقية طبعه مع محمد عارف صاحب ملك دين وأولاده بلامهور ولكن لم يطبع الكتاب لأسباب تخفى علينا.

24. معارف القرآن: هذا ملخص "جواهر القرآن" الذي عنوانه القاضي أظهر بـ"معارف القرآن". يحتوي التلخيص على 50 صفحة وصدر في 1956م. قال عنها الأستاذ عبد الماجد الدرا آبادي:

"كلما يخدم المرء كتاب الله العزيز بإخلاص نيته يوجب الأجر لاسيما هذا الكتاب الذي ينبئ عن إخلاص النية وسيسفر عن حسن الثواب. يشير القاضي في غير موضع من هذا الكتاب إلى الظروف السائدة في البلاد وهي مفيدة للغاية ولطيفة جداً".¹⁷⁸

25. على وحسين¹⁷⁹ (علي والحسين): هذا ردّ مفعم على كتاب "خلافت معاويه ويزيد" للشيخ محمود أحمد العباسي الأمرهوي الصادر من الباكستان في حوالي 1959م. صدر هذا الردّ أولاً في 35 حلقة في صحيفة "انقلاب" منذ 7/ نوفمبر 1959م حتى 17/ ديسمبر 1959م. ثم طبع في صورة كتاب في مارس 1960م. يقول فيه الشيخ عبد الماجد الدرا آبادي: "مقالة القاضي أظهر المباركفوري هذه أجود المقالات وأجدها وأحفظها بالموضوع".¹⁸⁰

¹⁷⁷ سّمّاه البروفيسور محمد نعمان خان بـ"الصالحات في سيرة بعض الصحابييات"، مجلة "ثقافة الهند" الفصلية، 111/1/52، وهذا وهم من البروفيسور المحترم، راجع: كاروان حيات مع قاعدة بغدادى سے صحيح بخاري تك، ص 94

¹⁷⁸ صحيفة "صدق"، 9/ نوفمبر 1956م

¹⁷⁹ ضبط اسمه الشيخ نور عالم خليل الأميني "علي والحسين" (10/3/20) وهذا وهم منه.

¹⁸⁰ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 28-29، 1996-97م/127

- ويقول الشيخ ماهر القادري: "كتاب "علي وحسين" أدلّ الكتب وأجمعها وأجدها حول الموضوع".¹⁸¹
26. قاعده بغدادى سے صحيح بخارى تك (من القاعدة البغدادية إلى صحيح البخاري): هذه سيرته الذاتية التي قام بتأليفها باللغة الأردوية. إنها تتحدث عن أصله وولادته ودراسته البدائية حتى النهائية. صدرت أولاً من دائره مليه بمباركفور ثم صدرت مرة أخرى عن مكتبة صوت القرآن بديوبند. كتبها المباركفوري لكي يعتبر بها العلماء ويتشجع بها طلاب المدارس الإسلامية ولا يهيموا في الوديان الأخرى ويجتهدوا في مجالاتهم الإسلامية العربية الخاصة وينالوا الذكر الحسن فيها.¹⁸² قمت بترجمتها إلى العربية بعنوان "من القاعدة البغدادية إلى صحيح البخاري" ونشرت على شبكة الألوكة بتاريخ 2015/10/12م.
27. مآثر ومعارف (المآثر والمعارف):¹⁸³ هذه مجموعة خمس وعشرين مقالة للقاضي أطهر المباركفوري. هذا الكتاب في 271 صفحة وصدرت طبعته الأولى من دائره مليه بمباركفور في 1974م.
28. آثار وأخبار (الآثار والأخبار): هذه مجموعة مقالات القاضي أطهر المباركفوري في 150 صفحة وصدرت طبعتها الأولى من ندوة المصنفين بدلهي في 1985م.
29. حج كے بعد (إثر الحج): موضوع الرسالة واضح من عنوانها وهي موجزة للغاية في 40 صفحة. صدرت طبعتها الأولى من منظمة خدام النبي بمومبائ في 1957م.
30. خواتين اسلام كى علمى ودينى خدمات (خدمات النساء المسلمات الدينية والعلمية): هذا الكتاب صدر أولاً باسم "بنات اسلام كى علمى ودينى خدمات" ثم أضاف إليه القاضي أطهر بعض المعلومات فأصدره بهذا الاسم الجديد من أكاديمية شيخ الهند بديوبند.
31. طبقات الحجاج: موضوع الكتاب واضح من عنوانه وهو في 195 صفحة وصدرت طبعته الأولى من منظمة خدام النبي بمومبائ في 1958م.
32. تبليغى وتعليمى سرگرمياں (الأنشطة التعليمية والتبليغية): هذا الكتيب في 35 صفحة. أصدره مكتبة الحق بمومبائ في 1985م ثم أصدره أكاديمية شيخ الهند بديوبند في 1988م. يقول فيه الشيخ عبد الماجد الدرايادي:
- "الدعوى أنّ كل أماكن المسلمين؛ مدارسهم ومساجدهم وأسواقهم كانت كلها مجالات لتبليغ الإسلام صحيحة حقّة وتبدو سعة اطلاع المؤلف وانطلاق فكره من كل صفحة لهذا الكتاب".¹⁸⁴

..... للمقالة صلة

¹⁸¹ المصدر نفسه، 28-29، 1996-97م/128

¹⁸² كاروان حیات مع قاعدة بغدادی سے صحيح بخاری تک، ص 19

¹⁸³ ضبط اسمه "تأثر ومعارف" خطأ في مجلة "الداعي" الشهرية (9/3/20) والصحيح كما ضبطناه.

¹⁸⁴ مجلة "ترجمان الإسلام" الفصلية، 28-29، 1996-97م/145

العلامة الشيخ يعقوب الصرفي الكشميري

خدماته العلمية والأدبية

1003- 908 هـ

¹⁸⁵ الدكتور عبد الحميد لون

هو أستاذ المجدد للألف الثاني أحمد بن عبد الأحد السرهندي، الشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي الكشميري، ويأتي على رأس قائمة فحول العلماء البارزين والأساتذة الكرام، والرجال الأفذاذ، والعباقر المميزين في عصره الذي عاش فيه، وقد أودع الله فيه من المواهب والأخلاق الفاضلة، ولقد قام العلامة الصرفي بأداء واجب الصحوة الإسلامية، وإيقاظ الوعي الديني في عصره بكشمير، وبذل مساعيه المخلصة لهداية الإنسانية بالجراءة الإسلامية والشجاعة الإيمانية، كان العلامة الصرفي شخصية فذة بمعنى الكلمة، تحمل في طياتها أسمى معاني الشمول والجامعة، تحتوي على مآثر قيمة، وجوانب تاريخية عديدة تستحق أن تنالها يد الكاتب من نواح مختلفة، وكان ذلك الإنسان العظيم والعبقري الفذ الذي خلف تأثيراً عميقاً على أذهان مئات الآلاف من الناس بأفكاره الرائعة الروحانية. وقد ضحى بكل ما كان يملكه من قوة ونفس ونفيس، وغال و رخيص لأجل توجيه المسلمين الكشامرة إلى طريق الإيمان والعمل، وقد ركز اهتمامه في إزالة تلك الالبدعات والخرافات والنظرات الخاطئة والاعتقادات الواهية الباطلة التي عمت وانتشرت و ترسخت في أذهان الأكثرية من المسلمين الكشامرة.

ولو ألقينا نظرة شاملة على مجموع خدمات الشيخ الصرفي رحمه الله وإنجازاته العلمية والدعوية فنجد أن العناصر التي سنذكرها لاحقاً إنما تحمل من الأهمية الأساسية في ضمن خدماته ومآثره.

ويسعدني أن أشارك في هذا العمل المبارك، وأسجل بعض الخدمات العلمية والأدبية. إن الشيخ يعقوب الصرفي يأتي على رأس قائمة أولئك الرجال الأفذاذ والعباقر المميزين الذين لعبوا دوراً بارزاً في مجال العلوم الدينية والأدبية والدعوة الإسلامية، كان منارا عظيماً للعلم والأدب العربي . كان الشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي ابن الشيخ حسن العاصمي هو ابن مير علي العاصمي بن بايزيد العاصمي وهو ابن عاصم بن عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه . ولد سنة ثمان وتسعمائة بكشمير، وحفظ القرآن في عمره السابع وتعلم مبادئ العلم من العربية والفارسية والقرآن الكريم على والديه، وقرأ النحو والصرف والفقه على مولانا رضي الدين الكشميري، وقرأ المنطق والحكمة والمعاني وغيرها على نصير الأعمى وأخذ عنه ولزمه زماناً، وأخذ الشعر عن الشيخ محمد الآني تلميذ

¹⁸⁵ الأستاذ المشارك ورئيس قسم اللغة العربية بالكلية الحكومية ببلوامة، كشمير،

الشيخ عبد الرحمن الجامي، وتلمذ على مدرسين في مدرسة رضي الدين في حي قطب الدين نوره عالي كدل بسرينغر. وهو الذي لم يبلغ منزلته العلمية المرموقة أحد من العلماء حتي في الهند كلها وهو أستاذ الشيخ أحمد السرهندي المجدد للألف الثاني وتلميذ أحمد بن حجر المكي الشافعي والشيخ عبد العزيز الدهلوي .

سافر الشيخ الصرفي إلى سمرقند ليتسلح بالعلوم المختلفة وأخذ الطريقة الكبروية ثم عاد إلى كشمير ولبث بها زماناً، ثم سافر إلى الخراسان والعراق وتاجكستان ومكة المكرمة والمدينة المنورة والحرمين الشريفين فحج وزار، وأخذ الحديث عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي، وسار إلى بغداد واستفاض عن مشايخها، وعن الشيخ حسين الخوارزمي وصحبه برهة من الزمان، ثم رجع إلى كشمير. وأتى بالكتب النفيسة من الفقه والحديث والتفسير، وتصدر للدرس والإفادة، أخذ عنه الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي إمام الطريقة المجددية وخلق آخرون. ومن مصنفاته تفسير القرآن الكريم، ولم يتم، وشرح على صحيح البخاري ومغازي النبوة ومسلك الأخيار ومناسك الحج والروائح والواقم والعذراء وليلى مجنون وجواهر خمسة على منوال خمسة الجامي وشرح الرباعيات، وله رسالة في الأذكار ورسالة في المقامات وتعليقات على التلويح في أصول الفقه.

كان رحمه الله مدافعاً كبيراً عن أهل السنة والجماعة وأحى أهل السنة والجماعة في كشمير وقد حاول أن يبرز النزعات الإسلامية في اللغة العربية والفارسية في كشمير. نلاحظ أنه كتب كتباً ومقالات دافع فيها عن التعاليم الإسلامية ومبادئها ومنها "مناسك الحج" و"شرح صحيح البخاري" و"لغة الشمائل" و"مغازي النبوة" و"أوراد الصرفي" وغير ذلك. كان متضلعا من فن الحديث الشريف ومن فن المغازي وتدل على كل منها كتبه ومقالاته العلمية التي لم تبحث عن شيء إلا قامت بتقديم وتوضيح النكات الهامة المتعلقة بالدين الحنيف وتخليصه من الشوائب والخرافات. وأن إنجازاته العلمية ستغمر قلوب المسلمين ومشاعرهم بالإيمان والحياة، والحركة والحرارة. وفي هذا الصدد نخص بالذكر الوجيز عن كتابه المهم في التفسير "مطلب الطلبين في تفسير كلام رب العلمين".

"مطلب الطلبين في تفسير كلام رب العلمين" كتبه باللغة العربية حول التفسير لبعض سور القرآن الحكيم منها سورة الغاتحة وسورة البقرة، وهذا التفسير في صورة مخطوطة بمكتبة المخطوطات العربية والفارسية في مكتبة إقبال بجامعة كشمير، وهذا الشيخ الصرفي في تفسيره حذو البيضاوي كما ذهب مذهب الرازي والكشاف واقتبس اقتباسات لا بأس بها من هذه التفاسير الثلاثة وأضاف إلى تفاسيرهم من علمه كثيراً، ويحوي هذا التفسير 360 صفحة ونسخة واحدة من هذا التفسير في صورة خطية أيضاً في مكتبة الثقافي لدولة جمو وكشمير بسرينجر.

وقد سلك الشيخ الصرفي في كل كتاب من كتبه أسلوبا خاصا وأرى أن له أسلوبا ممتازا ومنفردا بطرازه ونمطه في كل مؤلف ألفه ووفق في التعبير عما كان في نفسه توفيقا وقد مارس اللغة العربية شعرا ونثرا ولغة، كان له جول وطول في الأوساط العلمية والأدبية والفقه، وقد حاز مكانة مرموقة بين أقرانه وعلماء وأدباء عصره.

وإننا نعتقد أن الصرفي لم يصل إلى ذروته العلمية أحد في حدود كشمير في عصره، كأنه طلع كشمس بازغة ساطعة على سماء كشمير ونشر ضوءه على ربوع الهند القديمة. وحسب تعبير الأستاذ محمد مظفر حسين الندوي:

"كان الصرفي أديبا بارعا وكاتبا قديرا وصاحب أسرار اللغة العربية نثرا ونظما".

كان الشيخ الصرفي شاعرا مقلقا وملهما في عصره وله ديوان شعره بالفارسية وشعر رائق باللغة العربية، واعترف العالم الشهير والناقد الخبير ملا عبد القادر بصلاحياته وكمالاته الشعرية. وأذكر هنا بيتين من أشعاره فقط:

يا من بسر الوحي أنت أعلم قد جاءنا منك الكتاب المحكم

يا من بفيض كامل خصصت من علمته ما يكن هو يعلم

ونرى في بعض قصائده امتزاج العربية بالفارسية على النحو التالي:

محو صرف اشتياق أز لوح دل ليس في وسعي وقد جف القلم

صرفي از دریا ئے اشکم نه محیط ليس إلا مثل رشف من نيم

والجدير بالذكر انه كتب في اتباع الشعراء المشهورين قصيدة غزلية، تشتهر حتى الآن، ومطلعه:

ألا يا أيها الساقى أدركأسا وناولها كه عشق آسان نمود أول و لى افتاد مشكلنا.

ولم يكن الشيخ الصرفي عالما وداعيا فحسب بل كان صاحب طريقة، يخبرنا السيد عبد الحي الحسني صاحب الثقافة الإسلامية في الهند قائلا فيه:

"وأما الشيخ يعقوب بن الحسن فانه أخذ " الطريقة الكبرى " عن الشيخ حسن الخوارزمي وعن الشيخ حاجي محمد صديق، وعن الشيخ شاه على، وعن الشيخ رشيد الدين وعن الشيخ عبد الله اترزش آبادي وعن الشيخ إسحاق الختلاني، وعن السيد على بن الشهاب الهمداني".

وكان للشيخ الصرفي كثر من التلاميذ منهم تلميذ رشيد نبغ في العلوم الدينية والأدبية وعلم التصوف والموسيقى، يدعى بحبيب الله الحبي النوشهري الكشميري، وله أيضا ديوان شعر بالفارسية الممزوج بالعربية يشمل آلاف من الشعر، كان الحبي يتقن اللغتين الفارسية والعربية، ودافع عن أهل السنة والجماعة مثل أستاذه الصرفي.

هذا هو مؤجز مساهماته العلمية والأدبية والدينية لن تكتمل تاريخ كشمير الثقافي والعلمي والأدبي دون ذكره.

وانتقل الشيخ الصرفي إلى رحمة الله الواسعة في الثاني عشر من ذيقعدة بيوم الخميس عام ثلاثة و ألف (1003هـ) من الهجرة بعد صلاة العشاء¹⁸⁶، في عهد الإمبراطور أكبر، ومدفنه واقع بمدينة زينه كدل في سرينجر كشمير. إنا لله وإنا إليه راجعون.

المصادر و المراجع

- 1- "أمائل كشمير"، للأستاذ محمد مظفر حسين الندوي، بيت الحكمة الندوية سرينجر كشمير، 2004م
- 2- "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر"، للشيخ عبد الحبي الحسيني، دائرة المعارف بحيدرآباد
- 3- "واقعات كشمير" لخواجه أعظم ديد مري، نازيه برنترس دلهي، 2001م
- 4- "مطلب الطالبين في كلام رب العلمين" للعلامة يعقوب الصرفي، مكتبة المخطوطات بجامعة كشمير.
- 5- "مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي" للأستاذ محمد مظفر حسين الندوي، بيت الحكمة الندوية سرينجر كشمير، 2008م
- 6- "تاريخ حسن" غلام حسن الكهوهامي، الجزء الثالث، 1954م
- 7- "مكمل تاريخ كشمير"، محمد الدين فوق، جنار ببلشنغ هاوس، سرينجر 1992م
- 8- "شيخ يعقوب صرفي شخصيت و فن" الدكتور جي آر جان، بك ميديا، سرينجر، 1995م
- 9- "كشمير ميں عربي شعرو ادب كي تاريخ" الدكتور محمد فاروق بخاري 1993م
- 10- "كشمير كے عربي نعت گو شعراء" محمد رفيق بالا، 1995م
- 11- "تاريخ دعوت و تبليغ" خاكي محمد فاروق، الجزء الأول، صديق ببلكيشن جادوره بDKام كشمير، 2013م
- 12- "أولياء كشمير" بيرزاده محمد طيب حسين النقشبندى
- 13-

¹⁸⁶ أولياء كشمير، ص 41، ل. بيرزاده محمد طيب حسين النقشبندى

تطور اللغة العربية وآدابها في كشمير!

دراسة تحليلية

الدكتورة نور أفشاش¹⁸⁷

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، كما قال الله تعالى " خلق الإنسان وعلمه البيان"¹⁸⁸ وأودعه أعظم آياته من اختلاف الألسنة والألوان ، كما قال تعالى : " ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعلمين"¹⁸⁹ والصلوة والسلام على سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله وإمام المرسلين وخاتم النبيين وقدوة العلمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كل واحد منا يعرف بمعرفة جيدة أن اللغة العربية هي لغة كلام الله القرآن ولغة رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ولغة أهل الجنة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحبوا العرب لثلاث: لأنني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي".¹⁹⁰

لا شك ولا ريب فيه بأن اللغة العربية مفتاح الكنوز الثمينة للعلوم الإسلامية باعتبار أنها لغة المسلمين وشعار الإسلام وأهله ووسيلة أساسية ورئيسية لفهم ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن السلف الصالح في كافة العلوم والفنون والمعارف التي تؤثر تأثيرا واضحا كبيرا على تربية العقول والنفوس والأخلاق لأبناء هذه الأمة.

ولقد كان هناك رجال وعباقر من الأمة الإسلامية الذين نور الله قلوبهم وأذهانهم وهداهم إلى أن يقوموا بنشر الإسلام والحق وأحكام دينهم ومدنيتهم واجتماعهم وعلومهم وآدابهم بلغة عربية بليغة و فصيحة ونصاعة ذات حلاوة ، ونقبوا عما حوته هذه اللغة الشريفة من فن وأدب وبلاغة و إعجاز. ولقد فتح الله بها كنوزها بأيدي عباده الذين أقاموا بها المدارس الدينية والحكومية والأهلية لنشرها في أنحاء العالم ، فمنهم الكتاب البارزون الممتازون والعلماء العاملون والأدباء والشعراء الذين بذلوا جهودهم في نشرها وتطويرها.

¹⁸⁷ مديرة التحرير لمجلة التلميذ الصادرة عن مركز الثقافة الندوية بسرينجر كشمير.¹⁸⁸ القرآن الكريم: 55 ، 3-4¹⁸⁹ أيضا : 30 ، 22¹⁹⁰ مجمع الزوائد و منبع الفوائد، للحافظ نور الدين على بن أبي بكر، الجزء التاسع، ص55

اللغة العربية في شبه القارة الهندية:

إن الصلة بين العرب والهند صلة قديمة جدا ، و ترجع إلى زمن بعيد وذلك لأن العرب قدموا إلى هذه البلاد بقصد التبادل التجاري وقد نتج عن ذلك معرفة العرب بأحوال هذه البلاد وما بها من ثقافات و حضارات واسعة حتى أن العرب كانوا يشترون من هذه البلاد بضائعها و منتوجاتها و يذهبون بها إلى بلادهم كما يشير إليه السيد محمود آزاد في كتابه:

" أن تجار العرب قد بثوا شبكة تجارتهم في أنحاء العالم، وهم يستوردون الأواني من الهند والحديد من خراسان والرصاص من كرمان والأقمشة الملونة المنقوشة من كشمير في عهد الخلافة الراشدة"¹⁹¹.

و مع مرور الزمن اتسعت الصلات بين العرب والهند عهداً بعد عهدٍ و اشرق الإسلام في الهند و انتشر في وبرها و مدرها، كما قال المظفر محمد بن قاسم:

انتشر الإسلام في الهند عن طريق الفتح من الشمال الغربي حتى شمل الشمال كله من البحر العربي حتى خليج البنغال فيما وصل إلى السواحل عن طريق التجارة و الدعوة و انتقل المسلمون إلى أطراف الهند كلها أثناء حكمهم البلاد كما انتشر الإسلام بين الهنود خلال ذلك الزمن كله عن طريق الدعوة ومعاشية المسلمين المستقرين للسكان¹⁹²

كشمير و علاقتها باللغة العربية:

تقع جامو وكشمير في وسط القارة الآسيوية و في شمال شبه قارة الهند وباكستان و يقال لها " قلب آسيا " و تاج شبه القارة " و بشمال تقع تاجكستان و منطقة تركستان : " مسنكيانغ " و في شرقها تقع " تبت " الصينية، و في جنوبها تقع الهند وباكستان و في الشمال الغربي حدود أفغانستان وباكستان. هكذا اتحد الولاية بحدود خمسة بلدان في العالم و هي " جمهورية الصين " و " الهند " و " باكستان " و " أفغانستان " و " تاجكستان ".

احتضنت جامو وكشمير جزءاً من الثقافة العربية لمئات من السنين، ويوجد في أطرافها وأكنافها، وفي مدارسها وجوامعها، وتسربت اللغة العربية وآدابها إلى هذه المنطقة الجذابة مع الفتح الإسلامي وقد دخل تجار العرب كشمير منذ زمن الخلافة الراشدة كما سبقت الإشارة إلى هذا القول

¹⁹¹ " تاريخ كشمير " لـ سيد محمود آزاد، جلد أول، ص 272

¹⁹² البلدان الإسلامية و الأقليات المسلمة في العالم المعاصر، ص 584

أنفا ، فلا شك أنهم أصبحوا وسيلة تعليم الإسلام بين سكّانها، ولكن ما شاع الإسلام بين عامة الناس على نحو تام إلا بعد قبول أميرنجن الإسلام في العقد الثالث من القرن الثالث عشر.

يبين لنا كتاب "تاريخ كشمير" في هذا الصدد:

"قبل الأميرنجن شاه الإسلام على يد عبد الرحمن كان يلقب بـ "بلبل شاه" وقبل

الأمراء الآخرون الإسلام وكثير من عامة الناس أيضا تبعا لإسلامه وسمي عبدالرحمن

أميرنجن شاه بـ "صدر الدين" وأسلم على يد عبد الرحمن عشرة آلاف نسمة"¹⁹³.

وأنشأ السلطان صدرالدين زاوية ومسجدا باسم "بلبل الشاه" ويوجدان في حي يعرف باسم "بلبل لنكر" حتى الآن. وهكذا بدأ الإسلام يدخل في كل بيت من القرى والمدن ومع ذلك نزلت اللغة العربية هنا بكشمير منزلة النهضة العلمية بصفتها لغة دين الإسلام والمسلمين وأصبحت لغة متداولة.

وقد وفد على كشمير كثير من فحول العلماء والأدباء من أماكن مختلفة وقاموا بدور مهم في نشر الإسلام واللغة العربية وخاصة أول من الدعاة إلى الإسلام هو مسلم شامي كان اسمه حميم الشامي، قدم كشمير عام 97 من الهجرة النبوية¹⁹⁴ الشيخ شرف الدين رحمه الله الذي كان يلقب بـ "بلبل شاه" والشيخ الشاه همدان والسلطان زين العابدين الذين لعبوا دورا بارزا في ترقية ونشأة ونشر اللغة العربية في كشمير وأنحاءها. فعناية هؤلاء الرجال باللغة العربية نابعة من إيمان راسخ وعقيدة صادقة ، بأنها لغة القرآن ولغة الدين والشريعة الإسلامية ولغة الثقافة والحضارة والآداب. ولم تصادف هناك صعوبة في انشائها وتطويرها ولا عقبة وصعوبة في دراستها وتطبيقها لأنهم ألفوها من قديم وورثوها من الأجداد وآباء وطرقوا أبوابها بالتأليف .

ورأينا من المناسب أن نعبر هذا الشعور والاعتراف بكتابة هذه المقالة نأتي فيها ببعض مشاهير هؤلاء العلماء والشعراء والأدباء الذين قاموا من أجل اللغة العربية بخدمات جليلة وعظيمة، وبجهود علمية ، كما أنهم لعبوا دورا هاما في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية. يذكر سليم خان الغمي أسماء عدد كبير من العلماء والأدباء الكبار في كتابه الأردني "كشمير من اشاعت اسلام" (نشر الإسلام في كشمير) ومنهم:

1- الشيخ شرف الدين السيد عبد الرحمن بلبل شاه رحمه الله.

2- السيد جلال الدين البخاري رحمه الله

¹⁹³ تاريخ كشمير

¹⁹⁴ "أمثال كشمير" للدكتور محمد مظفر حسين الندوي، ص30-31 ، بيت الحكمة الندوية 2004م

- 3- السيد تاج الدين
- 4- السيد حسنين السمناني
- 5- الشاه الهمداني
- 6- السيد الأمير محمد الهمداني
- 7- الشيخ شمس الدين العراقي
- 8- الشيخ حمزة المخدوم
- 9- السيد طاهر رفيق العشائي السهروردي
- 10- الشاه محمد فريد الدين القادري
- 11- الأمير عبد الرشيد البيهقي
- 12- الشيخ يعقوب الصرفي
- 13- الشيخ داود الخاكي¹⁹⁵

وزاد الدكتور صابر الآفاقي في كتابه "جلوه كشمير" (طلاوة كشمير) هؤلاء العلماء مع المذكورين:
 أبو الفتح الكلورحمه الله و العالم محمد امين الكشمير و معين الدين النقشبندي و العالم نورمحمد
 الكشميري و العالم محمد حسن الكاشو و العالم نورمحمد المشتهر ب نور بابا الكشمير و أبو الفتح
 عبد الرشيد محمد و الشيخ سليمان بن أبو الفتح.¹⁹⁶
 وزاد المؤرخ الإسلامي الشيخ اسحاق بيهقي في كتابه "فقهائے ہند و پاک" (فقهاء الهند و باكستان)
 بذكر العلماء المذكورين بأدناه:

- 1- الشيخ محمد أكبر الكشميري
- 2- الشيخ مرزا محمد الكشميري
- 3- الشيخ محمد الكشميري
- 4- الشيخ محمد الرفيقي الكشميري
- 5- المفتي محمد قوام الدين الكشميري.

¹⁹⁵ كشمير میں اشاعت اسلام " ص 63 - 87

¹⁹⁶ "جلوه كشمير" للسيد صابر الآفاقي، ص 19 - 20

ومن بين هؤلاء العلماء عالم كبير، ذو شهرة واسعة بين الأوساط العلمية والأدبية في العالم كله، وذكره العديد من الكتب والمؤلفات التاريخية والعلمية والأدبية بالتفصيل، فهو العلامة أنور شاه الكشميري الذي قام بدور فعال في ترويج الإسلام واللغة العربية في المنطقة.

المراجع و المصادر

- 1- القرآن الكريم
- 2- أمائل كشمير" للدكتور محمد مظفر حسين الندوي، بيت الحكمة الندوية 2004م
- 3- جلوه كشمير" للسيد صابر الآفاقي
- 4- تاريخ كشمير" لـ سيد محمود آزاد، جلد أول
- 5- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نورالدين على بن أبي بكر، الجزء التاسع
- 6- البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر
- 7- كشمير میں اشاعت اسلام
- 8- "فقہائے ہند و پاک " للشيخ اسحاق بيهقي
- 9- تاريخ كشمير، لـ محمد الدين فوق
- 10- نزہة الخواطر، لـ عبد الحي الحسيني
- 11- كشمير سلاطين کے عہد میں، لـ محب الحسين
- 12- قاموس الاعلام، لخیر الدین الزرکلی
- 13- علامہ أنور شاه كشميري اور ان كی ديني خدمات، لـ تاج الدين المدني
- 14- مشاهير علماء ديوبند ، لفيوض الرحمن
- 15- نفحة العنبر، لـ محمد يوسف البنوري
- 16- تاريخ دارالعلوم ديوبند ، لـ محبوب أحمد الرضوي

علامة السيد أبو الحسن الندوي رائد الأدب الإسلامي للأطفال

(1913 – 1999م)

محمد تنوير الندوي¹⁹⁷

يعتبر العصر الحديث عصر أدب الأطفال بكافة وسائله المقروءة والمرئية والمسموعة، فمنذ عصر النهضة حدث تحول في الأدب المخصص للطفل ولما حدث من تحولاته الجديدة إلى الأطفال والكتابة فيما يتصل بتدشّئهم.

أدب الأطفال في العالم العربي الحديث وإن كانت جذوره تمتد إلى مصر القديمة وجذوره الحديثة أيضاً تمتد إلى مصر الحديثة، حيث حملت مصر مشاعل الريادة لهذا الفن في الأدب الحديث، وظهر هذا الأدب الحديث في زمن محمد علي (1769) عن طريق الترجمة وبطريق الإختلاط بالأجانب، وكتاب "تعريب الأمثال في تأديب الأطفال" هو أحد الكتب الأولى التي ألّفت للقراء الصغار وهو كتاب أطفال ترجمها عن الفرنسية عبد اللطيف أفندي، وبعد ذلك أخذ الأدباء يكتبون في هذا المجال ونرى في العصر الحديث أدباء كثيرين في مجال أدب الأطفال ومنهم شريف الراس وكارمن معلوف من لبنان، زكريا تامر وسليمان العسبي من السورية، محمد العروسي من الجزائر، ويوسف الشريف من ليبيا، وغيرهم، وأما في شبه القارة الهندية فكان علامة الهند الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي من ألمع الوجوه في هذا المجال، وكان كاتباً غزير الانتاج، صاحب منهج متميّز عن غيره من المفكرين والباحثين المعاصرين.

قال عنه الدكتور يوسف القرضاوي: "كان الندوي يمثل نسيجاً مميزاً من العلماء المسلمين ينضم إلى العلماء الكبار..." "أنه رجل جعل الرسول الكريم أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها، واتخذ سيرته نبراساً له، في تعبده وزهده، وإعراضه عن زخارف الحياة، وزينة الدنيا، فهو يعيش في الخلف عيشة السلف، لا يهتم بما يهتم به أمثالنا من متاع وتملك ورياض وزينة، تحسبه إذا رأيته سلمان الفارسي أو أبا الدرداء."

في الواقع هو رائد الأدب الإسلامي، بل حامل لوائه على المستوى العالمي، بتعدّد جوانبها وتنوع أعمالها الجليلة الغالية في هذا المجال بحيث ألف سلسلة من قصص النبيين وحكاياتهم بلغة عربية جميلة سهلة وأسلوب أدبي رصين، أسسه على الرعاية الكاملة بنفسه الأطفال وطلبتهم في مراحل

¹⁹⁷ الباحث في قسم اللغة العربية بجامعة كشمير

حياتهم الأولى والمتوسطة والأخيرة، ففي الجزء الأول من هذه السلسلة دعا براعم الناعمة إلى أن يجمعوا حوله ليَقص عليهم قصة طريفة كأنه يقول: تعالوا يا أبنائي أحك لكم قصة لرجل كبير، كان في زمن قديم، قديم جدا، فالتف حوله الأطفال راغبين في سماع القصة والإستمتاع بها، فبدأ يَقص عليهم بأسلوبه الجميل الممتع الذي يتجلى فيه حبه للأطفال، وشفقته عليهم وإعتناؤه بتوجيه درس مفيد نحوهم، وكان الأطفال كلهم قد أصغوا اذنانهم وأصبحوا اذنا واحدة صاغية، وإذا به يبدأ القصة بأسلوبه الساحر الأخاذ.

"قبل أيام كثيرة، كثيرة جدا، كان في قرية رجل مشهور جدا، واسم هذا الرجل آزر، وكان آزر يبيع الأصنام، وكان في هذه القرية بيت، بيت كبير جدا، وكان في هذا البيت أصنام، أصنام كثيرة جدا" الخ.

انه يريد أن يرجع للأطفال إلى مبدأ التاريخ التوحيد، وإلى حامل لواء التوحيد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي بعثه الله في بيت آزر بائع الأصنام وصانع الأوثان والداعية إلى عبادة الأوثان، في الأسرة التي كانت غارقة في عبادة الأصنام إلى الأذان فهذا الأسلوب الشائق الذي يستسيغه عقل الأطفال يغرس في نفوسهم عقيدة التوحيد ويحبّب إليهم الإيمان بالله الواحد الأحد، ولكي يرسخ جذور العبادة لله الواحد وينفر القلوب من عبادة الأصنام.

وان موضوع التوحيد والتنفير من عبادة الأصنام ليس كسائر المواضيع، بل انه يحتاج إلى لباقة أدبية وبراعة فنية لتقريبه إلى أذهان الأطفال، ولقد عبر رائد الأدب الإسلامي للأطفال الشيخ أبو الحسن الندوي هذا المعنى بلغة جميلة ذات صبغة إيمانية ثابتة. وفي نفس الأسلوب ينتقل للأطفال إلى ما بارك الله في ذرية إبراهيم. ورزقه قرّة عين له، سماه إسماعيل الذي كان موضع حبه ومركز حياته وآماله، وألقى بذلك في روع الأطفال أن أبراهيم لم يكن انسانا عاديا ولكنه كان أمة قانتا لله حنيفا، واثقا بنصره ومتصلا بذاته اتصالا عجيبا، هكذا تولى الشيخ للأطفال بقلمه البليغ تمثيل انسان مثالي ذي مكانة عالية، ورابطة قوية بالله تعالى، وأسلوب الشيخ الندوي في سلسلة "قصص النبیین" أسلوب هادئ طبيعي سائغ مثير للإيمان ومؤثر في النفس، وفيه وضوح التعبير، وجمال الدباجة، والمسيرة مع نفسية الأطفال في بيان الأحداث والمشاهد.

ولم تنته إهتمامات الشيخ بهذه السلسلة المفيدة، ولكنه عكف بعد ذلك على إبداء اهتمامه الكبير بجانب التربية الأدبية للأطفال فقام الشيخ بتأليف سلسلة، القراءة الراشدة، لتعليم اللغة

العربية في المدارس الإسلامية، وأتمها في ثلاثة أجزاء وكل جزء يفوق الأول في المستوى اللغوي والأدبي، نظرا إلى تقدم الأطفال في دراساتهم الأدبية وترقيتهم في الثقافة الدينية.

وهذه السلسلة كلها مملوءة بطرائف إسلامية يتحف بها الندوي الأشبال الناشئين من أبناء المسلمين، فنجد فيها غذاء العقول وضياء الألباب، فهي تعطينا صورة ناصعة واضحة ومؤثرة عن حوادث التاريخ وأيام الأنبياء.

كما أنه غرس مكارم الأخلاق الإسلامية في كيان الطفل، ودعوته إلى التمسك بها، ويقطف الأطفال منها ثمار العقيدة الإسلامية المعافاة من العلل والأمراض، بحيث يقص قصة أو يحكي حكاية ثم يأتي ببعض من آيات القرآن وفقا لمضمون الحكاية والقصة، فهكذا أصبحت هذه المجموعة القصصية أكثر نفعاً مما قدمه المؤلفون في بلاد الهند من الكتب العربية والفكاهات الممتعة والشيقة. وأدب الأطفال عند أبي الحسن علي الندوي هو أدب إسلامي بعكس الكثير من اللذين ألفوا في هذا المجال، لأنه يكتب تاريخ الإسلام بأسلوب التربية الإسلامية والدعوة الصادقة، وصرح سيد قطب الشهيد: "ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم السلام، وشاركت في تأليف مجموعة "القصص الديني للأطفال" في مصر ماخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكنني أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي هي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها، ومواقفها، ومن تعليقات داخلية في ثنايا القصة¹⁹⁸.

وجاءت هذه القصص متنوعة الموضوعات، وذات معان ومرام مفيدة، واستعمل فيها شتى الأساليب الأدبية، من الحديث المباشر إلى القصة، إلى طريقة الحوار، إلى الرمز، الخ ونجد في كل قصة تصوير للواقع، وتشخيص للمعاني، ومواد للتربية الإسلامية، فالطالب الصغير يتعلم اللغة وقواعد اللغة، والعقائد وملاحم التاريخ الإسلامي، ونماذج السلوك البشري بأسلوب يليق به، وعلاوة على ذلك، أنه كتب قصصا دينية كثيرة في ضوء التاريخ الإسلامي، فكتب عن الصحابة رضي الله عنهم قصصا تتعلق بحياتهم الإيمانية ذات العلاقة القوية بذات الرسول صلى الله عليه وسلم والثقة الكاملة بوعد الله، ونصره وتأييده وقدرته العظيمة، التي لا تقف عند حدود أو ثغور، وكل ذلك في لغة عذبة سهلة ولون قصصي جميل يعلم الناشئة دروسا عميقة في الإيمان والحب، ويقربهم إلى الدين

¹⁹⁸ أبو الحسن علي الندوي، سيرة خاتم النبيين، ط: بيروت، ص: 4

الكامل ويدربهم على اللغة والتعبير، وكل ذلك مملوء من الفوائد الأدبية والدينية والتربوية ما لا يخفى على أحد، فهذا الاعتبار كان سماحة الشيخ الندوي رائداً للأدب الإسلامي للأطفال، ومنشأً لمدرسة جديدة في القصة، بالإضافة إلى بحوثه وأفكاره، وكان أدب الندوي أدب طبعي خالص، فيه أبداع وابتكار، وتوليد المعاني، وتحليل الوقائع، وفتح للأذهان، ودعوة إلى التفكير والتدبر، وهو أول كاتب للأطفال في اللغة العربية في الهند، بهدف ومبدأ، وبتعبير سيد قطب الشهيد رحم الله هو أنجح كاتب في القصة الإسلامية ليس في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي، وله براعة في تصوير المأساة وتصوير الأفراح والسعادة، وقلمما يوجد مثل هذا الجمع في الإنتاجات الأدبية القصصية الأخرى، وإنه وضع جميع مؤهلاته في خدمة الدعوة الإسلامية ودعم العقيدة العتيدة في كيان الطفل المسلم، والفكر السليم، وتوجيه الطفل إلى رسالة الإسلام السامية الخالدة وتطبيقها على الحياة كلها، وله في كل مجال من هذه المجالات انتاجات ضخمة، ومؤلفات قيّمة، وأعمال جليّة، وخدمات فذة، فهو من رواد الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية في العالم كله، وهو رائد التربية الإسلامية للأطفال على المستوى العالمي، ورائد لجمع بين العلم النافع والإيمان الواسع في كل مكان، وأنه يعالج أدب الأطفال معالجة إسلامية بأسلوب شائق جذاب وممتع مقتبساً من آيات القرآن والحكم والأمثال.

المصادر والمراجع

1. د. اشفاق احمد الندوي: مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، ص: 11
2. قصص النبيين: أبو الحسن علي الندوي: ج1، ص: 7
3. أبو الحسن الندوي: القراءة الراشدة، الجزء الأول، ص: 9-10
4. المصدر السابق، ج1، ص: 77
5. محمد واضح رشيد الندوي: المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الندوي، ط: رابطة الأدب الإسلامي العالمية لکناؤ، (الهند)، ص: 132
6. أبو الحسن علي الندوي: مختارات من أدب العرب، ط: دار الشروق، ص: 7-8
7. أبو الحسن علي الندوي: الطريق إلى المدينة، ص: 16.

العلامة محمد أنور شاه الكشميري مفسراً

الدكتور بلال أحمد زرغر الندوي¹⁹⁹

إلقاء نظرة على سيناريو العالم الإسلامي، نجد معالم واضحة لعلماء الإسلام الذين اشمئزوا منازهم لخدمة الإسلام والدفاع عنه على كل مرحلة من مراحل الحياة، وفي كل مجال من مجالاتها، ولم يتركوا علماً من العلوم الإسلامية إلا وفيه لهم صولات وجولات ولم يبخلوا في تقديم أنفسهم وأموالهم للحفاظ على الدين المتين عندما مست الحاجة إليه، وشبكة هؤلاء العلماء العظام العلمية امتدت إلى العالم كله شرقاً وغرباً، عرباً وعجماً، ومن أبرزهم وأعلامهم في العصر العشرين العلامة محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى الذي طلع من أفق كشمير في سنة 1252 هـ، وكان له باع طويل في العلوم الإسلامية ولا سيما في علوم الحديث ومشكلات القرآن، والعلامة الكشميري هو من العلماء الراسخين الذين أنجبهم دارالعلوم ديوبند- أعرق وأقدم جامعة إسلامية في الهند- وكان الشيخ مرجع العلماء والطلبة في عصره ولحياته جوانب عديدة في علوم القرآن والسنة النبوية ولكل جانب منها ترك العلامة مساهمات قيمة لا يستغنى عنها أهل العلم والفكر، والجانب الهام الذي بذل الشيخ له مجهودات مكثفة والتفت إليه أكثر فأكثر بعد علم الحديث، هو علم التفسير وإنى أبذل ما في وسعي من الجهد لبيان ما قدمه العلامة في هذا الخصوص من الأفكار والتحقيقات العالية والآراء الهامة التي تنور السبل لكل من يريد أن يسلكها في تفسير القرآن الكريم وشرح ما يواجهه المفسرون من فهم مشكلات القرآن المبين، رغم أن القرآن من كلام الله الجبار فليس للإنسان أن يفى حقه وهذا بعيد عن قدر البشر ولكن الإنسان لا يستطيع أن يهتدى إلى سواء السبيل إلا به فواجب عليه أن يتدبر فيه حتى ما في وسعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: كتاب الله فيه نأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع من العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا- إنا سمعنا قرأنا عجبا يهدي إلى الرشد فأمنا به- ومن قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم: روى الترمذي هذا الحديث في جامعه من حديث الحارث الأعور فعلياً أن ننظر إلى ما خرج من مشكاة النبوة، فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من وجوه محاسن القرآن إلا وقد سبق إليه إشارة من قبله صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي أذكر ما قاله الشيخ العلامة في خصوص القرآن الكريم:

1. كان يقول: لا ريب أن حق القرآن ليس مما يقوم بإيفائه المخلوق، ولكن مع هذا لم ينفد وأوسعهم فيه ما كان أحق هو به وأهله.

¹⁹⁹ الزميل ما بعد الدكتوراه، بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة كشمير

2. كان يقول : والأعنى في تفسيره هو حل نظمه الجزيل بحيث يستغنى عن تكلفات وتقديرات ويبقى تعبيره المعجز على سذاجة فطرية أوفى بالغرض بما يقتضيه جزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل.
3. وكان يقول : حوار القرآن لم يجي على سرد الجزئيات على نسق كتب الفتاوى أو تقسيمها على المواد والتعداد كما في الكتب الجديدة من مؤلفات العصر، وإنما جاء في حوار العرب بعطف بعض على بعض، فكثير الإختلاف في أن موضوع الآية الثانية مثلا أهو موضوع الأولى ؟ أو أعم؟ أو أخص ؟، أو متعلق به بتعلق آخر؟ ولا يخفى أن الأمر المبهم فيه هو هذا.
4. وكان يقول : ليس موضوع القرآن استيعاب التاريخ والوقائع كلها فالإيجاز في مقام والإطناب في آخر، والتقديم في أجزاء الواقعة في موضوع والتأخير في آخر لحكم وأسرار ربما تقصر عنها الأفكار وللتنزيل في ذلك خصائص دقيقة تحتاج إلى غور بعيد وتدبر طويل.
5. وكان يقول : إن مشكلات القرآن تربو على مشكلات الحديث، بيد أنى أتأسف على أنه لم تخدم الأمة القرآن مثل خدمة الحديث، وكان الاعتناء به أهم منه بالحديث.
6. وكان يقول : إعجاز نظم القرآن أقطع عندى من طلوع ذكاء لا يتزعزع بتشكيك مشكك، وهذا لأن الذكاء ينجلي قرصها للأبصار قبيل شروقها من الأفق الحقيقي بعدة دقائق كما حققه أهل الفلسفة الجديدة ، فيحتمل أن الذكاء لم تطلع عند شروقها، غير أن القرآن لا يحتمل لدى شيئا مما يابى عن اعجازه.
7. وكان يقول : إعجاز القرآن عندى يحوى إعجاز تراكيبه وأساليبه في إيجازه وإطنابه ودلالته على المغزى وافتنانه على وجوه شتى، ليس فيه للشبهة مساغ ولا للريبة مجال فإيجاز القرآن عندى يقين لا يدوره شك ، وثلج صدر لا يشوبه ريبة ، وأن اللفظ المفرد الذى نزل به القرآن لو اجتمع الثقلان وتظاهر عليه أهل الأكوان بأن يأتوا بالآوى منه في موضعه لعجزوا وخابوا وأن القرآن ربما يكشف الحقائق الغامضة بتغيراته مفردة يتحير لها أولى الأذواق السليمة العالية. كما قيل:

"إذا ذاقها من ذاقها يتمطق"

فيجل شأنه الجليل من أن يكون فيه حرف زائد أو تقديم وتأخير، من غير رعاية نكات دقيقة تدق عن الأفهام فحاشاه ثم حاشاه عن ركافة لفظ أو زيادة حرف وحقا ما يقول الشيخ رحمه الله فإنه كان من البلاغة بمنزلة علياء شامخة تشخص دونها الأبصار والبصائر فكانت البلاغة خلطت بلحمه ودمه وأضحت له صفة نفسانية سرت في عروقه حتى أصبحت غذاء لروحه السامى .

8. وكان يقول : قد أودع الله في طبيعته معيارا لمعرفة البلاغة فلا أقلد فيها أحدا ربما إذا حكى قولهم "لم يدر إعجاز القرآن إلا الأعرجان" عقبه بقوله "وأنا ثالثها" وربما قرنه بسجعة "أحدهما من زمخشر وثانيهما من جرجان" إن الشيخ كان يثنى كثيرا على نظم الدرر في تناسب الآئى والصور "للشيخ إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى من أرشد تلامذة الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى وكان يرشد الطلاب إلى مزاياه البارة وينوه بشأنه، وقال لا يوازى خدمته للقرآن فيما أرى خدمة غيره له، وهو في ذلك سباق غايات وصاحت آيات بينات وكذا كان يثنى على "مفاتيح الغيب" أى "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين خطيب الرى ويقول إن الإمام يغوص في علوم القرآن ومشكلاته لم أرمشكلا من معضلاته إلا والإمام تنبه له غير أنه ربما لم يظفر

بما تقنع به النفوس الصادية وتنشرح به الصدور الصافية فهكذا كان الشيخ رحمه الله ينبه الطلاب على هذه التحقيقات الدقيقة والتدقيقات المتينة لهذا التفسير القيم، ومرة سئل الشيخ عما قيل لهذا التفسير من قبل بعض اهل العلم "فيه كل شئ إلا التفسير" كما حكاه الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في "إتقانه" فأجاب بهذه الكلمة "لعله قول من غلب عليه الرواية كان يريد رحمه الله كأنه قول محدث همه استطرد الروايات من الأخبار والآثار فقط، من غير ملاحظة إلى سائر مزايا التنزيل العزيز، ومن المعلوم عن الشيخ أنه قال مرة في هذا الرأي عن التفسير الكبير "أن هذا القول ظلم في حق الإمام"

هذا، فلعلك دريت من هذا التفصيل عناية الشيخ العلامة بمشكلات القرآن الكريم والغوص في حقائقه الفائقة ومزاياها الرائعة، فهكذا صرف العلامة برهة من عمره في حل مشكلاته، وكان يتلو في رمضان القرآن بغاية تدبر فكان يمضى يوما قميصا من بعد صلاة الفجر إلى الأصيل في جزء واحد، وربما كان يتوقف في آية عدة ساعات يمرى اخلاف فكره وربما كان يبقى سنين في التأمل في حل مشكلات القرآن حتى يبلغ إلى درك البحر فيخرج اللآلى المكنونة، وكان من شريف دأبه إذا عَنَ له مشكلة من مشكلاته يتوخى لحله أسفار أعيان من الأمة الذين لهم عناية قوية بأمثال هذه العويصات، فإن فاز بشئ أحال عليه في مذكرته وإلا فكان يطيل الفكر ويرسل النظر، ويبعد الغور والتأمل، فإذا سنج له سانح أو بدا بارح قيده فاجتمعت في مذكرته الخاصة بالقرآن مادة جمة غزيرة.

هذه باقة شذا من آرائه التي تتعلق بالقرآن الكريم ومشكلاته، التي كان من أهم أهدافه الحياتية، وقال في هذا الباب مرة أن الأمة قام بأداء حقها في شرح الحديث النبوي الشريف، ولكن الأمة لم تف الحق في تفسير القرآن الكريم وهو دين عليها، وأن فحوى القول بأن العلامة الكشميري كان يشتغل في تفسير القرآن الكريم وحل مشكلاته كما كان يهتم بالعلوم الإسلامية الأخرى، وترك المساهمات القيمة في هذا الخصوص، التي تهتدى بها الأمة في كل زمن من الأزمنة والدهور.

الهوامش

1. نفحة العنبر في حياة الشيخ انور : للعلامة محمد يوسف البنوري
2. نقش دوام : للشيخ محمد أنظر شاه المسعودي
3. مشكلات القرآن : للعلامة أنور شاه الكشميري
4. فيض الباري : للعلامة محمد يوسف البنوري
5. الأنور : للشيخ عبد الرحمن كوندو
6. فتح الملهم في شرح الصحيح للمسلم : للعلامة شبير أحمد العثماني

علامة الهند المجدد المصلح

شاه ولي الله الدهلوي

(1762-1703 م)

ظفرحيات

إن علامة الهند الشيخ شاه ولي الله الدهلوي كان نابغة من نوابغ الفكر الإسلامي ، وله جوانب عديدة ونواحي مختلفة من حيث أنه رجل علمي وأدبي ، وفقهه ومحدث وكاتب بارع في وقت واحد ، وهو يتحلى بمعرفة تامة وشاملة على العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصوله وأحكام الإسلام والشريعة ، وعلم بما يليق بشأن الرجل العلمي العبقرى من دقة وسعة نظري في العلوم المختلفة القديمة والحديثة ، وهو يتصف بفهم عميق في كل ما له علاقة بالدين الحنيف. ويعد شاه ولي الله الدهلوي من ألمع العلماء الذين أنجبهم القارة الهندية، وقد كان لمدرسته الفكرية دور مهم في إظهار الإسلام وانتشاره في تلك المنطقة، ولا تزال مؤلفاته التي تتميز بغزارة معانيها، وقوة حجتها، مرجعاً مهماً لأصحاب التخصصات على اختلافهم، الفقهاء وأهل الحديث والتفسير وغيرهم، ولا تزال حركة الإصلاح التي بدأها تنير الطريق للعلماء جيلاً بعد جيل، حتى يومنا هذا.

ولد أحمد بن عبد الحلیم في دهلي بالهند في (14 من شوال 1114 هـ = 2 من مارس 1703 م) في أواخر عهد السلطان أورنجزيب، في قرية بهلت بمديرية مظفرنكر، الهندية، ونشأ في بيت علم وصلاح؛ فأبوه كان عالماً كبيراً، اشترك في مراجعة الفتاوى الهندية على المذهب الحنفي التي أشرف السلطان أورنجزيب على إخراجها.

تعلم شاه ولي الله الدهلوي في كنف أبيه، فحفظ القرآن الكريم في السابعة من عمره، وانصرف إلى دراسة اللغتين الفارسية والعربية، وتلقى علوم القرآن والحديث وفقه على المذهب الحنفي على أكابر علماء الهند، كما درس الطب والحكمة، والمنطق والفلسفة، ومال إلى الزهد والتصوف في هذه الفترة المبكرة، وأمدته هذه الروح الشفافة بطاقة هائلة، وإقبال على العبادة والطاعات، ونزع الله من قلبه حب الدنيا وزينتها؛ فالتفت القلوب حوله وأطلق عليه الناس "شاه ولي الله"؛ أي ولي الله الكبير. وكان من المبرزين في العلوم العقلية والنقلية، وكان حنفياً من أهل الطريقة النقشبندية، وقد تزوج الإمام الشاه ولي الله الدهلوي باثنتين: الأولى عندما كان عمره خمسة عشر عاماً، وولدت له بنتين -هما صالحة وأمة العزيز- ثم محمداً عام 1146 هـ، وتوفيت سنة 1149 هـ بعد وفاتها تزوج الثانية، فأنجبت له بنتين وأربعة أولاد، نعرف بأولاده هنا باختصار، وهم بالترتيب على النحو التالي:

الشاه عبد العزيز (1159-1239هـ): وهو أكبر الأولاد من الزوجة الثانية، رباه أبوه مع آخرين. توفي أبوه وهو ابن سبعة عشر عاماً، لكنه حمل وراثته أبيه، قيادة مسلمي الهند الدينية والاجتماعية في ظروف كانت أشد من ظروف أبيه، وقاد المسلمين بجدارة، ولقب بسراج الهند. من أهم تصانيفه: "التفسير العريزي"، "والفتاوى العريزية"، و"ملفوظات الشاه عبد العزيز"، و"العجالة النافعة"، و"بستان المحدثين"، و"التحفة الإثنا عشرية"، و"سر الشهادتين"، و"ميزان البلاغة"، و"تحقيق الرؤيا"، و"ميزان الكلام"، "حاشية ميرزا هاد" وغيرها.

الشاه رفيع الدين (1163-1233 هـ): درس العلوم الابتدائية على أبيه الذي توفي وهو في سن الثالثة عشرة، فتولى أخوه الأكبر تربيته، ثم حفظ القرآن الكريم. اشتهر من مؤلفاته: "دمغالباطل" و"مقدمة العلم" و"كتاب التكميل"، و"أسرار المحبة"، و"رسالة في العروض والقوافي"، و"رسالة شق القمر"، و"راه نجات" (طريق النجاة)، و"ترجمة القرآن الكريم باللغة الأردية".

الشاه عبد القادر (1167-1230هـ): كان معروفاً بالعلم والفضل والاستغناء والتقوى. كتب ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم، وكتب تفسيراً مختصراً له سماه موضح القرآن، وتعتبر هذه الترجمة من أدق تراجم القرآن الكريم وأحسنها، مثل "ترجمة أبيه للقرآن الكريم باللغة الفارسية"، كان يقوم بتربية الراغبين في التربية والمقبلين عليها، ودرس كتاب الله طول حياته. الشاه عبد الغني: هو أصغر أولاد الشاه ولي الله الدهلوي، ولد عام 1171هـ، ولم يكن معروفاً بالعلم، لكنه ترك ابناً كان غرة جبين الإصلاح والحركة الجهادية في الهند، وهو السيد إسماعيل الشهيد رحمه الله .

دوره في التجديد والإصلاح السياسي:

كان المحدث شاه ولي الله الدهلوي إماماً في العلوم النقلية والعقلية، وكانت صفاته التي تدل على الفهم والذكاء وعلو الهمة ظاهرة بشدة، وكان صادق الفراسة، وكان العصر الذي عاش فيه عصراً مليئاً بالفوضى والاضطرابات، حيث تعرضت "دلهي" للعديد من الغارات والحوادث المؤلمة، فجعل الشيخ يوجه رسائله إلى الأمراء ينصحهم بالاستقامة والثبات على الحق، والتعاون على الخير في صد العدوان، والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

دوره في التجديد العلمي والفكري:

لا شك أن ولي الله الدهلوي قد زود المكتبة الإسلامية بعدد وافر من المصنفات المهمة القيمة التي تمتاز بسلاسة العبارة، والفهم الصحيح لمقاصد الشريعة الإسلامية، في ضوء القرآن والسنة النبوية، والتي ذكرنا بعضاً منها، وكان السبب في مثل هذا النضوج والوعي هو طول المدة التي قضاه في الدراسة والتدريس، وكثرة العلماء الذين أخذ عنهم ودرس عليهم أصناف العلوم الشرعية، والذين كان من أهم وأكثرهم تأثيراً عليه، والده الشيخ عبد الرحيم الدهلوي رحمه الله تعالى.

وقد جاء العلامة الدهلوي في وقت كانت الدولة الإسلامية في حالة لا تختلف كثيراً عن الحالة التي تمر فيها هذه الأيام، من حيث التشتت وضعف الهمة، وهيمنة الأعداء عليها وتداعيمهم عليها كتداعي الأكلة إلى القصعة، ومحاولتهم تقاسم خيرات المسلمين، فجاء بهمة عالية، ودعا الناس عامة وأمراء المسلمين خاصة إلى الاعتصام بحبل الله تعالى، وإلى نبذ الفرقة والتفرق، وإلى ترك العصبية المذهبية، ووضح لهم الاعتقاد الصحيح الذي يجب أن يعتقدوه، والفقه السليم الذي يجب أن يسيروا عليه، وحاول بكل همته أن يرجع قطار الإسلام إلى سكوته التي ينبغي أن يكون عليها، وقد كانت دولة الهند في ذلك الوقت قد انفرط عقد الإسلام فيها، وبدأ الهندوس والسيخ يسيطرون على كل شيء، ولم يبق في أيدي المسلمين إلا القليل القليل.

وقد اهتم العلامة شاه ولي الله بالعقيدة، وجعلها نصب عينيه، ولم يقتصر جهداً في نشر الاعتقاد الصحيح المستمد من القرآن والسنة، تبليغه لكل من استطاع، لأنه كان يرى أن العقيدة الصحيحة هي الأساس المتين الذي يمكن أن تجتمع حوله كل تلك الفرق، وكل تلك الطوائف، وبدون هذه الاعتقاد يصعب تجميع المسلمين وتوحيدهم، ومن هنا فقد جعل الشيخ ولي الله التوحيد هو أساس دعوته، ثم تابع تلاميذه هذه المسيرة، وقاموا بتطبيق حركة الإصلاح والجهاد التي قادها الإمام المجدد سيد أحمد عرفان الشهيد، والشيخ محمد إسماعيل الشهيد، وأتباعهم من بعدهم، الذين وقفوا في وجه الاستعمار، وقاوموه، وثبتوا في أرض المعارك، وثبتوا في صد هجماتهم بكل أنواعها، والتي من أهمها التشكيك والتشويه، ووقف في وجه المعتقدات الوثنية والباطلة، وهاجم المنكرات والبدع، وقد كانت تلك المعتقدات الفاسدة منتشرة بشدة في تلك البقاع، وقد وضع الكثير من جهوده في هذا المضمار في العديد من كتبه، كالغزوة الكبير الذي جعله في مخاصمة أعداء دعوة الإسلام من الطوائف الضالة الأربع، وهم المشركون، واليهود، والنصارى، والمنافقين.

واهتم العلامة ولي الله كذلك بالقرآن الكريم، حفظاً وتفسيراً، وألف كتابه فتح الرحمن في ترجمة القرآن، وركز اهتمامه بتدريس القرآن وتفسيره، ولم يكن في الهند قبل ذلك ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الفارسية، فكانت ترجمته فاتحة باب عظيم لنشر علوم القرآن، وتفسيره، فاقتدى به تلاميذه من بعده، وقاموا بترجمة العديد من الكتب الإسلامية إلى اللغة الفارسية، ثم الأردية بعد ذلك.

واهتم كذلك بالأحاديث والسنة النبوية الصحيحة، ودعا إلى ضرورة التزام حركته التجديدية بالأحاديث الشريفة، وضرورة جعلها دائماً نصب أعينهم، واهتم بحفظ المتن، وضبط الأسانيد، والاطلاع على دواوين الحديث، حتى أصبحت ترد إليه أسانيد رواية الحديث لجميع العلماء المحدثين في تلك البلاد، فأصبحون عنه يروون، وإليه يسندون، فقام بتأسيس منهجاً جديداً يعنى بالحديث وعلم الحديث، حيث اختار تدريس الحديث على منهج العلماء المتقدمين الأوائل، رواية ودراية، وكان قد آتاه الله تعالى العديد من أسرار علم الحديث والتي وضع بعضها أو الكثير منها في كتابه حجة الله البالغة.

وسعى شاه ولي الله الدهلوي إلى إصلاح التصوف، وأنكر على الكثير من طرقهم، وشطحاتهم، ورد عليهم، ووقف أمامهم، ودحض الكثير من اعتقاداتهم، ونصحهم بالوقوف مع تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وعدم السير خلف مشايخ الطرق الضالين، الذين يخدعون الناس بالطلاسم وغيرها، ودلهم على معنى التزكية والزهد والتصوف الصحيح السليم الخالي من البدع والشطحات والخرافات. وساهم الدهلوي في عملية إصلاح الجمود الفقهي، والتعصب المذهبي، ودعاهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، واعتبارهما مصدر العقائد والفقه، وكان الشيخ الدهلوي يتمسك بالمذهب الحنفي، لأنه هو المذهب الذي كان منتشراً في تلك البلاد، إلا أنه كان يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالدليل، وتناول مسائل الاجتهاد والتقليد، وأصول التشريع الإسلامي، وكتب عدداً من المصنفات في هذا الجانب، مثل التفهيمات الإلهية، والإنصاف في سبب الاختلاف، وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، والمسوى والمصى شرعي الموطأ، وغيرها من المصنفات القيمة في هذا الجانب. ودعى المسلمين إلى عدم الوقوف خلف مذهب فقهي واحد، ودعا إلى أن لا تكون هذه المذاهب الفقهية أو المذهبية سبباً في فرقة المسلمين، بل ينبغي أن يكون هدفها تخفيفاً وتسهيلاً وتيسراً لهم لا تضيقاً وتشديداً عليهم. ودعا إلى ضرورة التسامح في المسائل الاجتهادية، وعدم جعلها سبباً للفرقة والقطيعة بين المسلمين، ودعا إلى محاولة التوفيق بين المذاهب بأن يكون مرجعهم جميعاً هو الكتاب والسنة.

اهتم حكيم الأمة شاه ولي الله الدهلوي بمسألة الخلافة، وكان يرى أنها الرياسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلق به من ترتيب الجيوش، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفع المظالم، وتحدث عن شروط الخليفة، وما يجب عليه من القيام بمصالح المسلمين، وتحدث عن الخلفاء الراشدين، وعن تاريخ المسلمين منذ ذلك الوقت إلى وقته الذي عاش فيه، وتحدث عن أن إقامة الخلافة وإثباتها أصل من أصول الإسلام. وتحدث عن أسباب انحطاط المجتمع الإسلامي بعد عصر الخلفاء الراشدين، وتحدث عن الفتن، وعن الأحكام المخصوصة بزمان الفتنة، وعن الأحاديث النبوية التي تتحدث عن أخبار آخر الزمان.

وتحدث عن رأيه من فرقة الشيعة، وقال: إن عقيدتهم تنافي عقيدة سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، ذلك أنهم يدعون حب آل البيت، ويسبون الصحابة، ويطعنون في نسائه عليه الصلاة والسلام، ويعتقدون بالإمام المعصوم، وهم باعتقادهم هذا ينكرون ختم النبوة، وإن كانوا يقولون بألستهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا شك أن جهود العلامة الدهلوي أكثر من هذا بكثير، ولكن هذا ما أمكنني الوقوف عليه في مثل هذا المقال، وخير الكلام ما قل ودل. هذا والله تعالى أعلم.

جامو وكشمير بين الأيام و التاريخ

200 سجاد أحمد الندوى

جغرافية جامو وكشمير:

اشتهرت جامو وكشمير عبر العالم بجمالها الطبيعي الرائع الخلاب وهي عبارة عن الجبال المتسلسلة السحاب ذات القمم المثلجة، والهضاب الساحرة، والغابات الكثيفة ذات أشجار الصنوبر الرائعة، والجداول الراقصة الصافية، مائها صفاء الثلج، والشلالات الزيارة المرعية، والأنهار الهدارة الهادئة، والعيون المتفجرة، والبحيرات المتعددة الحاضنة كثيرة من المائية، وأنواع كثيرة من الأشجار النادرة مثل الصفصاف والدلب والهور.

والجبال الرواسي تتكلم بالسماء وتقبلها والسماء كاسقف على الأرض والجبال أعمدته، فالسماء الزرقاء والأرض الخضراء والأنهار الجارية الصافية تكلم فضلاً عن إنسان فصيح اللسان وشاعر اللسان أو لسان شاعر.

إذا شاهد إنسان الحقول الخضراء والحدائق ذات زهور مختلفة الألوان، وتزقزق العصافير فيها، وتغرد الطيور بأصوات تتكلم بفطرة الإنسان وروحه، فإن هذه المشاهد والأصوات تنزل في القلوب كالأمطار من السماء في الأرض الجدية، فكلما كانت فطرة الإنسان عالية تأتي بشئ يفوق جميع جمال المادة، حتى أن الأرض الجدية تتفجر أنهاراً، وتنبت نباتاً.

لا شك أن الحياة الكشميرية وبما فيها من متع وزخارف وجمال طبيعي ومعالم جغرافية مميزة والآلام ومخاوف ومصائب ومتاعب ومشاكل إلى كل من الجهات لها صلة كبيرة بالوضع الإنساني الحاضر والدابر والعالم المعاصر والسياسة الخسيصة الهندية والباكستانية تعمل دائماً لإشباع رغباتهم المفترضة كما أن فيها دروساً عظيمة للعالم الإسلامي الذي يتهيا اليوم للوتوب والإنطلاق للتعويض عما فاتته عبر القرون الماضية المتلاحقة وأخذ يبصر نهاره الساطع وراء السحب الداكنة والدخان المتصاعد من الفتن والثورات والآلام والمشاكل وآثارها العميقة في نفوس الأجيال الكشميرية ولكن أحب أن أقول: إن الحياة الكشميرية على ما هي عليه منذ ثلاثين سنة ماضية ليست وليدة المصادفة ولا مفقودة النسب بل أنها قامت على أساس النوايا الغامضة والعزائم الخشية من قبل الحكومة الهندية والباكستانية ورجال السياسة المدمرة الخادعة التي حطموا إلى أن انتمت إلى جذور القضية التي وجوها ودلسوا تاريخها تدليساً كئيباً، ورثتها خلقياً وفكرياً ولها مقومات ونظريات خاصة لا يمكن إهمالها وإعراضها عنها كما فعل بعض زعماء الهند وباكستان والآن نحن على موقف الدراسة النقية والمعانات النفسية والذهنية.

لا شك في أن الصراع الطويل بين العلم والدين وبين السكان الكشميرية والسياسيين الهنود والباكستانيين دفع سكانها دفعاً قوياً إلى الأخذ بالأساليب المختلفة في حياتهم وأجبر على السكان أن يتخذوا وسائل عنيفة لا تحمي نفوس السياسيين الهنود والباكستانيين أيضاً، لأن هذا الصراع لا يمنح لسكان هذه الولاية أن يجدوا قوة يومهم بسهولة وإذا وقع الخلل بينهم وبين قوة يومهم على الأقل اضطروا إلى اتخاذ وسائل

200 باحث في قسم اللغة العربية بجامعة بركت الله بوبال

العنف الشديد والدوافع المهرقة المضنية وأظن أنهم على حق بعد تحمل المشاكل المتنوعة الباهظة التي كانت أقدر على طاقة تحملهم بل أنها قد حثتهم وحرضتهم وهيتهم للتفاني في سبيل مقاومة العداء الدائم وسد باب السياسة المتعصبة المليئة بالأحقاد القومية ضد أهالي الكشمير وسكانها للتخلص منها وللوصول إلى التحرير. وظلت هذه النزعة تنمي على مرّ من الأيام حتى آل بها الأمر إلى ما نراها عليها الآن في هذه المنطقة المتهبة المشتعلة المضطربة وليس كل ذلك طبيعياً وواقعياً لا محالة ولكن هيتها الأيدي التي لها أثرها البالغ في خلق جوا الحقد والضغينة والبغضاء ناسية حق الشعب الكشميري والوعود الخلافة عند تقسيم شبه القارة الهندية ومراعاته ونتيجة لذلك الظلم والغصب تدهورت الأوضاع والأحوال في المنطقة طامعة في استرداد الحقوق المختلفة من الأيدي الحقيقية، فاضطربت النفوس ووقع الاضطراب الهائج واختلط الحابل بالنابل وبدأت الحرب التي لا تنتهي كما تتجلى معالم هذه النكبات والكوارث والخراب والدمار في حياة ولاية جامو وكشمير منذ بدأ هذا الصراع الغاشم إلى اليوم.²⁰¹

كانت ولاية جامو وكشمير في بداية سنين القرن التاسع عشر منقسمة في الأقاليم الصغيرة المعروفة بـ"دوغرة ديس"، وكانت إمارة كل قرية على حدة وظلت ولايات وأقاليم كثيرة لا يأتي عليها الحصر ظاهرة وبارزة على صدر دوغرة ديس إلى القرون في الأوضاع المضطربة والطوائف الملوكية، كانت تغورها الأنهار والقنوات والغابات والقطارات الجبلية والعيون، وما كانت من القبائل قوية وتعمم رئيسها وزعيمها العمامة الكبيرة وأخذ بيده عصا طويلة والقرى الكثيرة تابعة له أصبح يقال له رئيساً لها حتى قامت الولاية باسمه ومن تلك الولايات المسيطرة من أمثال جامو وكشتوار، راجوري، بسوهلي، لكن معظم حكامها وأمرائها ورؤسائها كانوا جابرين وظالمين ومتعصبين بشعوبهم وأعداء لأجيالهم وما كان أحد منهم مؤثراً ولا له علاقة ولا رغبة في تكوين القوانين الحكومية حول ترشيد الأمن والأمان والسلام، وكان الناس في أقاليم دوغرة ديس البالغ عددها إلى 22 (اثنين وعشرين) يعذبون في أنواعاً من المصائب والآلام.

يكتب نرسنغ داس نرغس في كتابه "دوغره ديس" أن ولاية جامو وكشمير التي أسسها الأمير المعروف بـ"مهراجا غلاب سنغ في سنة 1846م كانت ممتدة إلى 84000 ميل مربع وتمت إتفاقية بين غلاب سنغ والإنجليز في 1846م وانضمت حسب هذه الاتفاقية التاريخية ما كان عدد من الولايات أكثر من إحدى عشرة ولاية، حدّها إلى "راوى" وهو نهر شهير في الولاية مثل كانفرا مندي وما إلى ذلك من الولايات، إلى المناطق الإنجليزية، إن المناطق المتوسطة للولايات هي بين نهر "راوى" و"جناب" وما كانت من وراء "جناب" إلى "بونج" من الأقاليم التي استقل بها غلاب سنغ كانت من حسن حظه مشتملة على جبال بائيس راجغان فقد وحد غلاب سنغ، جامو، باهو، سانبه، جسروته، منكوت، بدرواه، بسوهلي، كلنفور، بدرواه، جنيني، رياسي، أكنور، دليت فور، راجوري، بونج، كوتلي، ميرفور، بمبرو، كري كيرالي.

وحدها بقوة ساعديه وتديره لانظير له وأقام ولاية وسيدة باسم جامو وكشمير إنضم إلى لداخ بلتستان في 1842م وفي 1846م وادي كشمير إليها، وقد اعترفت حكومة لاهور السيخية والإنجليز بأن الأمير غلاب سنغ هو حاكم مستقل حرّ لولاية جامو وكشمير خلال هذه المدة بناءً على بلاط لاهور ووفق معاهدة الشركة الشرقية الهندية للاهور ومعاهدة أمرتسر، وكان شخصيته أول أمير متوج لولاية جامو وكشمير المتحدة في الهند شخصية

²⁰¹ .The Hindu: 23, Aug 1997.

فذة، فريداً وحيداً للقرن التاسع عشر في الهند وبسط نفوذه وارسى دعائم حكومته المستقلة الفذة النادرة بشجاعته وتملكه على السياسية على مناطق لم تكن مجتمعة على علم واحد أخيراً أصابت الأمير غلاب سنغ حُمى في 1857م، وساءت صحته يوماً فيوماً رغم مجهودات الأطباء الكبار المهرة المكثفة الطائلة وانتقل ذلك الإنسان المنفرد الممتاز إلى مستقره الأبدى الذي ظل طول حياته نموذجاً عملياً واضعاً كَفَنَهُ على كتفيه في معظم أموره ومهماته والذي رأى الموت عن كُثْبِ مرات وكرات بل أحبه كالعروس إلى أن انتقل إلى ذمة الله في سرينغر في أغسطس 1857م.²⁰²

وقرر بعد موت الأمير غلاب سنغ ابنه الثالث الأمير رنبير سنغ، بألقاب "Grand Commander of The Most Order of the star of India" حاكماً مطلقاً لولاية جامو وكشمير وكان شغوفاً ومولعاً بالعلم فقد أسس كثيراً من المدارس والكتاتيب.

وبعد استولى على العرش الملك برتاب سنغ (1885-1925م)، وتوقفت الأعمال المهرقة والجبرية بالرجال الذين كانوا بئسين كائنين في الحكومة السابقة، وفي عصره اتصلت السكك الحديدية براول بندي، وأسس الشارع BC في عصره ذلك، وأيضاً أسس الملك برتاب سنغ مشروع "مهاكهربائية". وبعد الملك برتاب سنغ عُيِّن هري سنغ (1925-1949م)، رئيس الوزراء وألزم على المواطنين التعليم الأساسي في عصره، وفتح المدارس حوالي 22728 فذاع التعليم الأساسي في جميع ضواحي المملكة وفي عصره سنة 1938م، أفتتحت البنوك أيضاً.²⁰³ رسالة جواهر لال نهرو:

في برقية بعث بها نهرو إلى رئيس وزراء بريطانيا بتاريخ 1947/10/25م: "أن كشمير- كما تعلمون - تربط من الناحية الشمالية بحدود مشتركة مع ثلاث دول هي أفغانستان، والاتحاد السوفيتي والصين" وهو ما يجعل أمن جامو وكشمير أمراً حيويّاً لأمن الهند خاصة وأن الحدود الجنوبية الكشميرية مشتركة مع الهند وباكستان فمساعدة مہرجا جامو وكشمير إذن واجب يمثل مصلحة قومية للهند" أن ولاية جامو وكشمير منطقة حيوية بالنسبة لأمنها نظراً لأن الطريقين الرئيسيين وشبكة السكة الحديدية في شمال شرق بجانب تجري محاذية لكشمير لذا فإن احتلال الهند لولاية جامو وكشمير يشمل تهديداً مباشراً لباكستان وخاصة أن فيها ثلاثة أنهار تعتبر المغذي الرئيسي للنظام الزراعي في باكستان تصب كلها من ولاية جامو وكشمير، وقد لفت الأستاذ ظفر الله خان وزير خارجية باكستان إلى هذه الأهمية في قوله: "إن إلحاق ولاية جامو وكشمير بالهند لا يمكن أن يضيف شيئاً كثيراً إلى اقتصاد الهند أو أمنها الاستراتيجي، بينما يمثل أمراً حيويّاً لباكستان فإذا ما انضمت الولاية إلى الهند فإن باكستان سواء من الجانب الاستراتيجي أو الاقتصادي إما أن تصبح جزءاً خاضعاً لسلطة الهند أو ينقي وجودها كدولة ذات سيادة مستقلة".²⁰⁴

وبعيداً عن هذه التعليقات السياسية والاستراتيجية للقضية فإن المحرك الرئيسي لسياسات أطراف النزاع يكمن في "صراع النظريات" الذي نشب بين نظرية الشعب الواحد ونظرية الشعبين وهو ما عبر عنه نهرو

[٣] تاريخ دوغراديس 108 3`

203203203203203203203203203203203

.History Of Kashmir (upto 1947) p: 244. Raghunath Rai.

204 مجلة السياسية الدولية- العدد- 108..

بصراحة حينما قال: "إن الأمر لا يتعلق بولاية جامو وكشمير بل بصراع أعمق من ذلك بكثير يقف في العلاقات الباكستانية- الهندية ويجعل الوضع خطيراً جداً فنحن لا نستطيع أن نتجلى عن أهدافنا الأساسية التي حملناها طويلاً والتي تعتبر أساس دولتنا".²⁰⁵

يعود تاريخ القضية الكشميرية إلى أكتوبر 1947م عندما قامت الهند بإنزال قواتها في الولاية تاركة وناسية أساس تقسيم شبه القارة الهندية ومنتخدة من الوثيقة المزورة باسم الملك للولاية آنذاك "هري سينغ" مبرراً لاجتياح الولاية وضمتها بالقوة على الرغم من أن هذا الضم الإجباري يخالف قرار تقسيم شبه قارة جنوب آسيا الذي أقرته الهند وباكستان وقام على أساس فكرة "الأميتين" وهو ما يعني أن المسلمين في شبه القارة الهندية ليسوا جزءاً من القومية والحضارة الهندوسية وإنما أمة مستقلة بذاتها لم تبين على أساس جغرافية وإنما على العقيدة الإسلامية.

وطبقاً لهذه الفكرة جاءت تقسيم شبه القارة الهندية الذي نص على أن المناطق والولاية ذات الأغلبية المسلمة ستكون ضمن إطار الدولة الباكستانية فيما ستضم الولايات والمناطق ذات الأغلبية الهندوسية للدولة الهندية التي ستقام على أسس علمانية، حيث أنها ستضم طوائف وديانات أخرى وعلى هذا الأساس قام المسلمون الذين يقطنون الولاية ذات الأغلبية الهندوسية بالهجرة إلى موطنهم الجديد وتعرضوا خلال سفرهم وتنقلهم إلى محن ومأسن كثيرة وكان أخطر المذابح التي تلقوها على أيدي الهندوس والأسياخ في طريقهم إلى باكستان، ولكي نقف على الأبعاد والتطورات الحقيقية لقضية كشمير لا بد من الوقوف على تاريخها القديم والحديث وجذروا الصراع والجهود السلمية المبذولة من قبل الدولة المعينة والموقف الدولي إزاء تلك القضية المتجددة ومبادئ القضية وآفاق التسوية.

وفي 17 تموز 1947م أصدرت البرلمان البريطاني في قانون استقلال الهند الذي أنهي الحكم البريطاني لها وتم تنفيذ القرار في 15 آب من العام نفسه وترك لمئات من الإمارات والولايات حق الاختيار بينهما غير أن ثلاث إمارات لم تتخذ قراراً بهذا الشأن هي حيدرآباد وجونا غار جامو وكشمير ثم قرر حاكم جونا غار المسلم أن ينضم إلى باكستان رغم وجود أغلبية هندوسية في الإمارة وأمام معارضة هذه الأغلبية لقرار الحاكم دخلت القوات الهندية الإمارة مبررة تدخلها بأن سكان الإمارة هم من الهندوس وبالتالي لا يجوز لحاكمها الانضمام إلى باكستان طبقاً للمبادئ التقسيم وأجرت استفتاء انتهت بانضمامها إلى الهند وحدث الشيء نفسه في ولاية حيدرآباد حيث أراد حاكمها المسلم أن يظل مستقلاً بإمارته ولم تقره الأغلبية الهندوسية في الولاية على هذا الاتجاه فتدخلت القوات الهندية في 13 أيلول 1947م، ما جعلها ترضخ للانضمام إلى الهند.

وتبقي ولاية جامو وكشمير وهي الولاية الثالثة التي كانت في وضع مختلف فغالبية سكانها من المسلمين وحاكمها الهندوسي المهراجا هري سينغ حاول أن يؤجل قراره ولكن التوتر كان يزداد وتعرض لضغوط كبيرة من الهند اضطرتة أخيراً إلى أن يوقع صك الانضمام في تشرين الأول 1947م متجاهلاً أغلبية المسلمة في الانضمام إلى باكستان وبالتالي القواعد البريطانية السابقة في التقسيم، لقد أثار قرار "المهراجا" اضطرابات أهلية فأرسلت الهند جيشاً إلى ولاية جامو وكشمير وكان هذا العمل نقطة التحول لبداية هذه القضية الخطيرة التي ارتكبتها وبدأتها الحكومة الهندية يعني أنها وضعت بنفسها قاعدة لحل مشكلة هذه الولايات الثلاثة ونقضتها بنفسها

²⁰⁵ نفس المصدر.

وابتلعت الحلو بشره عجيب وبصقت المربقد غريب، إن لم تتركها لم يكن الأمر على ما هو عليه الآن ولكنها اقترفت هذا الذنب العظيم فلذا بدأت الأمور تتعقد وتتجدد فحصلت بينها وبين الكشميريين والجنود الباكستانيين مواجهات أسفرت عن احتلال الهند لثلاثي الولاية وتدخلت الأمم المتحدة في النزاع وأصدر مجلس الأمن قراراً في 13 آب 1947م ينص على وقف إطلاق النار وإجراء استفتاء الإقليم ولكن هذا القرار لم يعمل به وأخيراً وبناء على اقتراح تقدمت به الأمم المتحدة لتقسيم الولاية على طول خط وقف النار العام 1949م ولا تزال الأمم المتحدة تراقبه وذلك بالرغم من القرارات التي صدرت عنها عام 1950م ثم في عام 1951م والتي تنص على حرية مصير الشعب الكشميري وسيحدد مستقبل شعب جامو وكشمير لرغبات السكان والمواطنين بإجراءات استفتاء عام تحت عام رعاية الأمم المتحدة.

ومن جانبها حاولت الهند أن تمتص الضغوطات التي كانت تمارس عليها فأقرت في الدستور الهندي عام 1950م بما يسمح لجامو وكشمير بحكم ذاتي أوسع من غيرها من الولايات الهندية ولكن هذا لم يتحقق فعلاً بالرغم من تعهد زعماء الهند الأوائل وعلى رأسهم رئيس الوزراء الراحل جواهر لال نهرو في أكثر من مناسبة بحق شعب ولاية جامو وكشمير في تقرير مصيره كان أبرزها خطابة في 2 كانون الثاني 1952م الذي قال فيه: "إذا قال شعب إقليم جامو وكشمير بعد إجراء استفتاء عام لا نريد أن نكون مع الهند فإننا سنقبله على رغم ما قد يسببه لنا من ألم ولن نرسل أي جيش ضده أو سنقبل ذلك مهما ألمنا وسنغير الدستور إذا قضي الأمر" إلا أن أياً من هذه القرارات الدولية أو التعهدات الهندية لم تنفذ طوال أكثر من ستة وستين عاماً، وفي السنوات الواقعة ما بين 1947م و1965م كانت الهند تمارس سياسة داخلية تجاه سكان الولاية ما جعلهم يصابون بخيبات كثيرة، لاسيما أن نيو دلهي أخلت بوعودها بإجراء انتخابات حرة ونزيمية حيث أنها قامت بعملية تزوير واسعة لضمان وصول حكومة مؤيدة في جامو وكشمير أضف إلى ذلك إخلالها بالوعد الذي قطعتة نيو دلهي للزعيم السياسي الشيخ محمد عبد الله قبل أربعة عقود في الإستقلال الذاتي مقابل موافقته لدعم احتفاظ الهند بكشمير ولكن هذا الوعد لم ينجز الآن.

حرب 1965م:

وعاد التوتر مجدداً بين الدولتين في العام 1965م حيث حاول الرئيس الباكستاني آنذاك دعماً للمقاتلين الكشميريين لكن الأحداث خرجت عن نطاق السيطرة وتابعت الأحداث بصورة دامية لتأخذ كل قتال مسلح بين الطرفين على طول الحدود واستمر الصراع لمدة 17 يوماً والتي لم يحقق فيها أي من الطرفين نصراً حاسماً وانتهت الجهود الدولية بعقد معاهدة وقف إطلاق النار بين الجانبين في الثالث والعشرين من أيلول فحاولت الأمم المتحدة التدخل بقوة لإيقاف الحرب بين الطرفين وعقد في طاشقند مؤتمر للمصالحة بين الدولتين في قانون الثاني لعام 1966م، أفضي إلى تأجيل مناقشة قضية جامو وكشمير إلى وقت آخر ولكن توفي رئيس الوزراء الهندي شاستري مفاجأة أثناء رحلة في تاشقند انتهي المؤتمر إلى الفشل.

حرب 1971م:

لكن الإيقاف لم يلبث طويلاً بل عاد مجدداً بين الهند وباكستان في 1971م على باكستان الشرقية "بنغلاديش" في محاولة إنفصالية واستطاعت الهند أن تحقق نصراً حاسماً على باكستان تمحض عنه قيام بنغلاديش في باكستان الشرقية الأمر الذي أدى إلى حصول تغيرات جوهرية في نمطية التفكير الاستراتيجي

العسكري الباكستاني والهندي على حد سواء بدأت الدولتين المحاوره إثر ذلك مفاوضات سليمة اطلقت عليها "اتفاقية شملة" في تموز 1972م، اعترفت فيها الدولتان بأن "جامو وكشمير" هي منطقة محتلة عليها واتفقتا على احترام خط التحكيم القائم على حدود ولاية جامو وكشمير إلى أن يتم التوصل تسوية نهائية. انتفاضة 1989م:

اندلعت انتفاضة مسلحة في ولاية جامو وكشمير على إثر الانتخابات 1987م لعبت بنتائجها على نطاق واسع ومنعت "الجبهة الإسلامية المتحدة" التي كانت تتمتع بشعبية واضحة من تحقيق الفوز بالوسائل الديمقراطية فاحتج هؤلاء الشعبيون على التزوير في الانتخابات الذي دفع السلطات الهندية إلى اعتقالهم فقررروا في اجتماع داخل سجن سرينغر في نيسان 1987م انتهاج سبيل الكفاح المسلح، حاولت الهند تحطم الانتفاضة من مشمولاتها وباكستان بأنها هي المحركة الأساسية لهذه الانتفاضة ولكن هذه المزاعم دحضت من قبل المراقبين الأجانب والصحافيين الهنود الذين تحدثوا عن الدوافع التي أدت إلى الانتفاضة ولكن الاعتراف الأهم جاء من وزير الدفاع الهندي الذي حسم هذا الجدل وأزال كل ما من شأنه أن يشكك من دوافع الانتفاضة الداخلية وذلك في محاضرة له ألقاها في جامعة هارورث في الولايات المتحدة عام 1991م حين قال: "هناك اعتقاد الواسع النطاق بأن أيادي خارجية تقف وراء أحداث ولاية جامو وكشمير كل مرة بالإشارة إلى باكستان باعتبارها المسؤولة عما يحدث لكنني أعتقد أن التدخل للأيدي الخارجية في قضية هذه الولاية، فنحن أي الهنود الذين ضعنونا مشكلة لولاية جامو وكشمير وإذا جعل الآخرون ينتفعون من الوضع فلا اعتقد أنه يجب أن نصنع من هذا الأمر قضية تشغل البال".

دوافع الانتفاضة:

يعود سبب اندلاع الانتفاضة إلى دوافع عديدة لعل من أهمها:

. حرمان الحكومات الهندية شعب جامو وكشمير من أية مشاركة سياسية وذلك بتنصيب حكومات عاجزة مثل حكومة شيخ عبد الله التي تسمي بالحزب القومي ومن طريق التلاعب بنتائج الانتخابات وهذا الشعور بالحرمان السياسي كان عاملاً أساسياً في إشعال فتيل الأزمة في العام 1989م.

. الممارسات التعسفية والتعسفية الهندية بحق شعب كشمير والإخلال بالعهود والمواثيق التي تعهدت بها الحكومات المتعاقبة فألغت العمل بقانون الحكم الذاتي لشعب جامو وكشمير الذي أصدره الدستور الهندي في مادته 370، والذي لم يكن نتاجاً هندياً ذاتياً بل أقرته تحت وطأة الضغوط بهدف تهدئة الأوضاع في الولاية في الفترة الساخنة التي تلت قرار ضم ولاية جامو وكشمير بالقوة ولذلك حاولت الهند التملص منه وإقضاء عليه أنها مارست ضغوطاً على القيادات الكشميرية بتفويض الحكمة المركزية في نيو دلهي كثيراً من الصلاحيات التي تمنحها هذه المادة لحكام الولاية مثل حق التمتع بدستور خاص وانتخاب رئيس الوزراء، فسلبت بذلك كل الصلاحيات التي كانت من حق المجلس الدستوري الكشميري مثل حقوق المواطنة والحقوق السياسية وسلطة المحكمة العليا وتقسيم السلطة.

اقامت الهند بممارسة عميقة بحق شعب ولاية جامو وكشمير وانتهاك حقوق الإنسان حيث أصدرت مؤسسات حقوق الإنسان الدولية من جرائم الحرب التي ارتكبتها القوات الهندية في هذه الولاية المحتلة والتي ترابط في جامو وكشمير ويتجاوز عددها 500 ألف جندي، يشكلون حوالى نصف الجيش الهندي.

تتابع الهند في ولاية جامو وكشمير سياسة اقتصادية اتخذت مساوات غير متكافئة تنتج منها ارتفاع معدلات البطالة بين سكان الولاية هي ما اعترف به جورج فرناديز في محاضراته عن قضية جامو وكشمير حين قال: "إن مشكلات الكشميريين تنبع أساساً من ضعف النمو الاقتصادي الذي أعاقه الفساد والرشاوي ويمكن ذلك في معدل البطالة المرتفعة والأهم من ذلك غياب انتخابات حرة ونزيهة"، والحجر في سبيل الأوضاع الاقتصادية على رغم من أن الغالبية المسلمة تصل نسبتها لأكثر من 70/ في المائة إن نسبته 57، 3 في المائة من الوظائف العليا تمنح لغير المسلمين- اعتمدت الهند سياسة دينية وثقافية متعالية غلبت فيها المعايير والقيم الهندوسية على القيم الإسلامية حيث أنها قامت بتغيير المناهج الدراسية وإلغاء تدريس اللغتين العربية والفارسية وتشويه التاريخ الإسلامي وإيقاف تدريس القرآن الكريم ما ترك أثراً سلبياً عميقاً في نفوس المسلمين، فانهارت نظرية "الشعب الواحد" وأدركت العلماء والرجال المتحمسون في الولاية خطورة هذه السياسة وأثرها المدمر في نشئ جيل جديد فقاموا بإنشاء مئات المدارس الدينية ولكن الحومة الهندية ما لبثت أن منعت هذه المدارس من القيام بنشاطاتها في العام 1983م لوقف هذا المد الإسلامي وأصبحت القضية تُذيع في العالم للحصول على الاستقلال أو الاندماج مع باكستان بل تحركتها أيضاً دوافع سياسية وعلائق جغرافية وحضارية حتى تغلغت في نفوس الشباب في الولاية.

الهوامش

- 1. مشكلة كشمير احتمالات النزاع المسلح، جمال الدين محمد على، مجلة السياسية الدولية، العدد: 108.
- 2. النزاع الهندي وباكستاني حول إقليم كشمير، باهر السعيد، العدد 107، يناير عام 1992م.
- 3. كشمير 4 عام بانتظار تقرير المصير، حسن أمين، مجلة العام اللندنية، العدد 12، 13، 313، عام 1990م.
- 4. أمثال كشمير، للدكتور محمد مظفر حسين الندوي، بيت الحكمة الندوية شاهمدان كالوني عيدكاه بسرينغر 2004م.
- 5. History of Jammu and Kashmir. (upto 1947) Raghunath Rai.
- 6. تاريخ دوغره ديس، نرسنغ داس نرغس، مطبع جاند بريس جمو، طبع يناير عام 1947م.
- 7. شيخ محمد عبد الله، آتش جنار، على محمد ايند سنز سرينغر 1985م.
- 8. رشيد تائير، تحريك حریت كشمير، ج/3، محافظ بليكيشن سرينغر.
- 9. محمد غوث جوهان، جمو كي يادين، لاهور 2003م.
- 10. بي جي رسول، كشمير 1947م مملكت كي أخري دن، كشمير بك فاؤنديشن سرينغر 2001م.
- 11. ماهنامة، شبستان "شيخ محمد عبد الله نمبر نئ دهلي 1967م.
- 12. ماهنامة، شمس بري، دسمبر 1994م شمس بري بليكيشن سرينغر.
- 13. محمد مقبول ساحل تنازعه كشمير تاريخ كي آينه مين، وطن بليكيشن 2001م.
- 14. بي جي رسول، مسئلة كشمير كي تاريخي اصليت، على محمد ايند سنز 2013م.

مساهمة مشاهير الهند و أعلامها في تطوير اللغة العربية وآدابها

الدكتور منور حسين الندوي

تعتبر الهند منذ آلاف السنين مركز إشعاع علمي وثقافي حيث كان يدرس بها الفلسفة والدين والطب والأدب والفلك والرياضيات وعلم الاجتماع وغيرها ، كما تلعب الهند دورا بارزا في تنمية اللغة العربية وتطويرها منذ طلوع نورالإسلام على أفق بلاد الهند و سماءها ، ومنذ استقرار الثقافة الإسلامية بشكل رسمي في الأرجاء الهندية. وليس ثمة شك أن اللغة العربية موضع احترام وتقدير لدى مسلمي الهند، كما أنهم تأثروا تأثرا بالغا بأنماط الحياة العربية، فمنهم يشكلون وحدة حضارة مستقلة لها تستمد مكوناتها من التراث العربي الأصيل ومن الحضارة الهندية العتيقة، ولهم أيضا إسهامات جمة في جميع مجالات الحياة الهندية كما لهم نشاطات ملموسة في إثراء التراث العربي والإسلامي منذ استخدام اللغة العربية في الهند من الأيام الأولى للفتح الإسلامي للسند ذلك في عام 89هـ الموافق 708م.

وتعد الهند اليوم من المراكز الرئيسية الثقافية العربية والإسلامية في العالم ، إذ تضم مئات المعاهد والمدارس التي تقوم بتعليم اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية وتراثها ، هذا إلى جانب الجامعات الحكومية والمؤسسات الرسمية العديدة التي تعني بالبحوث الإسلامية في شتى جنوبها.

ونفض من أرض الهند على مر العصور أدباء وشعراء وعلماء عرفوا بفصاحة اللسان العربي المبين وخرج منها صفوة من العلماء لفيف من رجال الفكر والعلم الذين أدوا أدوارا رائعة في مجال التصنيف والتأليف في هذه اللغة الجميلة وتراكوا آثارا خالدة على تاريخ الأدب العربي والثقافة الإسلامية العامة في العالم الإسلامي عامة في بلاد الهند خاصة.

أما رغبة مسلمي الهند في تعلم اللغة العربية فإنها كان باعثة قراءة القرآن الكريم قراءة جيدة، وفهم معانيه بصورة واضحة ، وفهم الحديث الشريف أيضا حيث دونت أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أفصح الفصحاء.

وكذلك إن اللغة العربية التي حملت لواء العلوم والفنون الدينية والتطبيقية وفيها جل كتب التراث الإسلامي ، وفيها معظم المعارف والعلوم ، وبها كتبت أبلغ الرسائل وأروق المكاتبات وفيها سجل أدب رفيع المستوى لأنها لغة الحضارة العالمية من قرون عديدة فهي خازنة ثقافة العرب وحكمة الهند وحضارة الفرس وفلسفة اليونان. ونظرا لهذه الأهمية اعتنى علماء الهند وأدباؤها في جميع أنحاءها باللغة العربية وآدابها عناية فائقة ، وبذلوا جهودا معينة في تعلمها وتدريسها.

ولهذا اهتم علماء الهند بنشأة هذه اللغة الفصيحة اهتماما كبيرا وانفقوا كل ما كانوا يملكونه من مواهب وكفاءات في تطويرها ونهضتها حيث قاموا بإسهامات كبرى في تنشئتها عبرالعصور والدهور وهذه حقيقة ناصحة.(1)

وقد أنجبت الهند عددا كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء الذين ساهموا في إثراء اللغة العربية والأدب العربي وخلفوا آثارا مجدية نافعة ، وهنا أحاول أن أذكر بالإيجاز سير بعض مشاهير الهند ومؤلفاتهم التي ادت دورا حيويا في هذا المجال.

ولكنني لم يكن لي أن استوعب جميعهم وإنما كان الغرض الإيماء والإشارة لبعض مشاهير من أدباء اللغة العربية وعلمائها في النهدي الذين كتبوا باللغة العربية بأسلوب عربي مبين.

ومن هؤلاء النوايغ والقلائل الذين أنجبهم الهند ممن يحملون لواء المعرفة الإسلامية والثقافة العربية في شبه القارة الهندية وهي عبقرية الإمام الدهلوي تتجلى مواهبه وعطائه في شتى مجالات الثقافة الإسلامية والعربية حيث شهد التاريخ أنه أصبح رمزا لتغير مجرى الأحداث في مجال العلم والمعرفة.

وهو شيخ الإسلام حكيم الأمة الإسلامية حجة الأنام مسند الهند قطب الدين أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي العمري . ولد في الرابع من شوال عام 1702م ببلدة "فلت" الواقعة على مسافة من دلهي بمقاطعة مظفرنغر، وكانت أسرته عريقة في العلوم والتقوى ، واشتغل كثير من أجدادهم بالقضاء والإفتاء والتدريس أيام حكم المسلمين في الهند، وكان والده الشيخ عبدالرحيم من ضمن العلماء الذين رتبوا الفتاوى الهندية حسب طلب من السلطان اورنغزيب عالمغير. هو الذي أسس في دلهي المدرسة الرحيمية التي ظلت منارة العلم والهدى زمنا طويلا حيث كرس حياته لنشر العلوم الدينية والثقافة العربية ، أما شاه ولي الله الدهلوي فهو من أعظم عالم ومفكر، وأبرز مجدد عرفته الهند بل هو في اعداد الأئمة المجتهدين والمجدين الكبار في تاريخ الإسلام ، وكان من الشخصيات الرائدة في القرن الثاني عشر الهجري لا في الهند فحسب، بل في العالم الإسلامي كله ، فقد كان مفسرا ومحدثا وفقها ومتكلما وأديبا وشاعرا في العربية والفارسية على حد سواء، وإنه طالع بنفسه كتب الأدب العربي فتوسعت آفاق معرفته، ونضج إدراكه كاملا حيث كتب النثر والنظم ذات المستوى الرفيع الذي كان مثالا لسلامة البيان وحلاوة العبارات وأيضا يتدبر كتاب الله عزوجل والتفكر في معانيه.

وكان الإمام الدهلوي شاعرا عربيا مجيدا، فيبدأ من شاعريته بالعربي كأنما الإعجاز أو السحر في رقة اللفظ ومعناه وصفاء المورد ومعناه.

أما المزايا الأسلوبية فهي المدهشة التي نلقاها لدى الإمام الدهلوي والتي استقر عليها الأسلوب العلمي الرزين بعد عصر النهضة العربية الحديثة التي حققها أدباء العرب من أمثال جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده، والرفاعة الطهطاوي، والشيخ رشيد رضا المصري وغيرهم. ويجعل الإمام شاه ولي الله مساهمته القيمة ذات أهمية قصوى في اللغة العربية وآدابها في الهند بأبلغ أسلوب وأفصح عبارة حيث أعاد إلى اللغة العربية رونقها وصفائها وحيويتها وقوتها في التعبير والبيان بعد أن تكبدت من الخسائر على أيدي المتلاعبين والعابثين، وكان الشيخ ولي الله الدهلوي علامة عصره وإماما للمجتهدين ، وترك وراثة مؤلفاته الفخمة وروائع أدبية وأشعاره في اللغة العربية.

ومن أشهر مشاهير شبه القارة الهندية وأعلام الأدب العربي وأعظم عظمائه في الهند عبقرية كانت معروفة لدى رجال الدين والمعرفة وفي الأدب العربي الهندي وله إسهامات قيمة في شتى المجالات. فإنه ما كان فقيها ومحدثا فحسب بل كان أديبا بارعا أيضا فهو العلامة صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد على الحسيني البخاري القنوجي ولد سنة 1248هـ في مدينة بانس بريلي بالهند . توفي أبوه وهو في السادسة من عصره فصار في حضن أمه يتيما فقيرا حيث ربي في بيئة صالحة متمسكة شديدة التمسك بالكتاب والسنة وكانت أمه مشفقة دينية مدبرة تملك ملكة نادرة في تربية الأطفال فسهرت على نشأته وتربيته، ووجهته توجيها إسلاميا قويا.(3)

وكان صديق حسن خان فاز على مكانة عالية في اللغة العربية وآدابها، فقد برع في علم اللغة وأصولها على وجه الخاص ويشهد على براعته اللغوية ما تناول في تفسير الشهير "فتح البيان في بيان مقاصد القرآن" من المباحث اللغوية ومما يدل على تذوقه الأدبي ما نراه من حسن اختياره، ومؤلفاته الأخرى ومن أوضع الشواهد على براعته الأدبية واللغوية منها "البلغة في أصول اللغة" وهذا الكتاب من مهم الكتب في الأدب العربي جمع فيه أصول اللغة ومبادئها ثم ألقى الضوء على رواية اللغة وصيغتها، ومنها العلم "الخفاق في علم الاشتقاق" هذا الكتاب وحيد من حيث نوعه ما سبقه أحد في هذا المجال بحيث قام النواب صديق حسن خان رحم الله ببيان معنى الاشتقاق ومدلوله، ثم أوضح الفروق بين علم اللغة ولاشتقاق وعلم الصرف لكي لا تختلط هذه الأنواع علم المتعلم.

وإن هذا الكتاب القيم لا يوجد مثيله في فن الاشتقاق ومدلوله وهذا برهان على مهارة المؤلف في اللغة والأدب. وكذلك تأليفه الآخر "عض البان مورك لمحسنات البيان" موضوع هذا الكتاب علم البيان ولكنه شرع الكتاب ميراث اللغة العربية وخصائصها ثم شرع معنى الأدب ومدلوله، وحيث رأى المؤلف أن علم البديع فرع من علم البيان والعلوم اللغوية لأنه يبحث في الألفاظ والمعاني التي تحملها.

والكتاب "لف القمط على تصحيح ما استعمله العامة من العربية والدخيل والمولد والأغلاط" هذا التصنيف المهم دليل بين على احاطة المؤلف باللغة العربية علما، وقد صحح فيه الكاتب الأغلاط اللغوية التي يرتكها عوام الناس وخواصهم في استعمال الألفاظ المعربة والدخيلة. وكما بين بصراحة في مقدمة الكتاب أنه لما لاحظ علماء وقته يخطئون أخطاء نحويا ولغويا في كتابتهم العربية رأى من الضروري أن يضع هذا الكتاب قصد تعميم الاستعمالات الصحيحة للألفاظ والعبارات العربية التي كثرت فيها الأغلاط بين الطلبة والعلماء. وإسهامه الرئيسي في هذا الكتاب أنه جمع فيه جنبا إلى جنب إلى مع ملاحظة اللغوية وفوائد وشتى هامة من مؤلفات المشاهير من اللغويين العرب.(4)

وكان العلامة صديق حسن خان شديد الإقبال على الكتابة والتأليف وقد ترك خلفه مئات من الكتب في الفنون المختلفة، والمستحيل هنا سرد جميع أسماء الكتب وهذا أشرت إلى بعض كتبه الشهيرة التي ادت دورا رائدا في تطوير اللغة العربية وآدابها في الهند خاصة.

وأما أسلوبه العربي فهو مليئ بالتسلية والمتعة لا يشعر القارئ بالملل والسأم بل يشترك في قرأته مع أنه لم يكن من أبناء اللغة العربية لكنه أجادها إجادة أهله للكتابة بنفس الأسلوب الجزل القوي كأبناء اللغة العربية، فكان لا يلجأ إلى الإسهاب والإطناب وسرد المترادفات لتزويق العبارة وتشديقها، وهنا بعض النماذج من أسلوبه البليغ حينما بين الفروق بين علم اللغة والاشتقاق والصرف حيث يقول: "إذا عرفت هذا فاعلم أن الناظر في علم اللغة إن نظر إليه لقصد الإطلاع على معاني الألفاظ الموضوعات المستعملة في لسان العرب من غير نظر إلى جهة جامعة لجملة من الألفاظ فهو طالب الإشتقاق الخ.

وأخيرا نقول قد أثرى العلامة صديق حسن خان المكتبة العربية إثراء لا يصل إليه غيره ويستفيد من مؤلفاته إلى الوقت الراهن المشتغلون باللغة العربية والعلوم الإسلامية. وكان حاد الذكاء سريع الفهم كريم الخلق سمع الطباع غزير العلم وافر الانتاج، فالأمة رهينة لفضله في هذا المجال.

ومنهم الشيخ العالم الكبير العلامة غلام على بن نوح الحسيني البلغرامي وهو أحد العلماء المشهورين لم يكن له نظير في النحو واللغة والشعر والبديع والتاريخ والسير والأنساب . وولد العلامة غلام على ببلغرام عام 1116م ونشأ في مهد العلم والفضل حيث تلقى العلوم على السيد طفيل محمد وأخذ اللغة والحديث والسير عن جده ، وأخذ علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض من خاله محمد بن عبد الجليل وبعد ذلك رحل إلى الحجاز فحج وزار الحرمين الشريفين وقرأ بالمدينة المنورة صحيح البخاري على الشيخ محمد السندي وأخذ عنه فوائد كثيرة ، وكان العلامة غلام على آزاد بلغرامي مولعا بتعلم اللغات حيث له معرفة تامة باللغات العربية والفارسية والهندية والسانسكريتية ، وأتقن في قواعدها وأصولها وآدابها وكان يعرف أصول البلاغة والعروض والبديع لهذه اللغات ، وكان هو شاعرا بارعا وكاتباً ماهراً في علوم اللغة والعروض حيث ألف الدواوين في اللغة العربية وأحرز قصب السبق في قرض الأبيات العربية حتى لقب بحسان الهند، وأظهر قدرته في النثر وجمع أحوال الشعراء والأدباء والمؤلفين الذين تفتخر بهم الهند وقد كتب كثيراً على سير وتراجم رجال الدين وسرد أحوالهم وخدماتهم العلمية القيمة. وقد قام العلامة غلام على آزاد بتحليل أشعار الشعراء تحليلاً أدبياً وفنياً وأشار إلى ما فيها من المحسنات والتلميحات كأي ناقد وشارح بالإضافة إلى المناقشة عن آراء العلماء الفلسفية والكلامية والمنطقية وأيدى رأيه السديد في القضايا الفلسفية. وهذا يدل على مهارته في علوم المنطق والفلسفة.(5)

وخلف هذا الأديب البار وراه قائمة من مؤلفاته باللغة العربية ومن أشهرها "ضوء الداراي شرح صحيح البخاري" و"تسليّة الفؤاد وشفاء العليل" و"غزلان الهند".

وأما إسهاماته في الشعر فكان العلامة غلام على يملك قدرة تامة على الشعر العربي ويقدر على أن يجعل كلامه شعراً ولهذا كان يعد من أكبر شعراء اللغة العربية في الهند وكان حفظ حظاً وافراً من الأشعار لشعراء العرب من الجاهليين والإسلاميين والعباسيين محاولاً أن يحاكي أساليبهم في الأغراض الشعرية حيث أصدر سبعة دواوين وسميت بالسبعة السيارة وكتب كتاباً شهيراً ذات أهمية كبرى لدى الباحثين. باللغة العربية وآدابها ، ونال هذا الكتاب تقديراً عظيماً في الأوساط العلمية والأدبية وهي "سبحة المرجان في آثار هندوستان وهذا أشعر كتب للعلامة آزاد بلغرامي ودليل واضح على مهارته في التاريخ والتراجم والبلاغة وبراعته في الفنون الشعرية بحث فيه الكاتب قضايا الحب والعشق ، وكانت له حيازة السبق ومهارة تامة في الموضوعات والقضايا التي عالجها في هذا الكتاب بحيث لانجد أي كاتب أوعالم في العرب والعجم مثله ، حيث أثبت هذا الأديب البار تفوقه لا في علوم التاريخ والترجمة والبلاغة فقط بل أثبت إتقانه في قضية العشق والحب والنساء وفي مجال الشعر والنثر العربي . ويتسم أسلوبه بجودة بيانية وعذوبة شعرية استخدم في عبارته لغة سهلة ميسورة ساذجة ولكنها بليغة أنيقة رضية، وقد أبعد نفسه عن استخدام الألفاظ الغريبة والتراكيب المثقلة. ويدل نثره على ثقافته الواسعة ومهارته التامة في انتخاب الألفاظ المناسبة لأفكاره الرفيعة ومعانيه السامية وقد اقتبس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في عباراته.

فخلاصة القول: كانت شخصية غلام على آزاد بلغرامي عبقرية موسوعية فذة عديمة النظير، وقام بدور بارز في مجال الأدب والشعر بقلمه السيل وذكائه الوقاد وقدرته الشعرية الجامعية في العالم العربي عامة وفي بلاد الهند خاصة.(6)

ومنهم الشريف العلامة عبدالحى فخرالدين ينتمى نسبه إلى علي بن أبي طالب ، وولد العلامة برائى بريلى لكناؤ فى عام 1286هـ و نشاء منذ طفولته على حب العلم والمطالعة والولع بالكتابة والإنشاء والتأليف وسرعان ما أصبح قادرا على الجمع بين الدين والذوق والأدبى وفهم الشعر العربى ونقده ورقة الشعور وتذوق الجمال فى الأدب والشعر وفى المعانى والخيال ، و حياة السيد عبد الحى حافلة خصبة متنوعة العطاء ممتدة الجذور والأعماق ، فانطلاقا من هذا الشعور توجه العلامة إلى خدمة العلم والأدب وقضى جل أوقاته فى مطالعة الكتب وتأليفها.

وتبرع فى العلوم والفنون حتى أصبح بارعا فى اللغة العربية وآدابها وعكف بوجه أخص على قراءة تاريخ الهند العلمى والسياسى فلم يكن له نظير فى العلم بأحوال الهند ورجالها فى عهد الدولة الإسلامية وترك أثرا علمية خالدا وأدبية ذات أهمية بالغة ، فمؤلفته العربية التى حظيت ولا تزال تحظى باهتمام الأدباء ولها دوي فى الأوساط العلمية والأدبية وهى "نزهة الخواطر" و "الثقافة الإسلامية فى الهند" و "الهند فى العهد الإسلامى".(7)

أما كتابه الشهير "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" فذكر فيه المؤلف تراجم أعيان الهند وعلمائها ومآثرهم النيرة وأنه قد بزل كل جهده فى هذا الصدد ، ومهارته العلمية فى تحقيق الوقائع واستخراج الحقائق عن عبقریات التراجم حتى أصبح هذا الكتاب موسوعة تاريخية كبيرة مشتملة تراجم العلماء والأدباء والسلطين والأمراء والمشائخ والشعراء الهنود و يمتاز هذا التأليف بين جميع كتب التاريخ والسير والتراجم التى ألفت فى داخل الهند وخارجها بغزارة مادته واعتداله فى التنقيذ وأنه قد صب المؤلف فى هذا الكتاب مواهبه العلمية حيث جاء قطعة من نفسه ونسخة من روحه الصفاء وحسن رقة شعور ولا يقتصر فى كتابته للتاريخ الأدب على الترجمة وأخبار المترجم أو على سرد الحقائق والوقائع التاريخية ، بل يقدم أراءه النقدية فى بعض الأمور التى أثرت عنها الشكوك والشبهات فقام بتحليلها تحليلا دقيقا يظهر براعته فى فن التاريخ والسير حيث يعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية نادرة وتحفة علمية غالية ودائرة معارف فى تراجم العبرقيات الهندية البارزة يكاد لا يوجد لها مثيلا فى المكتبات. وكذلك كتابه "معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف" الذى مجموعة من النثر العربى الفنى البليغ بحث فيه المؤلف البارع عن مناهج التعليم فى هذه البلاد ومحدث فيها من التغير فى عصر منذ فتح المسلمون الهند إلى عصر المؤلف ثم تكلم على الفنون الأدبية المختلفة كالصرف والنحو واللغة والبلاغة والعروض والشعر والتاريخ والفقه والحديث والتفسير وأصولهما والتصوف والأخلاق وغيرها.

ولا شك أن هذا الكتاب موسوعة عظيمة تعكس بوضوح المكانة التى كانت تحظى بها الهند فى الأوساط العلمية والخدمات التى قام بها علماءها وأدباءها فى تنشيط حركة تأليف النثر الفنى باللغة العربية ، ونموذج رائع لتدوين التاريخ على النمط العلمى المفيد ومثال جميل للإنشاء الأدبى والتاريخى.

ومنهم خادم الأدب العربى فى شبه القارة الهندية ومعلمه هو عبدالعزير الميمنى الراجكوتى ولد فى راجكوت عام 1888م فى أسرة دينية علمية ولهذا نشأ وترعرع فى بيئة علمية أدبية وكان عصره يتدفق بالعلماء الأجلاء الذين تشد إليهم الرحال تلقى تعليمه الابتدائى فى كتابيب القرية ثم رحل إلى دلهي عام 1901م ليوصل دراسته حيث أقام

.....

..... للمقالة صلة إن شاء الله